مقالات الفرق

لطلاب المرحلة الجامعية

إعداد
د/ أبو زيد بن محمد مكي
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة - جامعة أم القرى

دار الأوراق
للنشر والتوزيع

مـــادة

مقالات الفرق

حقوق الطبع محفوظة

ح دار الأوراق للنشر والتوزيع ؛ ١٤٢٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مكي، أبو يزيد بن محمد بن محمد
مادة مقالات الفرق./ أبو يزيد بن محمد بن محمد مكي - جدة، ١٤٢٩ هـ
١٠٤ ص ٢١ × ٢٩.٧ سم
ردمك: ٠ - ١ - ٩٥٢٧ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١- الفرق الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢٤٥ ١٥٢٦/ ١٤٢٩

رقم الإيداع: ١٥٢٦ / ١٤٢٩ ردمك: ٠ - ١ - ٩٥٢٧ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الرابعة

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م

دار الأوراق للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية

ص ب: ١٥٥٣٣ جدة ٢١٤٥٤ الإدارة: ٩٦٦٥٠٥٣١٨٧٦٧+
تليفاكس: ٩٦٦٢٦٨٠٣٠٠٢+
جدة: ٠٥٣٧٢٥٤٩٣٩
www.daralawraq.com.sa
Email: daralawraq@gmail.com
@daralawraq

مـــادة

مقالات الفرق

تأليف

أبو زيد بن محمد مكي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى
كلية أصول الدين - قسم العقيدة

دار الأوراق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أمَّا بعد:

فهذا الكتاب المسمىٰ: «كتاب مقالات الفرق» لطلاب المرحلة الجامعية، أصله هو الكتاب المسمىٰ «بمادة مقالات الفرق (الجزء الأول)»، وقد نفذت جميع طبعاته، وكنت قد كتبت فيه ثلاثة أقسام: مدخل، وفرق الخوارج والمرجئة، والفرق الكلامية، فتوسعت في هذا الكتاب بالنسبة للمدخل ليكون في عشرة مطالب، وكتبت تأصيلًا لمسائل الإيمان والكفر قبل الحديث عن فرق الخوارج والمرجئة، وتأصيلًا في باب الصفات قبل الحديث عن الفرق الكلامية، وقد راجعت المادة واستفدت من ملحوظات الأساتذة والطلاب، وحاولت جاهدًا تطوير المادة، ثم أضفت إلىٰ هذا الكتاب؛ القسم الرابع المتعلق بفرق التشيع والفرق الباطنية، والفكر الباطني الحديث وأبرز تطبيقاته، وأضفت القسم الخامس المتعلق بدرجات التصوف، والطرق الصوفية، فصارت أقسام الكتاب كالتالي:

القسم الأول: المدخل لدراسة الفرق.

المطلب الأول: أهمية دراسة الفرق.

المطلب الثاني: مكانة الاجتماع والائتلاف في الإسلام.

المطلب الثالث: قواعد الاجتماع والائتلاف في الإسلام.

المطلب الرابع: تحذير الإسلام من الافتراق.

المطلب الخامس: المراد بالجماعات وكيفية الحكم عليها.

المطلب السادس: المراد بالأحزاب وكيفية الحكم عليها.

المطلب السابع: المراد بالفرق وكيفية الحكم عليها.

المطلب الثامن: حديث الافتراق وأسباب نشأة الفرق.

المطلب التاسع: المراد بأهل السنة والجماعة وأهل البدعة والضلالة.

المطلب العاشر: نبذة عامة عن الفرق وأبرز المؤلفات في الفرق.

القسم الثاني: الخوارج والمرجئة.

تمهيد: منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان والكفر، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: حقيقة الإيمان.

المطلب الثاني: شعب الإيمان.

المبحث الأول: مقالات الخوارج، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الخوارج.

المطلب الثاني: حديث الخوارج وأبرز صفاتهم.

المطلب الثالث: متىٰ وكيف خرجوا ولماذا خرجوا؟

المطلب الرابع: فرق الخوارج.

المطلب الخامس: الجماعات المعاصرة الغالية في التكفير.

المبحث الثاني: مقالات المرجئة، وفيه المطالب التالية:

تمهيد: حديث الفتنة التي تموج كموج البحر، وظهور مصطلح المرجئة.

المطلب الأول: تعريف المرجئة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أنواع الإرجاء، والتعريف بكل نوع، مع الحكم عليه.

المطلب الثالث: مقالات المرجئة.

المطلب الرابع: حقيقة الإرجاء المنسوب لبعض الصحابة.

المطلب الخامس: حقيقة الإرجاء المنسوب للحسن بن محمد.

المطلب السادس: حقيقة الإرجاء المنسوب لأبي حنيفة.

المطلب السابع: مكانة عمل الجوارح في حقيقة الإيمان.

المطلب الثامن: آثار الفكر الإرجائي علىٰ الأمة الإسلامية.

القسم الثالث: الفرق الكلامية.

تمهيد: مقدمة تأصيلية في باب الصفات، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: القواعد السبعة في بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات.

المطلب الثاني: الأمثال والأصول في بيان حقيقة التشابه.

المطلب الثالث: أسباب انحراف الفرق الممثلة والمعطلة.

المطلب الرابع: بيان المراد بالفرق الكلامية.

المبحث الأول: فرقة الجهمية.

المبحث الثاني: فرقة المعتزلة.

المبحث الثالث: فرقة الكُلَّابية.

المبحث الرابع: فرقة الأشعرية.

المبحث الخامس: فرقة الماتريدية.

المبحث السادس: الكرَّامية.

القسم الرابع: فرق التشيع، والفرق الباطنية.

المبحث الأول: فرق التشيع.

تمهيد: تعريف التشيع ونشأته وتعداد فرقه.

المطلب الأول: الشيعة الاثنا عشرية: النشأة والعقائد.

المطلب الثاني: فِرقة الزيدية (أبرز العقائد: براءة زيد: فرق الزيدية).

المبحث الثاني: الفرق الباطنية.

المطلب الأول: فرقة السبأية.

المطلب الثاني: فرقة المختارية أو الكيسانية.

المطلب الثالث: فرقة الخطابية.

المطلب الرابع: فرقة الإسماعيلية.

المطلب الخامس: فرقة النصيرية.

المطلب السادس: فرقة الدروز.

المطلب السابع: فرقة البابية.

المطلب الثامن: فرقة البهائية.

المطلب التاسع: فرقة القاديانية.

المطلب العاشر: الفكر الباطني الحديث.

القسم الخامس: درجات التصوف والطرق الصوفية.

تمهيد: تعريف التصوف، والفرق بينه وبين الإحسان.

المبحث الأول: درجة الزهد الصوفي.

المطلب الأول: المراد بالزهد الشرعي.

المطلب الثاني: المراد بالزهد عند الصوفية.

المطلب الثالث: الحكم على أهل الزهد الصوفي.

المبحث الثاني: درجة الكشف الصوفي.

المطلب الأول: المراد بالكشف، وأنواعه.

المطلب الثاني: بدع الكشف الصوفي المتعلقة بمصادر الدين، ومنهج التلقي.

المبحث الثالث: درجة وحدة الوجود.

المطلب الأول: المراد بدرجة وحدة الوجود.

المطلب الثاني: أبرز البدع المتعلقة بدرجة وحدة الوجود.

المبحث الرابع: الطرق الصوفية.

المطلب الأول: الطريقة القادرية.

المطلب الثالث: الطريقة الشاذلية.

المطلب الرابع: الطريقة البكتاشية.

المطلب الخامس: الطريقة النقشبندية.

المطلب الثاني: الطريقة الرفاعية.

المطلب السادس: الطريقة التجانية.

المطلب السابع: الطريقة الختمية.

سائلًا الله تعالىٰ الإخلاص، وأن يتقبل منّي هذا الكتاب، وأن يطرح له القبول، ويجعل فيه النفع، وصلَّىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وسلم.

المؤلف

القسم الأول
المدخل لدراسة الفرق

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: أهمية دراسة الفرق.

المطلب الثاني: مكانة الاجتماع والائتلاف في الإسلام.

المطلب الثالث: قواعد الاجتماع والائتلاف في الإسلام.

المطلب الرابع: تحذير الإسلام من الافتراق.

المطلب الخامس: المراد بالجماعات وكيفية الحكم عليها.

المطلب السادس: المراد بالأحزاب وكيفية الحكم عليها.

المطلب السابع: المراد بالفرق وكيفية الحكم عليها.

المطلب الثامن: حديث الافتراق وأسباب نشأة الفرق.

المطلب التاسع: المراد بأهل السنة والجماعة وأهل البدعة والضلالة.

المطلب العاشر: نبذة عامة عن الفرق وأبرز المؤلفات في الفرق.

المطلب الأول: أهمية دراسة الفرق

في الصحيحين عن حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ؛ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نعم».

قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ وَفِيهِ دَخَنٌ».

قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ».

قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ».

إن من فوائد دراسة الفرق: وضوح الصراط المستقيم، والحذر من الانحراف عنه، وينبغي أن يقوم بعض طلاب العلم بهذا الواجب، فيبينوا للناس السنة، ويدعونهم إليها، ويبينوا لهم البدعة، ويحذرونهم منها، ومتىٰ

أطاع الناس الدعاة إلىٰ السنة والجماعة؛ عاش الناس في خير وعافية.

وأما إذا أهمل هذا الواجب فاختلطت السنة بالبدعة؛ فسيعيش الناس بسبب ذلك في دخن، ليس شرا محضا ولا خيرا محضا، والواجب التعلم والتبصر، ليميز الإنسان بين المعروف وبين المنكر، بين هدي رسول الله ﷺ، وضلال أهل البدع، فلا يطيع الدعاة المخلطين إلا في المعروف، ولا يطيعهم في المنكر.

وقد أخبر النبي ﷺ عن دُعَاة عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، يكونون في آخر الزمان يدعون الناس إلىٰ مفارقة صراط الله المستقيم، سواء من طوائف الغلاة أو الجفاة، وهم ليسوا من الكفار، بل من المنتسبين للإسلام، ولديهم القدرة علىٰ البيان والإفصاح بلسان عربي مبين، لكنهم يدعون للباطل بشبهات تظهره في صورة حق، فواجب علىٰ المسلم عدم طاعتهم في ذلك، فهم دعاة فرقة للإسلام، ومفارقة للمسلمين، والواجب الحذر منهم، ويلزم المسلم جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ. فَإن لم يكن للمسلمين جماعة وإمام: فيعْتَزِل تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ودعاتها؛ فكل فرقة عقدت الولاء والبراء علىٰ بدعة، يجب اعتزالها، حتىٰ ولو عاش الإنسان وحيدا. وهذا الأمر لا يمكن تحققه بغير علم، فكيف يميز الإنسان بين الدعاة للسنة المحضة، وبين الدعاة المخلطين، وبين الدعاة علىٰ أبواب جهنم، وكيف يميز الإنسان بين السنة والبدعة، وبين الفرقة الناجية وبين الفرق الهالكة، إلا بالدراسة والتعلم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بفهم صحيح، موافق لفهم سلفنا الصالح.

١- نتدارس الفرق من أجل بيان بطلان عقائدهم الفاسدة، وعباداتهم المبتدعة، وبذلك نحمي الدين عقيدة وشريعة من نسبة تلك البدع إليه،

ونحمي المسلمين من تلك الانحرافات بتحذيرهم منها لئلا يقعوا فيها.

٢- نتدارس الفرق من أجل معرفة الأسباب التي أوقعتهم في تلك الانحرافات، فنتعظ في أنفسنا، ونعظ غيرنا من تلك المزالق.

٣- عند تدارسنا للفرق تزداد معرفتنا بعقيدة أهل السنة والجماعة، وبشريعة الإسلام، فنقوم بنشرها لأهل السنة والجماعة، ولأهل البدعة والضلالة، فننصح لهم ونعلِّم، والله هو الهادي والموفق.

٤- لا يمكن إصدار الحكم الصحيح علىٰ أي فرقة من الفرق إلا من خلال دراستها دراسة وافية من ناحية معتقداتها وبدعها العباديّة، وذلك بالرجوع إلىٰ آراء أبرز رجالها، ودراسة أهم مؤلفاتهم، ومن ثم يمكن إصدار الحكم الصحيح عليها.

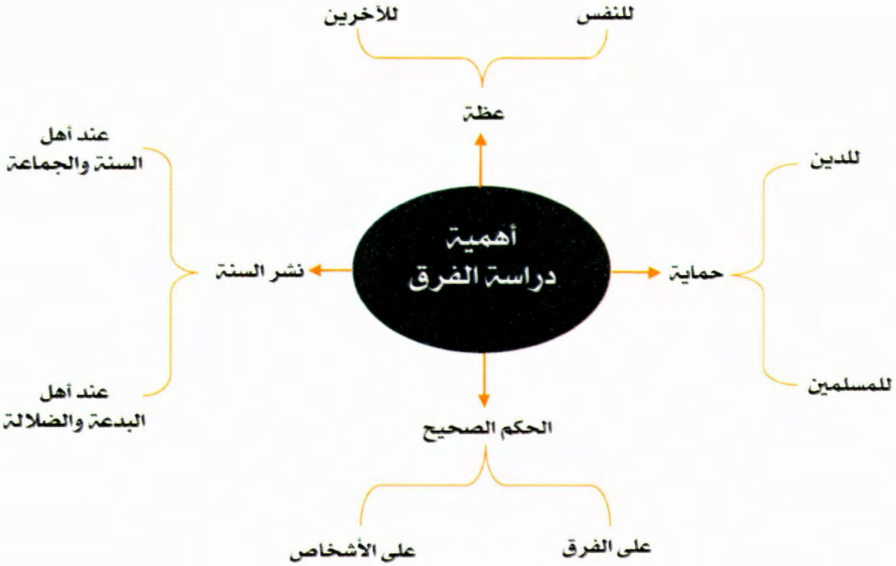

المطلب الثاني: مكانة الاجتماع والائتلاف في الإسلام

١- أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «المؤمن مألف -أي: يألف ويؤلف-، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[١].

ففي هذا الحديث دعوة صريحة للاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، وذلك بالربط بين صدق الإيمان وبين الائتلاف مع أهل الإسلام.

فالائتلاف مع أهل الإيمان المقصود به: محبتهم، ومحبة الخير لهم، فيشعر بالقرب منهم، والأنس بهم، وهم كذلك يألفونه فيحبونه، ولا ينفرون منه.

فالصلة بين حقيقة الإيمان وبين التآلف صلة طردية: إذا وجد الإيمان وجد التآلف، وإذا انعدم الإيمان حصل التنازع والافتراق، وبمقدار قوة الإيمان وضعفه تكون قوة التآلف وضعفه.

٢- وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢].

إن الائتلاف مع أهل الإسلام المراد به - من خلال هذا الحديث -: أن

---

(١) (٢/ ٤٠٠) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.

(٢) كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩) ح (٢٥٨٦).

يكوِّن معهم المجتمع الإسلامي، المتعاون، المتكامل، المتماسك الأفراد، حتىٰ يكونوا كأعضاء الجسد الواحد.

إن أعضاء الجسد الواحد، يشكلون وحدة واحدة متآلفة متعاونة، متكاملة، غير متنافرة، وإذا حصل لإصبع في الجسد جرح فتألم منه، تألم لألمه سائر الجسد، فسهر، وظهرت عليه الحمىٰ، كل ذلك مشاركة لذلك العضو في آلامه.

إن الإيمان من أعظم آثاره علىٰ الإنسان أن يجعله متآلفًا مع أهل الإيمان، يفرح لأفراحهم، ويحزن لأحزانهم، ويعينهم علىٰ الخير، ويقف معهم في دفع الشر، فيحصل بينهم الولاء والنصرة، وتحصل منهم المفارقة والبراءة من أعداء الله من أهل الكفر والشرك.

٣- أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن للمؤمن؛ كالبنيان يشد بعضه بعضًا. وشبَّك بين أصابعه»[1].

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث بأن من أعظم الدلائل علىٰ استقرار حقيقة الإيمان في نفس الإنسان تآلف الإنسان مع أهل الإسلام.

فإذا أراد الإنسان التأكد من صدق إيمانه فلينظر إلىٰ موقفه من أهل الإيمان، فإذا وجد نفسه متآلفًا معهم غير متنافر، متعاونًا غير متخاذل، يواليهم ولا يبرأ منهم، ووجد في نفسه السعي لئن يبني معهم المجتمع الإسلامي، فليعلم بأنه صادق في إيمانه.

(١) كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (٥/ ٩٩) ح (٢٤٤٦).

إنّ رسولنا ﷺ يضرب مثالًا لتآلف المؤمن مع أخيه المؤمن بالبنيان، فكل لبنة تتآلف مع اللبنة الأخرىٰ في البناء، حتىٰ يكون البنيان مشدودًا قويًا، فتحصل به المنفعة، وهكذا المجتمع الإيماني، كل مؤمن يشد من إخوانه حتىٰ يكوِّن معهم المجتمع الإسلامي، الحامي لأهل الإيمان، والمعين لهم علىٰ طاعة الرحمن.

فيكون ذلك المجتمع الذي فيه الأمر بالإيمان والعمل الصالح، والنهي عن ضدهما، ويكون فيه الحاكم هو شرع الله، والجميع يتعاون علىٰ ذلك، فالمجتمع صالح لعبادة الله محكوم بشريعته، وكذلك تسوده أخلاق الإسلام الاجتماعية القائمة علىٰ العدل والصدق والاحترام والموالاة.

هكذا يريدنا الإسلام أن نكون، وجعل ذلك من علامات صدق الإيمان.

٤- أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»(١).

لقد استقر في نفوس الصحابة - رضوان الله عليهم - الشوق إلىٰ الفوز بنعيم الجنة: لقصورها وأنهارها، لمآكلها ومشاربها وملابسها ومراكبها ولحورها، ولسعادتها التامة، ولدوام الشباب والعافية فيها، وأعظم من ذلك كله لذة النظر إلىٰ وجه الله، والنعيم بحلول رضوانه علىٰ أهلها، ودوام صحبة النبي ﷺ فيها.

لمَّا علم النبي ﷺ شدة شوق الصحابة للفوز بنعيم الجنة، أخبرهم بأنه خاص بأهل الإيمان، وأن أهل الكفر والشرك يحرمون من ذلك.

---

(١) كتاب الإيمان، باب بيان أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، (١/ ٧٤) ح (٩٣).

ثم أخبر النبي ﷺ بأن الإيمان الواجب المنجي من النار، والذي يستحق به الإنسان نعيم الجنة، لا يكمل إلا بمحبة أهل الإيمان؛ وهنا الشاهد في الحديث: بيان الصلة بين الإيمان وبين التآلف مع أهل الإيمان والمحبة لهم؛ فبوجود المحبة يكمل الإيمان الواجب وبنقصها ينقص، وبانعدامها ينعدم، فالأمر جدٌّ خطير.

ثم يذكر النبي ﷺ صورة من صور التآلف التي تزيد المحبة بين أهل الإيمان وهي: إفشاء السلام، سواء بالصورة المباشرة المعروفة، وهي أداء السلام عند اللقاء علىٰ من عرفت وعلىٰ من لم تعرف من أهل الإسلام.

أو بالصورة غير المباشرة: من كف الأذىٰ، وإظهار الاحترام، والتواصل بالزيارة، والتعاون والتكاتف، وهكذا.

فالإسلام يربط بين استحقاق الجنة وبين الإيمان، ويربط بين الإيمان وبين محبة أهل الإيمان، فظهر للمحبة والتآلف هذه المكانة العظيمة في دين الإسلام.

هذه النصوص إنما هي إشارة لما في الوحي الإلهي من الربط بين الإيمان وبين التآلف مع أهل الإسلام.

فالإيمان بالله وبالرسول ﷺ وبالدين الإسلامي، وباليوم الآخر، قولًا وعملًا، من أعظم دلائل الصدق فيه: ظهور التآلف مع المؤمنين.

المطلب الثالث: قواعد الاجتماع والائتلاف في الإسلام

القاعدة الأولى: قاعدة التآخي في الإسلام:

١- يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

لقد جعل الإسلام الأخوة في الإسلام هي أعظم الروابط، وأولها ومقدمها علىٰ جميع الروابط، ثم تأتي الروابط الأخرىٰ موزونة في ميزان الإسلام، كرابطة النسب أو الأرض أو المصلحة.

فالإسلام في تأليفه بين المسلمين يربي المسلم علىٰ هذه القضية، وهي أنَّ أي مسلم هو أخ لك في الإسلام، فعندما تقابله مهما كان لونه، ومهما كانت جنسيته، ومهما كانت ثقافته، ومهما كانت حالته المادية، فأنت تتحرك في نفسك مشاعر المحبة والأخوة مثلما تتحرك فيك عندما تقابل أخاك في النسب المحبوب عندك.

٢- وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، «في الترمذي: ولا يكذبه»[1]، ولا يحقره».

التقوىٰ، هاهنا، ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات. بحسب امرئ من الشر

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم علىٰ المسلم، (٤/ ٣٢٥) ح (١٩٢٧).

أن يحقر أخاه المسلم، كل مسلم علىٰ المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»[١].

إنّ قاعدة التآخي في الإسلام من أعظم القواعد المؤلفة بين المسلمين، فالمسلم أخو المسلم، لذا فقد جاءت التعاليم الكثيرة الناهية عن كل ما من شأنه أن يفسد هذه العلاقة أو يضعفها، ففي الحديث النهي عن: الحسد، والنجش، والبغض، والهجر، والإضرار المالي.

وكذلك جاءت التعاليم التي من شأنها أن تحافظ علىٰ قوة الرابطة الأخوية في الإسلام فأمرت: بالعدل والموالاة والصدق والاحترام، وجاءت التعاليم التي من شأنها المحافظة علىٰ حرمة المسلم في دمه وماله وعرضه.

إنّ الإسلام يربي المسلم، ويوجب عليه واجبات قلبية وقولية وفعلية تجاه إخوانه المسلمين، وكل ذلك من أجل المحافظة علىٰ نعمة التآلف.

فيوجب عليه أن يخلي قلبه تجاه إخوانه المسلمين من: الاحتقار، والبغض والحسد، ويأمره بأن يملأ قلبه تجاه إخوانه المسلمين: بالاحترام والتواضع والمحبة لهم، ومحبة وصول الخير لهم.

ويوجب عليه أن يكف لسانه عن الكذب والغش لهم، والطعن في أعراضهم، وعن كل ما فيه أذىٰ لهم، ويطلق لسانه بالكلام الطيب معهم، والصدق والنصح لهم.

ويوجب عليه أن يكف بدنه عن الاعتداء عليهم في أجسادهم أو أموالهم أو أعراضهم، وأن يقوم بنصرتهم سواء في حال ظلمهم بردهم عن الظلم، أو في حال كانوا مظلومين برفع الظلم عنهم، وكذلك يقوم بالعدل معهم، وإيصال الخير لهم.

---

(١) كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم (٤/ ١٩٨٦) ح (٢٥٦٤).

إنّ قاعدة التأليف بين المسلمين علىٰ أساس التآخي في الإسلام من أعظم القواعد، ومن أعظم نعم الله علىٰ المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فيجب علىٰ أهل الإسلام المحافظة علىٰ هذه النعمة بالتذكير الدائم بهذه الرابطة، وأن نجعل بقية الروابط تأتي بعدها، فلا نقدم عليها رابطة النسب ولا التراب ولا المصالح، فالمسلم أخو المسلم وإن اختلفت الأعراق والأنساب والقبائل، وإن اختلفت الجنسيات والثقافات والمصالح.

القاعدة الثانية: قاعدة وحدة المصدر:

١- المقصود بهذه القاعدة: أن الإسلام الذي نتآخىٰ فيه، هو الإسلام المتلقىٰ من الوحي الإلهي، فلا بد من توحيد مصدر التلقي، حتىٰ يكون ما نتآخىٰ فيه هو الإسلام الحق.

إن تلقي الإسلام من غير هذا المصدر، سيكون سببا للافتراق لا للائتلاف، لتعدد الدين، فسيكون لدينا الإسلام الحق، وبجواره عدة أديان، تنتسب للإسلام؛ وهي متلقاة من آراء البشر، فهي أديان وضعية منتسبة للإسلام، فهذه لا نتآخىٰ فيها، فلا نتآخىٰ علىٰ القاديانية ولا البهائية ولا علىٰ الفرق الباطنية، ولا علىٰ غيرها.

إنَّ الإسلام يطلب منّا أن نجتمع حول الكتاب والسنة، ونجعلهما المصدر الوحيد الذي نتلقىٰ منه الدين، وبهذا سيحصل لنا النجاة، ويحصل بيننا التآلف؛ وأمّا إذا اختلفت مصادر تلقي الدين، فسيختلف الإسلام ويتعدد، فأي إسلام هذا الذي نتآخىٰ فيه.

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ

﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠٣].

فالله تعالىٰ نهانا أن نأخذ ديننا من اليهود والنصارىٰ، وأن ذلك سيؤدي بنا إلىٰ الخروج عن ملة الإسلام، وأن الواجب علينا هو أن نأخذ ديننا من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، وأن الاعتصام إنما يكون علىٰ دين الإسلام المتلقىٰ من الله ورسوله ﷺ.

إنّ قاعدة توحيد المصدر، مكمّل للقاعدة السابقة وهي قاعدة التآخي في الإسلام، وتأخذ الأهمية نفسها، ولا بد لدعاة التآلف بين المسلمين أن يهتموا بهذه القاعدة علىٰ قدر اهتمامهم بالقاعدة السابقة، فندعو المسلمين جميعًا إلىٰ التآخي في الإسلام، ونقول لهم إنه الإسلام الذي مصدره الكتاب والسنة الصحيحة. ويجب علينا تحذير المسلمين من تلقي الدين من غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن ذلك من أعظم أسباب التفرق.

القاعدة الثالثة: قاعدة وحدة العقيدة:

١- المراد بهذه القاعدة: أنَّ الإسلام يؤلف بين المسلمين بجعل قلوبهم علىٰ عقيدة واحدة، فتتآلف القلوب، وتتعاون الأبدان.

فالعقيدة الإسلامية: وهي الإيمان الجازم بأركان الإيمان وما يندرج تحتها، والإيمان بالدين الإسلامي، وما فيه من أوامر ونواهي، لهي أعظم مؤلِّف بين المسلمين.

فعندما تلتقي بأخيك المسلم، وتعلم أنه يؤمن بما تؤمن به، فالجميع يؤمن برب واحد، ورسول واحد، ودين واحد، فمباشرة تتآلف النفوس، وتتعارف الأرواح، وتحصل المحبة.

يجب علينا حتىٰ نحافظ علىٰ وحدة العقيدة، فتكون لنا سعادة الدارين، ويحصل بين المسلمين التآلف أن نتنبه لستة أمور:

الأمر الأول: أن نأخذ عقيدتنا من مصدر واحد، وهو الكتاب والسنة، وقد تقدم الكلام عن هذه القضية في القاعدة السابقة، ونضيف هنا التأكيد علىٰ أن يكون الحديث صحيحًا في إسناده ومتنه؛ فإذا صح الحديث نأخذ منه عقيدتنا سواء كان آحادًا أو متواترًا، فإن من أسباب التفرق الأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وترك الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة.

فينبغي أن نبين للناس أن اشتراط التواتر ليس بصحيح، فقد كان رسولنا ﷺ يرسل رسله آحادًا لتبليغ الناس دين الإسلام، وكان الناس يعملون بذلك، ونحذرهم من اعتماد ما لم يصح عن رسول الله ﷺ.

الأمر الثاني: أن يكون فهمنا للعقيدة المتلقاة من النصوص فهمًا صحيحًا لأنه إذا اختلفت الفهوم، اختلفت العقائد، فحصلت الفرقة، وذهبت الألفة.

وحتىٰ نتأكد أنَّ فهمنا هو الفهم الصحيح، لا بد أن نعتمد فهم الصحابة - رضوان الله عليهم -، وفهم أئمة القرون الثلاثة المفضلة، ممن عرفوا بالعلم والسنة، فمن وجد نفسه علىٰ غير معتقد السلف فليعلم أنه علىٰ غير عقيدة الإسلام، وبالتالي فهو علىٰ خطر عظيم، وستجده نافرًا من أصحاب المعتقد الحق، مقبلًا علىٰ أهل الباطل، يجب أن نتأكد من فهمنا للقرآن

من خلال القرآن ومن خلال السنة، وكذلك السنة نفهمها بالقرآن والسنة، ونفهم الوحي من خلال لغة العرب، وننظر لفهم السلف فلا نفهم فهما يضاد فهمهم، فهكذا نجتمع، وبالفهم الخاطئ يحدث التفرق.

والأمر الثالث: أن ننظر إلىٰ عقيدتنا المأخوذة من الكتاب والسنة، والتي فهمناها الفهم الصحيح، أن ننظر إليها نظرًا صحيحًا، ويكون ذلك من جهتين:

الجهة الأولىٰ: أنَّه ليس في عقيدتنا ما يخالف العقل الصريح، ولكن قد يوجد فيه ما يحار فيه العقل لكن لا يحيله، لكونه من الغيبيات التي لا يمكن الوقوف علىٰ حقيقتها في هذه الدنيا، مثل ما يتعلق بكيفية صفات الله، أو مثل ما يتعلق بأمور القبر، أو ما يتعلق بتفاصيل اليوم الآخر.

الجهة الثانية: أنَّ عقيدتنا الواردة في النصوص، قد وردت مع دلائلها العقلية، فالوحي كافٍ بنفسه من ناحية المسائل والدلائل، فلسنا بحاجة إلىٰ علوم تثبت لنا صحة معتقدنا كعلم الكلام أو علم الفلسفة أو العلوم المادية، ونحو ذلك.

إن توحدنا في النظر الصحيح للوحي يجمعنا، والنظر الخاطئ يفرقنا، فمن ظن أن الوحي مسائل بلا دلائل، وأتىٰ بالدلائل من خارج الوحي كعلم الكلام ونحوه، سيحدث بسبب ذلك الفرقة والاختلاف.

وكذلك توحدنا في النظر الصحيح للوحي بأنه لا يمكن أن يكون فيه مخالفة البتة للعقل أو الفطرة ونحوهما سيجمعنا، وضد ذلك يفرقنا، لأنه ستختلف العقيدة بناء علىٰ ذلك النظر المنحرف للوحي.

الأمر الرابع: ألاَّ نقبل التشكيك البتة في عقيدتنا، فطالما أخذناها من الوحي بفهم صحيح، وبنظر صحيح، وجب علينا الإيمان بها بلا شك. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ الحجرات.

فبهذه الطريقة نجتمع، ونأتلف، وأما جعل عقيدتنا مجالا للمجادلات، فكل ما جاءنا شخص أجدل من آخر انتقلنا لرأيه، وجعلناه عقيدة لنا، فهذا إضافة لكونه انحراف عن الحق، هو مفرق للمسلمين. في الصحيحين عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

الأمر الخامس: يجب علينا أن نجعل عقيدتنا ميزانًا لا موزونًا، فنؤمن بها بلا شك كما تقدم، وكذلك لا نزنها في ميزان الرأي أو ما يسمىٰ بعلم الكلام أو بعلم الفلسفة، أو بالحضارة المعاصرة، فلا نقدم علىٰ كلام الله وكلام رسوله ﷺ شيئًا من كلام البشر.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات:١].

فلم يفرِّق الأمة الإسلامية أمر مثل هذا الأمر، فالجميع يدعو إلىٰ أن يكون المصدر هو الكتاب والسنة، ثم عند التطبيق يجعل ما في الوحي موزنًا لما عنده من الرأي، فيحصل عنده تبعيض العقيدة، فيرد بعضها،

ويقبل بعضها، وتبعيض الدين سبب للفرقة والنفرة، وحلول الوحشة بين المسلمين، وهذا التبعيض باب البدعة والانحراف عن الدين.

أخرجَ الإمامُ البخاريُّ في صحيحه بسندهِ عنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ؟

فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا.

فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ، وَلاَ أُفْطِرُ.

وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلاَ أَتزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا. أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

فهؤلاء الثلاثة جعلوا عبادة النبي ﷺ موزونة لا ميزانا، فرأوها قليلة في ميزانهم، فاعتذروا للنبي ﷺ عن قلة عبادته لكونه نال المغفرة من ربه، فسلكوا غير طريقه، فردهم النبي ﷺ للصواب، وبين لهم أن عبادته هي الميزان للتقوىٰ، وأنه ليس مقصرا في عبادة الله اعتمادا علىٰ المغفرة كما يظنون، وأن سنته هي الحق، وأن من رغب عنها فقد ضل، فرجعوا ولم يفارقوا.

الأمر السادس: الالتزام بالمعنىٰ الحق للنصوص، وعدم الإلحاد في ذلك، بتأويلات فلسفية أو باطنية أو كلامية.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ الأعراف. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ فصلت.

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها، ما أرادها الله منها». إن من أسباب الفرقة هو الإلحاد عن المعنىٰ الحق للوحي، وإن ترك ذلك من أسباب الألفة والاجتماع.

إن التزامنا بهذه الأمور الستة يحافظ علىٰ عقيدتنا صافية نقية، وبها تكون عقيدة المسلمين واحدة، ويحصل لهم سعادة الدارين، ويحصل بينهما التآلف.

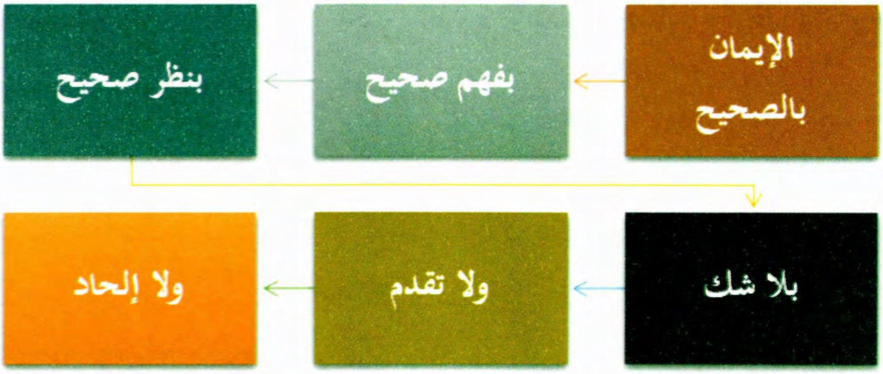

في الختام: هناك أمور فرعية في العقيدة، تلتبس علىٰ بعض المسلمين، ومحلها البحث عند العلماء، فلا يصلح أن نجعلها محلًّا لاختبار المسلمين في عقائدهم، ولا يصلح أن نكفر بها، أو نبدِّع، أو أن نفسِّق بها، بعضها قد

حصل فيها النزاع بين الصحابة، أو بين أئمة القرون الثلاثة المفضلة، أو هي من المسائل الخفية، فهذه المسائل لا ينبغي إثارتها بين عامة الناس، وإنما في مجالس العلم يدار حولها الحوار والتناصح، والله أعلم.

القاعدة الرابعة: قاعدة وحدة الشريعة:

الشريعة الإسلامية: هي ما يقابل العقيدة الإسلامية، وهي الجانب الظاهر من الدين الإسلامي، والمتعلق باللسان والجوارح، وتقوم على أركان الإسلام الخمسة.

يراد بهذه القاعدة: أنّ نلتزم جميعنا بالشريعة الإسلامية بدون تبعيض أو ابتداع. فعندما يلتزم المسلمون بشريعة واحدة، فيلتزم جميعهم بالصلاة، ويتجهون لقبلة واحدة، ويحجون لبيت واحد، ويلتزمون بصيام رمضان، فإن لهذه الشريعة الموحدة أعظم الأثر في التأليف بين قلوب المسلمين.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله، وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»[1].

إنّ الواجب علينا حتى ننال سعادة الدارين، ويحصل لنا التآلف فيما بيننا أن نحافظ على وحدة شريعتنا، فمتى اختلفت الشرائع اختلفت القلوب وتنافرت، وحتى يتحقق لنا وحدة الشريعة فعلينا الالتزام بهذه الأمور الستة:

الأمر الأول: أن نتلقى شريعتنا من مصدر واحد، وهو الكتاب والسنة، وقد تقدم ذلك، وأن نلتزم بالنسبة للأحاديث بالأحاديث الصحيحة،

---

(١) كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، (١/ ٤٩٦) ح (٣٩١).

ونتجنب الأحاديث الموضوعة، ومتىٰ صح الحديث سندًا ومتنًا نلتزم بما فيه من أوامر ونواهي وآداب.

الأمر الثاني: أن نحرص علىٰ الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، وقد تقدم الكلام عن هذا الأمر في وحدة العقيدة، لأنه متىٰ اختلفت الفهوم للنصوص، فستختلف الشريعة، وبناء علىٰ ذلك ستختلف القلوب، وأن الضابط لتوحيد الفهم هو اعتماد فهم السلف الصالح من الصحابة - رضوان الله عليهم - وأئمة القرون الثلاثة المفضلة، فلا نأتي بفهم يضاد أو يناقض فهمهم، فيكون ذلك سببا لأن نلتزم بشريعة غير شريعة الإسلام، فيحصل الافتراق ويزول الائتلاف، والله المستعان.

والأمر الثالث: أن ننظر إلىٰ شريعتنا بنظرة واحدة، وهي: أن الشريعة الإسلامية جاءت محققة للمصالح، ودافعة للمفاسد، وأنها موافقة لصريح العقل، وصحيح الفطرة، وهذا الأمر ظاهر في أغلب الشريعة، ولكن بعض العبادات أخفىٰ الله الحكمة في بعض جوانبها، كأعداد ركعات الصلاة، وعدد أشواط السعي والطواف، ونحو ذلك من العبادات التي حكمتها تعبدية، فهنا وجب النظر الصحيح بأنها بهذا العدد، وبهذه الكيفية، وفي هذا الوقت، وفي هذا المكان، ومن هذا الجنس، وبهذا المقدار، يحصل بها النسك والطهارة.

وأيضًا بعض الشرائع يجتمع فيها المصلحة والمفسدة، فإذا غلبت المصلحة شرعه الله، ووضع له ضوابط من شأنها أن تدرأ المفسدة التي فيه، كقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وإذا غلبت المفسدة حرَّم الله ذلك الأمر، وشرع المصلحة التي فيه في

مكان آخر، كقوله تعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

والأمر الرابع: أن نتوجه بهذه الشريعة إلىٰ الله وحده لا شريك له، فإنَّ بذلك النجاة، وبه يحصل التآلف بين المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١١ - ١٤]. إن الشرك أعظم سبب للتفرق والاختلاف.

والأمر الخامس: أن نبتعد عن تبعيض الشريعة بالتزام بعضها وترك بعضها، فإن هذا من أعظم أسباب الافتراق بين أهل الإسلام، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وأيضًا لا نعترض علىٰ الشريعة بالآراء ولا بالعادات، ولا بالأعراف ولا بالسياسات ولا بالمصالح، فلنلتزم الشريعة بلا اعتراض، ولا تبعيض.

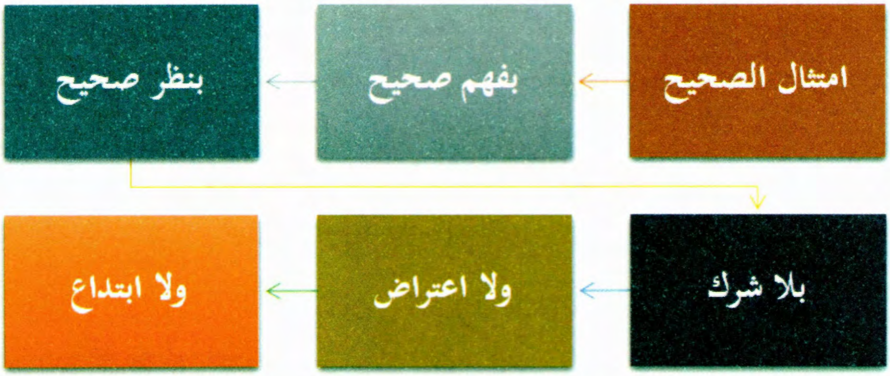

والأمر السادس: أن نبتعد عن الابتداع في الشريعة، مع العلم بأن تغيير العبادات في زمانها أو مكانها أو صفتها أو جنسها أو مقدراها ونحو ذلك

يخرج بها من السنة إلىٰ البدعة، وهذه البدع من أعظم أسباب الافتراق، كما أنَّ التزام السنة من أعظم أسباب ائتلاف.

والمقصود هنا: أن وحدة الشريعة تؤلف بين قلوب المسلمين، واختلافها يفرقهم، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء.

وفي ختام هذه القاعدة أحب أن أشير إلىٰ أنَّ هناك مسائل من فروع الشريعة، مما وقع فيه الخلاف بين العلماء من عصر الصحابة فما بعدهم، فهذه المسائل الفرعية في الصلاة أو الحج أو في أمور الزكاة، لا يصح التكفير بالاختلاف فيها، ولا التبديع، ولا التفسيق.

القاعدة الخامسة: قاعدة وحدة تزكية الفرد:

إن المراد بوحدة التزكية للفرد: التزام المنهج الإسلامي لإصلاح الفرد، فعندما نلتزم جميعًا بهذا المنهج سيحصل به الائتلاف بين أهل الإسلام، وإذا اختلفت المناهج حصل التفرق.

قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

ففي هذه الآية بيان أن الإيمان والعمل الصالح به صلاح الفرد في الدنيا والآخرة، وسعادة الروح وسعادة البدن.

والمراد بالإيمان: الإيمان بالأصول الثلاثة وما يندرج تحتها، وهي الإيمان بالله وبالرسول ﷺ وبالدين الإسلامي.

والمراد بالعمل الصالح: عبادة الله وحده لا شريك له، بما جاء به رسول الله ﷺ في جميع مناحي الحياة.

عندما يلتزم المسلمون جميعًا بتربية نفوسهم تربية موحدة، مهما اختلفت البلدان، وتباعدت الأوطان، واختلفت الثقافات، وتنوعت العادات والأعراف، إلاَّ أن هذه التربية تبقى موحدة لهم، تجعل الأرواح متعارفة، والنفوس متآلفة.

إنَّ الإسلام يوحد بيننا في كيفية التعامل مع النفس البشرية، فعندما نتحد في نظرتنا لنفوسنا، ونتحد في كيفية التعامل معها، فسنتوحد قطعًا، فعندما ننظر لنفوسنا بأنها مخلوقة من طين وروح كما أخبرنا بذلك الله جل جلاله، ونعود للشرع فنأخذ منه غذاء القلب والروح، ونأخذ منه غذاء البدن، فنعطي كل واحد منهما غذاءه المناسب وفق الشرع دون الإضرار بالآخر، فنعطي البدن ما يحتاجه ونجعل لذلك قيمة إيمانية، ونعطي الروح ما تحتاجه دون الإضرار بأبداننا، فستكون تربيتنا لأنفسنا تربية موحدة.

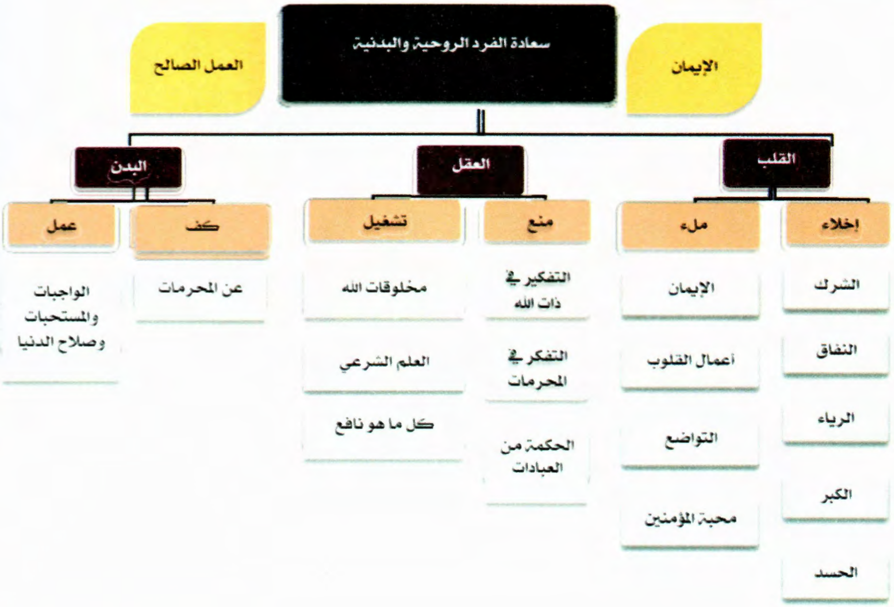

الإيمان
سعادة الفرد الروحية والبدنية
العمل الصالح
القلب
العقل
البدن
إخلاء
ملء
منع
تشغيل
كف
عمل
الشرك
النفاق
الرياء
الكبر
الحسد
الإيمان
أعمال القلوب
التواضع
محبة المؤمنين
التفكير في ذات الله
التفكر في المحرمات
الحكمة من العبادات
مخلوقات الله
العلم الشرعي
كل ما هو نافع
عن المحرمات
الواجبات والمستحبات وصلاح الدنيا

الإيمان
سعادة الفرد الدنيوية والأخروية
العمل الصالح
صلاح الدنيا
صلاح الدين
العافية في البدن
اكتساب المال
إصلاح الأسرة
إصلاح المجتمع
إصلاح الأمة
صلاح القلب
صلاح الجوارح
صلاح الآخرة
صلاح الدين
صلاح الدنيا
الإتيان بأسباب الفوز بالجنة والنجاة من النار
الإتيان بأسباب التفوق في الآخرة

وكذلك عندما نلتزم بمنهج الإسلام في التربية الأخلاقية، ونلتزم بتربية الإسلام لنا من الناحية الفردية والجماعية، فنربي أنفسنا تربية فردية لتخرج آثارها صلاحًا في المجتمع، ونربي أنفسنا تربية جماعية ولكن بوعي، وتكون هذه التربية عامة لجميع المسلمين، وكذلك عندما نربي أنفسنا بالنسبة لإصلاح الدنيا ويكون ذلك بزهد وحرص، زهد فيما لا ينفع، وحرص علىٰ النافع، وهكذا فيما يتعلق بالجوانب التربوية الأخرىٰ لعقولنا وقلوبنا وأبداننا عندما نعود في ذلك كله للإسلام، فإننا بهذه التربية الموحدة كما نحقق رضا الله عنا، فإننا نحقق التآلف مع جميع المسلمين.

القاعدة السادسة: قاعدة وحدة إصلاح المجتمع والأمة:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

يراد بهذه القاعدة: أنَّ الإسلام جعل منهجًا موحدًا لتكوين وإصلاح المجتمع المسلم، والأمة الإسلامية، متىٰ نهج المصلحون هذا المنهج تحقق لهم الصلاح في مجتمعاتهم، وحصلت الألفة بينهم، بفضل الله تعالىٰ.

وقد تحدثنا في القاعدة السابقة أن الإيمان والعمل الصالح هو منهج إصلاح الفرد، وهنا نتحدث عن التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فهو منهج إصلاح المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية.

يراد بالتواصي بالحق: التواصي بثلاثة أمور:

الأمر الأول: التواصي بالإيمان والعمل الصالح، وهذا من شأنه يؤدي إلىٰ صلاح أفراد المجتمع الإسلامي، كما تقدم ذلك، فإذا أردنا أن نصلح

مجتمعنا، فلنوحد عملية الإصلاح، بأن يكون أول ما نعتني به هو الدعوة إلىٰ الإيمان بالله وبالرسول ﷺ وبالدين الإسلامي، والدعوة إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، بما شرع، في جميع مناحي الحياة، ونتناهىٰ عن ضد ذلك من الكفر، ومن الشرك، ومن البدع، ومن المعاصي، ومن التبعيض للدين، ونحو ذلك.

عندما تتحد هذه الطريقة لإصلاح المجتمع فإننا نبتعد بذلك عن أسباب الافتراق، ونأتلف ويحصل بيننا الحب والموالاة.

الأمر الثاني: التواصي بأن نجعل المجتمع الإسلامي مهيئًا لعبادة الله، ومحكومًا بشريعة الله، ونتعاون حكامًا ومحكومين من أجل تحقيق هذا الأمر.

عندما نتحد جميعًا في إصلاح المجتمع وفق هذه الكيفية، فستتحد الوجهة، وتتشابه المجتمعات، وتتآلف القلوب.

الأمر الثالث: التواصي بأخلاق الإسلام الاجتماعية القائمة علىٰ العدل والصدق والموالاة والاحترام، ونتواصىٰ بإشاعة بر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الخلق مع الجيران، وحسن الخلق مع الزوجة والأولاد، ونتواصىٰ بالأمانة والإحسان في العمل، إلىٰ غير ذلك من أخلاق وقيم الإسلام.

عندما تتوحد الجهود في إصلاح المجتمع، وفق شرع الله، وتقوم الجماعات والجمعيات، وتقوم الوزارات، والهيئات بإصلاح المجتمع وفق تعاليم الإسلام يحصل التآلف، ويقل الاختلاف والتنازع.

منهج الإسلام في إصلاح المجتمع

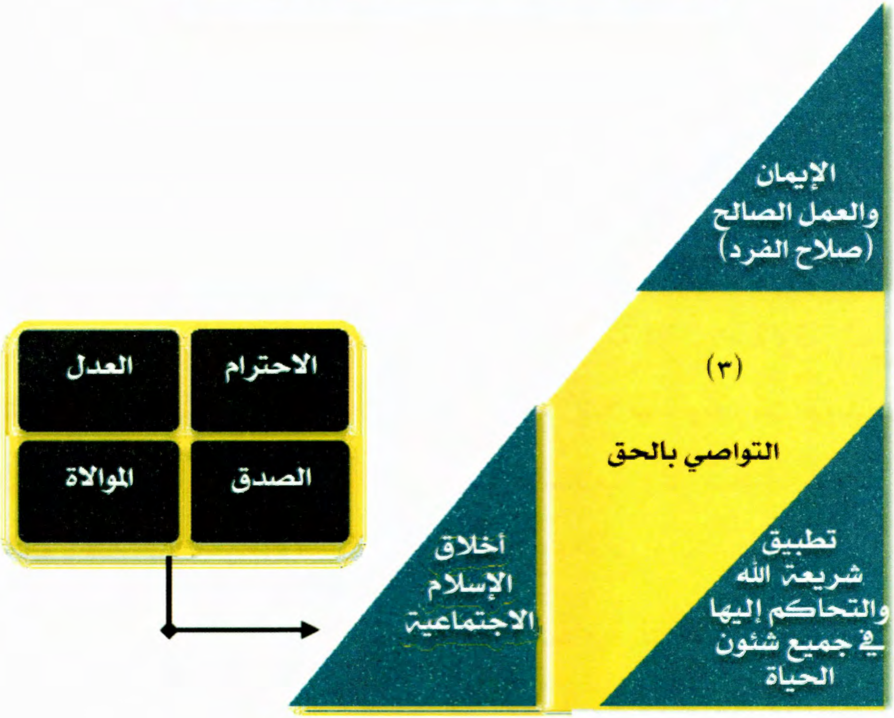

ويراد بالتواصي بالصبر: الصبر علىٰ تحقيق ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الصبر علىٰ الحق.

الأمر الثاني: الصبر علىٰ امتلاك القوة المادية.

الأمر الثالث: الصبر علىٰ أخلاق الإسلام العامة مع غير المسلمين في حال السلم وحال الحرب.

إنَّ التواصي بالصبر علىٰ هذه الأمور الثلاثة من شأنه أن يصلح الأمة الإسلامية، فإن المجتمعات الإسلامية متىٰ تواصت بالثبات علىٰ

الحق، والذي تقدم بيانه وهو: الإيمان والعمل الصالح وتحكيم الشريعة، وأخلاق الإسلام الاجتماعية، متىٰ تواصت المجتمعات الإسلامية بهذا فقد امتلكت القوة الإيمانية.

وكذلك متىٰ حصَّلت المجتمعات الإسلامية القوة المادية: قوة العلم والاقتصاد والسلاح، ونحو ذلك ممَّا من شأنه أن يحقق لها القوة المادية، فإنها تضيف لنفسها مع القوة الإيمانية القوة المادية، فتعود لقوتها ومكانتها.

متىٰ توجه الدعاة والمصلحون لإصلاح الأمة الإسلامية وفق شرع الله، فتكونت المنظمات، والمحاكم الدولية الإسلامية، وتكونت الهيئات التي من شأنها أن تؤلف بين المجتمعات الإسلامية وفق مراد الله، حصل التآلف بين المسلمين، وقل الخلاف والتنازع والافتراق.

كذلك مما يجب علىٰ المجتمعات الإسلامية التواصي بالصبر عليه هو التواصي بأخلاق الإسلام مع غير المسلمين سواء من كان داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه، وسواء كانت الحالة حرب أو سلم، فتوحدت طريقتنا في ذلك، حصل بيننا الألفة، بفضل الله تعالىٰ.

والمقصود من هذه القاعدة الإسلامية العظيمة هو توحيد منهج الإصلاح للمجتمع والأمة، وهذا التوحيد كما سيحقق لنا رضا الله، سنحصل من خلاله علىٰ الاجتماع والائتلاف، ونبتعد عن التنازع والافتراق.

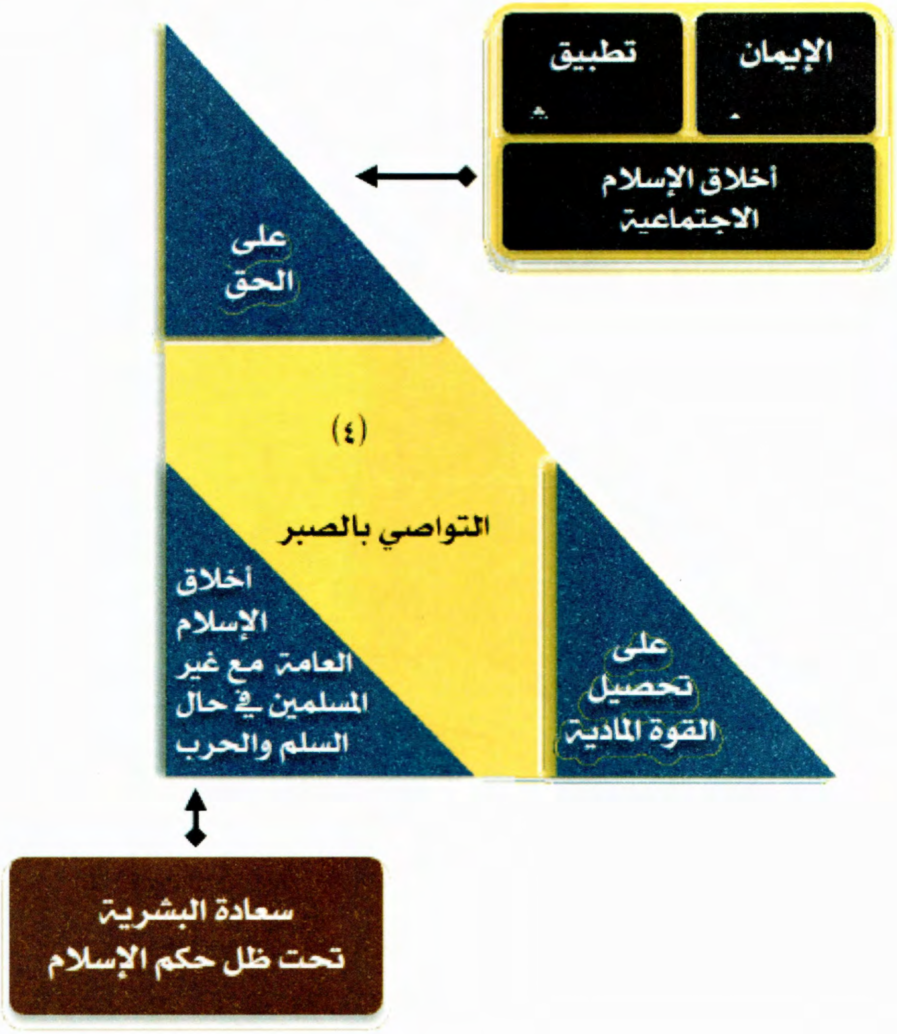

وفي ختام هذا المطلب سأذكر خلاصة قواعد الإسلام في التأليف بين المسلمين:

١- توحيد الرابطة بين المسلمين؛ وهي رابطة الأخوة الإسلامية.

٢- توحيد مصدر تلقي الدين الإسلامي، وهو الوحي الإلهي.

٣- توحيد العقيدة الإسلامية.

٤- توحيد الشريعة الإسلامية.

٥- توحيد منهج تزكية المسلم.

٦- توحيد منهج إصلاح المجتمع والأمة.

إذا اهتم المسلمون بهذه القضايا الستة، فالتزموا بها تحقق لهم التمسك بالإسلام، وفازوا برضا الله تعالىٰ، وحصلوا علىٰ سعادة الدارين، وتحقق التآلف بين المسلمين، وقل التنازع والاختلاف، وتلاشت أسباب الافتراق، والله أعلم.

المطلب الرابع: تحذير الإسلام من الافتراق

١- أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن؛ عن عبد الله بن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: هذه سبل -- قال يزيد: متفرقة - على كل سبيل منها شيطان؛ يدعو إليه. ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(١)].

إنَّ الصراط المستقيم: هو دين الله، المبني على القول والعمل، وهو الذي به تتحقق التقوى، وهو الذي عليه الأنبياء والرسل، وآخرهم محمد ﷺ، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان؛ فكل من التزم ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله تعالى، فآمن بالخبر بلا شك، والتزم الطلب بلا شرك، فهو على الصراط، وهو من المتقين، وبهذا الأمر يكون الاجتماع ويكون الائتلاف.

وفي الحديث: حث على اتباع الصراط، ولزومه، وعدم الاستجابة للشهوات، أو الشبهات الداعية لمفارقته.

بين النبي ﷺ أن الطريق الموصل إلى رضوان الله مستقيم، وفيه إشارة إلى وضوح الدين المحض الخالي من البدعة، وقربه من النفوس، وسهولته في الالتزام، وتحقيقه السعادة في الدارين، وتحقيق التآلف بين المسلمين.

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٣٥).

لقد بين الرسول ﷺ أن الشياطين سواء من الجن، أو من الإنس يدعون لمفارقة الصراط، وذلك بترك الدين، ردة، أو بتفريقه: بأخذ بعضه أو ترك بعضه، ابتداعا، أو بالمفارقة لجماعة المسلمين، خروجا عليهم بالسلاح.

إنَّ سبل الشياطين: الدعوة إلىٰ جعل الدين قولا بلا عمل، وإلىٰ ترك العمل بالحق، بل إلىٰ العمل بخلافه، وإلىٰ إيهام الناس أن الباطل هو الدين الحق، فمن اتبعهم فقد اتبع سبيل المغضوب عليهم.

ومن السبل تبقىٰ: الدعوة إلىٰ التعبد لله علىٰ غير السنة، سواء في الأقوال أو الأعمال، مع إيهامهم بأنهم علىٰ الصواب، فيدعونهم إلىٰ التقدم علىٰ خبر الله وعلىٰ الإلحاد فيه بدعوىٰ التنزيه، ويدعونهم إلىٰ الاعتراض علىٰ شرع الله بزعم المصلحة، وإلىٰ الشرك في عبادة الله بدعوىٰ الشفاعة، ونحو ذلك، فمن اتبعهم، فقد سلك طريق الضالين.

ففي الحديث دعوة المسلمين إلىٰ التآلف والاجتماع بالتزام السير في الصراط المستقيم، والتحذير لهم من مفارقته، واتباع دعاة الافتراق.

الصراط المستقيم: هو دين الله، المبني على القول والعمل، وهو الذي به تتحقق التقوى، وهو الذي عليه الأنبياء والرسل، وآخرهم محمد-صلى الله عليه وسلم-، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان.

من سبل الشيطان (الدعوة إلى سبيل المغضوب عليهم): ١-الدعوة إلى جعل الدين قولا بلا عمل. ٢- ترك العمل بالحق. ٣-العمل بخلاف الحق. ٤- إيهام الناس أن الباطل هو الدين الحق. كالمرجئة والرافضة والفرق الباطنية من النصيرية والدروز والإسماعيلية ودعاة التغريب ونحوهم.		ومن سبل الشياطين: (الدعوة إلى سبيل الضالين): ١-التعبد لله على غير السنة، سواء في الأقوال أو الأعمال. ٢-التقدم على خبر الله وعلى الإلحاد فيه بدعوى التنزيه. ٣- الاعتراض على شرع الله بزعم المصلحة. ٤-الشرك في عبادة الله بدعوى الشفاعة. الصوفية والرافضة والفرق الكلامية والجماعات الغالية في التكفير.

٢- أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، «وفي المسند وموطأ مالك: وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

علمنا رسولنا ﷺ في هذا الحديث كيف تكون علاقتنا مع الله: تكون بالعبودية الخالصة؛ حبا وخوفا ورجاء؛ بما شرع في جميع الحياة.

وكيف تكون علاقتنا مع المجتمع الإسلامي: تكون بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو دينه، هو الكتاب والسنة. والاعتصام: هو الالتزام والالتفاف. فتتآلف القلوب بالاجتماع علىٰ الدين الإسلامي، فهو الموحِّد لنا، مهما تباعدت المناطق، ومهما اختلفت اللغات واللهجات، ومهما تعددت الألوان، واختلفت المناصب والوظائف.

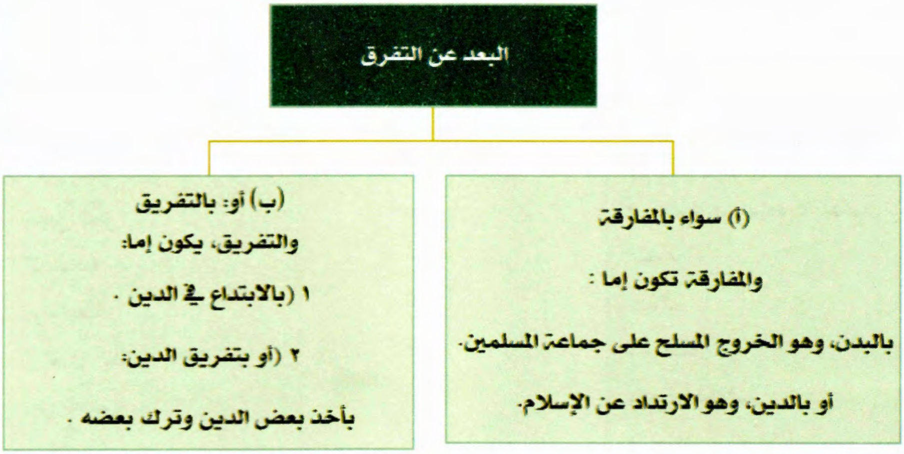

وحذرنا من البعد عن التفرق:

وعلمنا كيف تكون علاقتنا مع ولاة الأمر: وأن تناصحوا من ولاَّه الله أمركم، وذلك بأداء ماله من السمع والطاعة في المعروف، وبالتعاون معه في تحكيم شرع الله، وبالالتزام بالوظيفة والمهمة الموكلة لك، وبذكر محاسنه، والمحافظة علىٰ هيبته، والدعاء له بالهداية والسداد.

وببيان ما عليه: من الحكم بين الناس بالعدل، وإيكال الأمور إلىٰ المؤهل لها.

٣- وأخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن النواس بن سمعان الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله:

«ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلىٰ جنبتي الصراط: سوران، بينهما أبواب مفتحة، وعلىٰ الأبواب ستور مرخاة.

وعلىٰ باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرقوا.

وداع يدعو فوق الصراط، فإذا أراد إنسان فتح شيء من تلك الأبواب قال له: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه.

فالصراط: الإسلام. والستور: حدود الله. والأبواب: محارم الله.

والداعي علىٰ رأس الصراط: كتاب الله تعالىٰ.

والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»(١).

في الحديث تفسير الصراط المستقيم بالإسلام، والأمر بالاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، وذلك بالاجتماع علىٰ الإسلام كاملا، وعدم المفارقة له، أو تفريقه بأخذ بعضه وترك بعضه، مما يولد البدع، ويسبب التنازع، وينتج الفرق الضالة.

وفيه: بيان الطريق الصحيح في السير علىٰ الصراط: وذلك باتباع القرآن، كما بينه رسولنا ﷺ وفهمه سلفنا الصالح، وعلىٰ رأسهم الصحابة الكرام، فهم القدوات السائرون علىٰ الصراط.

وفيه: الحث علىٰ البعد عن المحرمات، فإن الاقتراب منها سبب للوقوع فيها.

وفيه: بيان رحمة الله بالمسلم بأن جعل في قلبه واعظا ينهاه عن

(١) (٤/ ١٨٢).

المعاصي، ويحثه علىٰ الطاعات.

يجب علينا إن أردنا التآلف والاجتماع، أن نبتعد عن أسباب التفرق الكبرىٰ، والتي يحاول شياطين الإنس والجن دعوة المسلمين إليها، ويقوم دعاة التفرق بالترويج لها بين المسلمين، ويمكن تعدادها في الأمور التالية:

١- تفكيك الرابطة:

من أعظم أسباب الافتراق هو تقطيع رابطة التآخي بين المسلمين، ويكون ذلك، بالاستبدال، أو التكفير بغير حق، أو التحزيب من خلال الأمور التالية:

أ- إيجاد روابط جديدة، بدلًا عن الرابطة الإسلامية، وهي رابطة التآخي في الإسلام، كرابطة القومية، أو الرابطة الوطنية، أو المصالح المادية.

ب- التكفير بغير حق، فهذا يعني قطع الرابطة الإسلامية مع هؤلاء الذين وقع عليهم التكفير، فيتحقق الافتراق، ويزول الائتلاف، وهذا ما حصل من بعض الفرق التي اتخذت التشيع لآل البيت ستارًا، فنشرت التكفير بغير الحق بين المسلمين، ووقع كذلك من الخوارج ومن الجماعات الغالية في التكفير.

كل هؤلاء وجدوا لهم أتباعًا من الداخل، ووجدوا لهم أعونًا من الخارج، فكانوا أداة ضخمة في التفريق بين المسلمين.

جـ- التبعيض للدين الإسلامي، فكل من تمسك ببعض دون بعض، وتحزب عليه؛ اعتبر الطرف الآخر غير مسلم، وهذا حاصل في كل الأحزاب ذات الطابع الديني، حيث تتحزب علىٰ بعض الإسلام، معتبرة إياه كل الإسلام، وتبرأ ممن لم يعمل عملها، وينهج منهجها.

٢- الطعن والاستبدال للمصدر:

فمن أسباب الافتراق: الطعن في مصادر الدين، وإيجاد مصادر غير صحيحة له؛ وقد فطن دعاة الافتراق لهذه الحقيقة، فكانت لهم محاولات متعددة ومتنوعة، منها:

أ- الدعوة إلىٰ الاقتصار علىٰ القرآن دون السنة.

ب- الدعوة إلىٰ الاقتصار علىٰ الأحاديث المتواترة دون الآحاد في أمور العقيدة.

ج- الطعن في كتب السنة.

د- الطعن في القرآن.

ه- الطعن في النبي ﷺ.

و- الطعن في رواة السنة من الصحابة، ومن بعدهم.

٣- التشكيك في العقيدة:

فيقوم دعاة الافتراق بالأمور التالية:

أ- التشكيك في أخبار الوحي، وفي أصول العقيدة الإسلامية.

ب- الدعوة إلىٰ عقائد مبتدعة.

ج- نشر الشرك في العبادات.

د- إخراج جوانب الحياة الاجتماعية من العبادة.

هـ- إشاعة الفهم الخاطئ للوحي بين المسلمين، ويكون ذلك من خلال:

- الطعن في فهم السلف الصالح.

- الطعن في فهم علماء الإسلام المعروفين.
- إحياء فهم الفرق الضالة.
- جعل الفهم وفق الهوىٰ والرغبة.

٤- التبعيض والابتداع في الشريعة:

ومن أسباب الافتراق: التقدم والاعتراض علىٰ كلام الله، وكلام رسوله، فيحصل تبعيض الدين والابتداع فيه، وذلك من خلال الأمور التالية:

أ- جعل الوحي موزونًا لا ميزانًا، سواء لعلم الكلام أو الفلسفة أو العلوم المادية.

ب- الاعتراض علىٰ الأحكام الشرعية بالأعراف والعادات أو بالمصالح أو بالواقع.

ت- نشر الإلحاد في فهم النصوص الشرعية، بصرفها عن ظواهرها بلا مستند شرع.

ث- نشر البدع العقائدية أو العبادية بين المسلمين.

٥- إفساد المسلم:

وذلك بإدخال مناهج للتربية مخالفة لمنهج الإسلام، سواء كانت مستمدة من الأديان الشرقية، أو كانت مستمدة من المذاهب الفكرية الغربية.

٦- إفساد المجتمع الإسلامي:

وذلك بنشر الكفر والشرك والفسق والمعاصي، وبجعله غير محكوم بشرع الله، أو جعله غير صالح لعبادة الله، وجعل أخلاق الجاهلية هي السائدة فيه.

هذه الأمور هي التي ينطلق منها دعاة الفرقة لبث الخلاف والنزاع بين المسلمين، تحتاج إلىٰ دراسة موسعة، وإلىٰ ذكر أمثلة عليها، وليس مجالها هذا البحث المعتني بقواعد الائتلاف، وإنما مجالها البحث في أسباب الافتراق.

المطلب الخامس: المراد بالجماعات وكيفية الحكم عليها

لقد حثنا الإسلام علىٰ التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وحثنا علىٰ تقاسم الأعمال الاجتماعية المفيدة للمسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

فحث الإسلام المسلمين علىٰ الاجتماع والتعاون، سواء كان ذلك في مجتمع الأقارب، أو مجتمع الجيران، أو مجتمع العمل ونحو ذلك.

يراد بالجماعة: أي مجموعة من الناس اجتمعت علىٰ عمل معين، وكان لها مسؤول، وأهداف.

ويحكم علىٰ الجماعات بالنظر إلىٰ غاياتها، وبالنظر إلىٰ وسائلها لتحقيق تلك الغايات.

فالغايات تنقسم إلىٰ خمسة أقسام:

١- غايات واجبة، كالاجتماع لأداء صلاة الجماعة.

٢- غايات مستحبة، كالاجتماع علىٰ طلب العلم والدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- غايات مباحة، كالاجتماع علىٰ الطعام.

٤- غايات مكروهة، كالاجتماع علىٰ مضيعات الوقت.

٥- غايات محرمة، كالاجتماع علىٰ المعاصي والبدع.

وأيضًا يحكم علىٰ الجماعات بالنظر إلىٰ وسائلها.

فلا يكفي شرعية الغاية؛ بل لا بد من التأكد من شرعية الوسيلة. فقد تكون الغاية: واجبة أو مستحبة، ولكن الوسيلة محرمة، فهنا لا يجوز التعاون علىٰ مثل هذا العمل، ولا يجوز الانضمام إلىٰ هذه الجماعة.

والوسيلة تكون شرعية بأحد أمرين:

أ- ثبوتها في الشرع كالدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

ب- خلوها من المحرم كبدعة أو معصية.

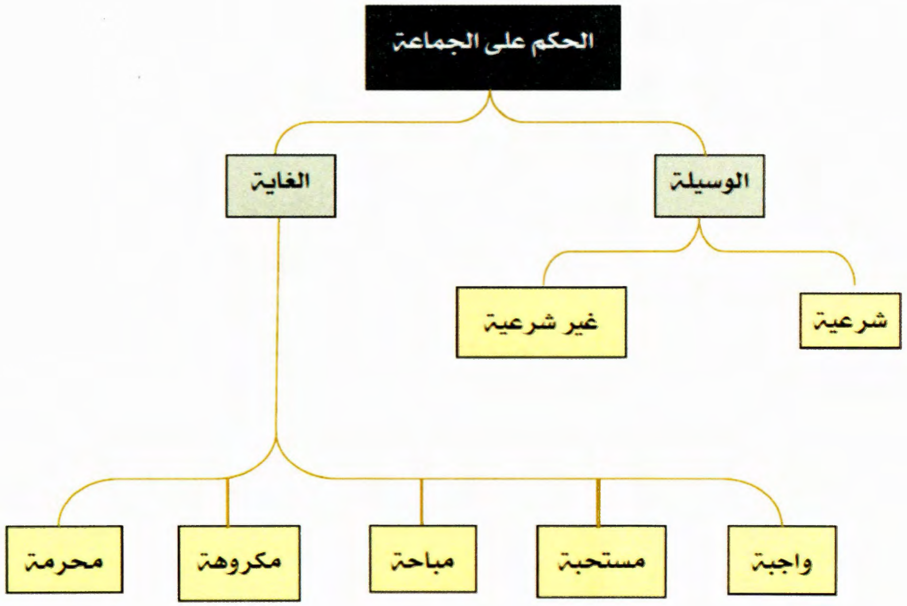

عندما يشترك المسلم في عمل جماعي، فعليه أن يأتلف معهم، ويبتعد عن أسباب الافتراق، ومن ذلك:

أ- عليه السمع والطاعة في المعروف للمسؤول.

ب- عليه العمل بالشورىٰ.

ج- عليه بذل الجهد في أداء ما كلِّف به من عمل.

إذا كان المسلم ممن لا يطيق الأعمال الجماعية، ولكنه يعمل في خدمة دينه منفردًا، فعليه أن يكف أذاه عنهم، ويعينهم بما يستطيع وإن لم يشاركهم، وعليه أن يدعو لهم.

إنَّ الإسلام يطلب من المسلم وهو يعمل مع الجماعة أن يكون بوعي، فإنه سيحاسب فردًا، ولا ينفعه أن يحتج بأنَّ أغلب الجماعة يعمل ذلك الخطأ.

أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، فاستعمل رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلىٰ.

قال: فاجمعوا لي حطبا، فجمعوا.

فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوها.

فقال: ادخلوها. فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضا؛ ويقولون: فررنا إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم من النار، فما زالوا حتىٰ خمدت النار، فسكن غضبه.

فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها إلىٰ يوم القيامة، الطاعة في المعروف**»[(١)].

---

(١) كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة (٨/ ٥٨) ح (٤٣٤٠).

فالنبي ﷺ أخبر بأن الذي أطاعوا بلا وعي، بأن ذلك لا ينفعهم عند الله، ولا ينفعهم أنهم فعلوا ذلك ضمن مجموعة، بل حكمهم حكم المنتحر يوم القيامة.

يجب علىٰ المسلمين في المجتمع الإسلامي الحذر من تصنيف الجماعات العاملة لخدمة المسلمين بغير عدل ويقين. ويجب علىٰ الجماعات العاملة التآلف والتعاون فيما بينها، وإن اختلفت الأعمال، وتنوعت الوسائل فكل ذلك خير، ولا ينبغي للمؤمن أن يكره انتشار الدين والخير عندما يقوم به غيره.

والوصية لهذه الجماعات: أن يتركوا الحسد فيما بينهم، ويحلوا الخلافات التي تقع بينهم وفق شرع الله، ويحذروا من الكيد لبعضهم، والواجب هو التكامل والتعاون، والسعي للوصول لمرحلة الجسد الواحد، والبنيان المشدود.

يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن نبينا محمدًا ﷺ بين لنا دربًا واحدًا يجب علىٰ المسلمين أن يسلكوه، وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كما نهىٰ رب العزة والجلال أمة محمد ﷺ عن التفرق واختلاف الكلمة؛ لأن ذلك من أعظم أسباب الفشل وتسلط العدو كما في قوله جل وعلا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣]. فهذه دعوة إلهية إلىٰ اتحاد الكلمة وتآلف القلوب.

والجمعيات إذا كثرت في أي بلد إسلامي من أجل الخير، والمساعدات، والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين دون أن تختلف أهواء أصحابها فهي خير وبركة وفوائدها عظيمة.

أما إن كانت كل واحدة تضلل الأخرى، وتنقد أعمالها؛ فإن الضرر بها حينئذ عظيم والعواقب وخيمة، فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة، ومناقشة كل جماعة أو جمعية، ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده، ودعا إليه نبينا محمد ﷺ، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده لمصالح شخصية، أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به، والتحذير منه؛ ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه، ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه، في قوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولا، وأعداء الإسلام من الإنس ثانيا، لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك، والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين، ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم.

نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه»(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، (٥/ ٢٠٠).

المطلب السادس: المراد بالأحزاب وكيفية الحكم عليها

يراد بالحزب: جماعة عقدت الولاء والبراء علىٰ مبادئها.

ويراد بالمجتمع الإسلامي: الشعب المسلم، المحكوم بشريعة الله تعالىٰ.

فإذا أردنا معرفة حكم الأحزاب فإننا ننظر إلىٰ المبادئ التي تم عقد الولاء والبراء عليها.

أ- فإذا كان عقد الولاء والبراء علىٰ الإسلام كلِّه، فهذا هو الواجب، وبه يتحقق الفلاح والنصرة والتآلف.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦].

ب- وإذا كان عقد الولاء والبراء علىٰ جزء من الإسلام، فهذا محرم، وهو الذي يفرق جسد الأمة الإسلامية، ويقطع أوصالها، ومثله كمثل قطع اليد اليمنىٰ عن الجسد، أو اليسرىٰ، أو قطع ساق، أو إزالة عين أو جدع أنف؛ ثم يتصور ذلك المقطوع أنه يمثل الجسد كاملًا، ويرىٰ أنه بانفصاله يكون أقوىٰ وأنفع.

فهناك من يتحزب علىٰ طلب العلم مثلًا، ويأخذ جانبًا منه، ثم يعقد الولاء والبراء عليه، ويكون تعامله مع من ليس من جماعته الحزبية أقل في النصح والتمكين والمحبة والاحترام بمراحل ممن هو في حزبه.

وهكذا فيمن أخذ جانبًا من جوانب الدعوة، وهكذا من أخذ جانب الحسبة، أو الجهاد، أو الفقه، وكل حزب بما لديهم فرحون، ويرىٰ أن الآخرين ليسوا علىٰ شيء.

إذا أردنا التآلف فعلينا أن ننبذ هذه الحزبيات، وإن كانت علىٰ جزء من الدين، والأمر المخيف إذا وصل الأمر إلىٰ التكفير أو التبديع بين هذه الجماعات الحزبية، فإنها ستتحول إلىٰ فرق، وسيشملها الوعيد بالنار.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن جعل شخصا من الأشخاص غير رسول الله ﷺ؛ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق»(١).

ويقول: «ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولا يفارقون به جماعة المسلمين؛ يوالون عليه ويعادون؛ كان من نوع الخطأ. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك. ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها: لهم مقالات قالوها باجتهاد وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة؛ بخلاف من والىٰ موافقه وعادىٰ مخالفه وفرق بين جماعة المسلمين وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات؛ واستحل قتال مخالفه دون موافقه فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات»(٢).

ج- وإذا كان عقد الولاء والبراء علىٰ أمر من الأمور المباحة، فهذا محرم أيضًا، فإذا كان عقد الولاء والبراء علىٰ واجب من واجبات الدين دون غيره محرم، فهذا من باب أولىٰ.

فعقد الولاء والبراء علىٰ النسب والقبيلة محرم.

وعقد الولاء والبراء علىٰ التراب والوطن محرم.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٤٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٤٩).

وهذا أيضًا من الأمور التي تفرق الأمة الإسلامية، وتقطع أوصالها، وتذهب قوتها، وتزيل تكاملها.

ومن علامات التحزب على الأوطان: أن ترى وطنًا إسلاميًا مجاورًا لك تصيبه النكبات ولا يؤثر ذلك فيك شيئًا، بل قد تشمت، وترى نزول الخيرات به؛ فيحزنك ذلك ولا يفرحك.

فتتعامل مع المسلم الذي ليس من وطنك تعاملا أقل في الخدمة والمحبة والاحترام بمراحل من تعاملك مع المسلم الذي من وطنك، فهذا ونحوه من علامات التحزب المذموم شرعا.

د- إذا كان عقد الولاء والبراء على أمر محرم، كالمذاهب الفكرية الغربية المعاصرة، مثل: العلمانية والليبرالية والديموقراطية والبراجماتية والاشتراكية، ونحو ذلك، فهنا يزداد الأمر حرمة، ظلمات بعضها فوق بعض.

فلا يجوز تفريق المجتمع الإسلامي، المحكوم بشريعة الإسلام، بمثل هذه الأحزاب المحرمة، حزب علماني، وحزب ديمقراطي، وحزب تنويري، وإذا قام أصحاب هذه الأحزاب بالادعاء بأن ما هم عليه هو من الإسلام، فبدون شك تتحول هذه الأحزاب من أحزاب محرمة فحسب، إلى فرق ضالة من الفرق الهالكة، بل قد يصل بهم الأمر إلى كونهم من الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

وسبب القول بذلك هو تحول مبادئهم من مبادئ محرمة، وهم يعلمون أنها محرمة، إلى القول بأنها من الإسلام، فهذا ابتداع في الدين، والتحزب على بدعة يحول الحزب إلى فرقة. وإذا كانت البدعة مفسقة غير مكفرة فهذه فرقة ما زالت في دائرة الإسلام، وأما إذا كانت البدعة مكفرة، فهذه

فرقة منتسبة للإسلام، فليس لها من الإسلام سوىٰ الانتساب والدعوىٰ، وإلا فبدعتها الكفرية خرجت بها من ملة الإسلام.

وخلاصة هذا المطلب:

١- التحزب علىٰ الدين الإسلامي كلِّه، واجب، وبهذا يكون التآلف، وتتكون جماعة المسلمين؛ والتي هي مظلة جميع المسلمين، ورابطة التآخي في الإسلام هي الرابطة بينهم جميعًا.

٢- التحزب علىٰ: جزء من الإسلام، والتحزب علىٰ أمر مباح، هذا التحزب يفرق الأمة الإسلامية، فهي أحزاب محرمة.

٣- التحزب علىٰ جزء من الإسلام، وإنكار الأجزاء الأخرىٰ، يحول ذلك الحزب إلىٰ فرقة ضالة.

٤- التحزب علىٰ أمر محرم: محرم، فإذا اعتبره من الدين، وجادل عنه، ودلل له، فقد تحول هذا الحزب إلىٰ فرقة ضالة.

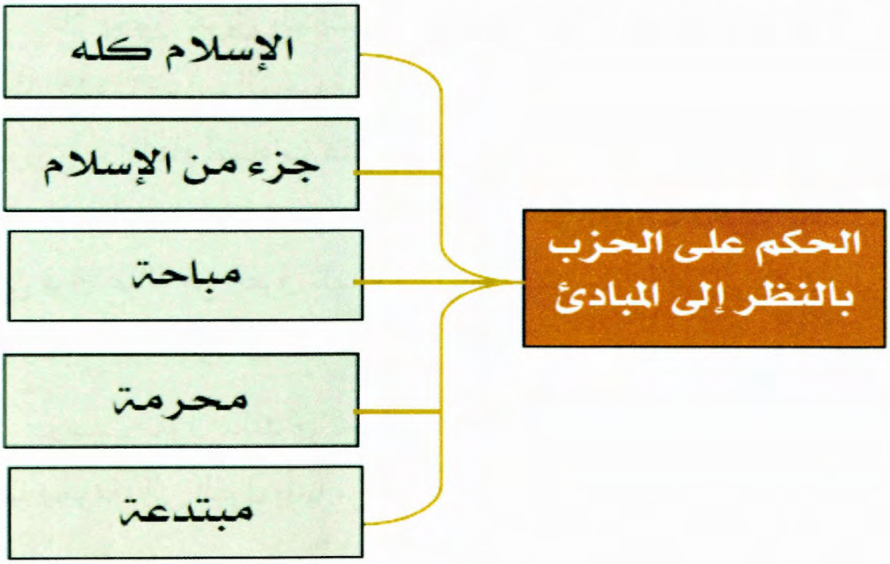

أسأل الله تعالىٰ المغفرة، أن يؤلف بين قلوب المسلمين.

المطلب السابع: المراد بالفرق وكيفية الحكم عليها

الفرقة عبارة عن حزب والىٰ وعادىٰ علىٰ بدعة.

وكيفية الحكم عليها: يكون بالنظر إلىٰ البدعة.

فالبدعة إن كانت مكفرة، كبدعة النصيرية والدروز والبابية والبهائية والقاديانية، فهذه فرق خارجة عن الإسلام، وتسمىٰ أحيانًا فرقا منتسبة للإسلام.

وأما إن كانت غير مكفرة، كبدعة الأشاعرة والزيدية والماتريدية والخوارج والمرجئة، فهذه فرق داخله في الإسلام، وتسمىٰ أحيانًا فرقا إسلامية.

وأما بالنسبة لأهل السنة الجماعة، فقد سموا فرقة لأنهم فورقوا لا أنهم فارقوا، فهم باقون علىٰ الأصل، متمسكون بالإسلام كله، الإسلام الخالي من البدعة. فهم الفرقة الناجية التي نجت من الوعيد بالنار لعدم مفارقتها هدي رسولها ﷺ عقيدة وعبادة، وأما الفرق الأخرىٰ فهي فرق هالكة لكونها متوعدة بالنار لمفارقتها هدي رسول الله ﷺ.

المطلب الثامن: حديث الافتراق وأسباب نشأة الفرق

أولًا: حديث الافتراق:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارىٰ علىٰ إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة» أخرجه أبو داود، وهذا لفظه، وابن ماجه(١) وغيرهما.

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا علىٰ ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة». أخرجه أبو داود(٢).

وورد كذلك من حديث أنس بن مالك، وعوف بن مالك، وعبد الله بن عمرو بن العاص. والحديث حكم عليه جماعة من أهل العلم بالصحة لمجموع طرقه، كالترمذي والحاكم وابن تيمية والذهبي والشاطبي والبوصيري وابن حجر وأخيرًا: الشيخ الألباني: رحمهم الله جميعًا.

ومعنىٰ الحديث: أن هذه الأمة، والمراد بها: أمة الإجابة - الأمة الإسلامية - سيحصل لها من التفرق في الدين، كما حصل لأهل الكتاب،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنة (٤ / ١٩٧ برقم ٤٥٩٦). وابن ماجة، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢١ برقم ٣٩٩١).

(٢) في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنة (٤/ ١٩٨ برقم ٤٥٩٧).

فاليهود تفرقوا، وانقسموا إلىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة وأما النصارىٰ فقد انقسموا إلىٰ ثنتين وسبعين فرقة، وأما هذه الأمة فستنقسم إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة فرقة واحدة هي الباقية علىٰ الأصل، المتمسكة بما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة، ولم تبتدع في دينها، ولذلك وصفت بالجماعة، أي المجتمعة علىٰ الحق، وأما بقية الفرق فقد فارقت ببدعها هذا الأصل، واستحقت بذلك الوعيد بالنار، فقوله ﷺ: «كلها في النار» لا يعني: التخليد، وإنما علىٰ جهة الوعيد كأصحاب الكبائر من الذنوب، ولذلك أخبر النبي ﷺ أنهم من أمته وأنهم من أهل هذه الملة، فلو كانوا كفارًا لسلبهم ﷺ هذا الوصف.

وأما من طعن في صحة الحديث من ناحية متنه، وخاصة قوله ﷺ: «كلها في النار إلا واحدة» وجعل في ذلك منافاة للفضائل الكثيرة التي اختص الله بها الأمة الإسلامية، فإن هذا الإشكال مدفوع من وجوه كثيرة منها:

١- أن الحكم عليهم بالنار من باب الوعيد لا التخليد.

٢- أن الفرق المتوعدة بالنار رغم كثرتها، ووصولها إلىٰ اثنتين وسبعين فرقة، فإنها لا تصل إلىٰ كثرة عدد من هم من أهل الفرقة الناجية.

٣- أنه قد يكون من هو من أتباع الفرق المتوعدة، معذور بتأويل أو شبهة أو جهل أو غير ذلك.

ثانيًا: أسباب نشأة الفرق:

١- الجهل بالكتاب والسنة، وعدم فهم نصوصهما الفهم الصحيح، وعدم رد المتشابه إلىٰ المحكم، وعدم الجمع بين النصوص، فيعمل نصًا ويعطل آخر، هذا السبب من أعظم أسباب نشأة الفرق، يقوم جاهل بالدين، بفهم خاطئ، فيدعو لما يظنه صوابًا بكل ما أوتي من جدل وقوة

بيان، ويتبعه علىٰ ذلك فئام من الناس، ويتحزبون عل تلك البدعة.

٢- إتباع الهوىٰ، والحقد علىٰ الإسلام وأهله، دفع بعض الأشخاص لإفساد الإسلام في عقيدته وشريعته فدعوا الناس لتلك البدع مخادعًا لهم بأنها الإسلام الحقيقي المصفىٰ.

٣- تعظيم الآراء، وجعلها قواطع عقلية لا تقبل الخطأ، وبالتالي يرفضون ما خالفها وإن كانت نصوصًا شرعية صحيحة، ويقومون بتأويلها أو ردها بالكلية.

٤- الخضوع تحت المؤثرات المعادية للإسلام، أو المخالفة له، من ديانات منحرفة، ومذاهب باطلة، وفلسفات مختلفة، وسياسات ملتوية، فيتشرب بعض الأفراد تلك الأفكار ويقومون بالدعاية والترويج لها بين أهل الإسلام، بانبهار عجيب، وتأثر غريب.

المطلب التاسع
المراد بأهل السنة والجماعة وأهل البدعة والضلالة

أولا: تعريف السنة، وأهل السنة والجماعة، وأبرز صفاتهم:

السنة: في باب العقيدة لها إطلاقان، إطلاق خاص، وإطلاق عام:

(١) الإطلاق الخاص للسنة، تطلق ويراد بها ما يقابل البدعة، فهي:

أ- الإسلام المحض الخالي من البدعة.

ب- ما كان عليه رسول ﷺ، وصحابته الكرام، في باب العقائد والعبادات، من الأقوال والأفعال.

ج- السير في أمور الدين على ما سار عليه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام.

(٢) الإطلاق العام (أو ما يعرف عند العامة) للسنة، تطلق ويراد بها ما يقابل الشيعة، فيقال: سني وشيعي، فهي:

الترضي عن صحابة رسول الله ﷺ، وإثبات خلافة من تقدم عليًا رضي الله عنهم، والقول بأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ومحبة آل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم الزوجات والأبناء. وأما الشيعة فهم الغلاة في علي رضي الله عنه والذين يعتقدون بأن الخلافة له بعد رسول الله ﷺ بلا فصل، وأنه أفضل صحابة رسول الله ﷺ إطلاقًا، وأن الصحابة الذين تقدموه في الخلافة اغتصبوها منه، فخلافتهم باطلة، ونحو ذلك من المعتقدات، فكل من أثبت خلافة الثلاثة وربع بعلي رضي الله عنه وعنهم يسمى «سني»، وكل من أنكر خلافة الثلاثة الذين قبل علي رضي الله عنهم يسمى «شيعي».

السنة	
	ما يقابل البدعة، فهي الإسلام المحض الخالي من البدعة.
	ما يقابل الشيعة، فهي إثبات خلافة من تقدم علياً -رضي الله عنه وعنهم-، ومحبة صحابة رسول الله ﷺ وآل بيته.

أهل السنة والجماعة:

١- هم الصحابة، ومن سار علىٰ نهجهم.

٢- هم جماعة المسلمين.

٣- هم المتمسكون بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

٤- هم الذين اجتمعوا علىٰ الأخذ بسنة النبي ﷺ في الاعتقادات والعبادات.

٥- هم من لم يخالف في شيء من أصول الدين.

أبرز صفات أهل السنة والجماعة:

١- تقديم الكتاب والسنة علىٰ كل ما عداهما من الآراء والأهواء والسياسات والأذواق والأعراف والعادات.

٢- يأخذون بالمحكمات من نصوص الوحي، ويردون المتشابهات إلىٰ المحكمات.

٣- لا يبتدعون في الدين، سواء في العقيدة أو في العبادة، وإنما يتبعون فيهما ما ثبت عن رسول الله ﷺ.

ثانيًا: تعريف البدعة، وأهل البدعة والضلالة، وأبرز صفاتهم:

١- إحداث أمر في الدين سواء في العقيدة أو العبادة، لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن صحبه الكرام.

٢- ما لم يشرعه الله ولا رسوله سواء في العقيدة أو العبادة من الأقوال أو الأفعال أو الأحوال.

٣- طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالىٰ.

٤- الأمر الحادث بعد عهد رسول الله ﷺ في أمور الدين، وكان الداعي لإيجاده موجودًا في عهد رسول الله ﷺ، ومع هذا لم يفعله ولم يحض عليه.

ضابط تحديد البدعة

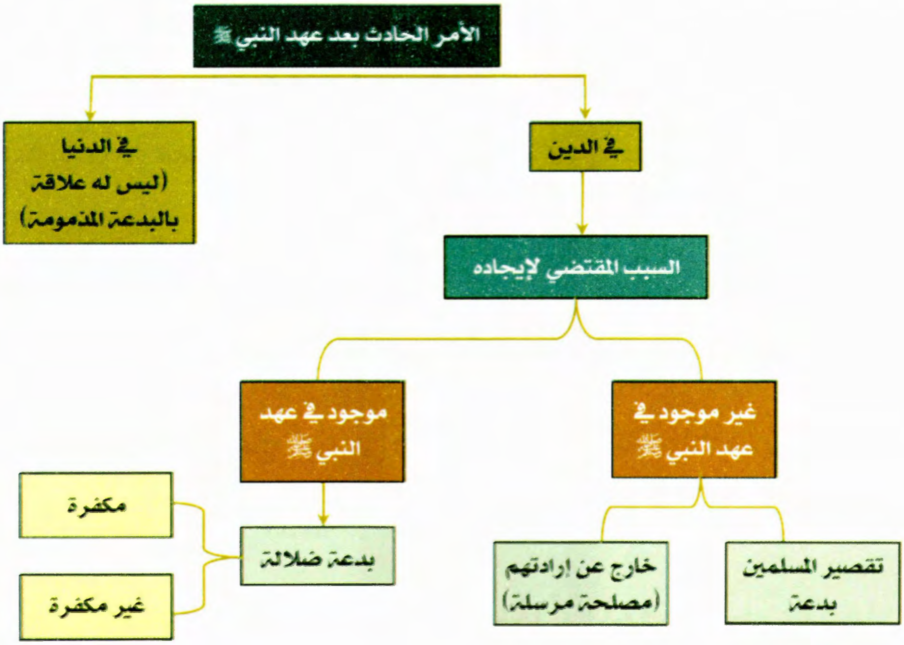

أهل البدعة والضلالة:

١- هم الذين ابتدعوا عقائد أو عبادات مخالفة للدين، واشتهرت مخالفتها عند سلفنا الصالح، وعند أهل العلم بالدين، كبدعة الخوارج والمرجئة والقدرية والصوفية.

وأما من وقع في بدعة خفية غير مشهورة، فهذا يعد مخطئًا، وينصح، لكن لا يصنف أنه من أهل البدع.

٢- هم المخالفون لأهل السنة والجماعة في المنهج لا في بعض المسائل، فمنهج أهل السنة والجماعة أن المصدر للدين هو الوحي الإلهي، وعدم التقدم والتقديم عليه، وجعله ميزانًا لا موزونًا، وأما منهج أهل البدعة والضلالة فهو جعل الوحي الإلهي موزونًا لعلومهم وآرائهم، فالفرق الكلامية: الوحي الإلهي موزون في علم الكلام، والطرق الصوفية: الوحي الإلهي موزون فيما يسمونه علم الكشف والذوق والوجد، والفرق الباطنية فيما يسمونه بعلم الباطن، وفرق التشيع موزون في أقوال أئمتهم، وهكذا...

فالمخالف في المنهج لأهل السنة والجماعة هم أهل البدعة والضلالة، والموافق في المنهج هو من أهل السنة والجماعة، والموافق في المنهج، لكنه أخطأ في بعض المسائل، فوافق فيها مقالات بعض أهل البدع، فهذا مخطئ، ولا يخرج عن كونه من أهل السنة والجماعة، فلننتبه لهذا الأمر.

أبرز صفات أهل البدعة:

١- تقديم الرأي، أو الهوىٰ، أو السياسة، أو الذوق، أو نحو ذلك علىٰ نصوص الكتاب والسنة.

٢- إتباع المتشابه من النصوص، وترك المحكم.

٣- العجلة في إصدار الأحكام علىٰ المخالفين بالكفر، أو الفسق، أو البدعة، أو النفاق، ونحو ذلك.

٤- القدح في الصحابة، أو أهل العلم المشهود لهم بالفضل والاستخفاف بالسنة وبأهلها.

المطلب العاشر
نبذة عامة عن الفرق وأبرز المؤلفات في الفرق

أولا: نبذة عامة عن الفرق:

لم تظهر الفرق في الأمة الإسلامية إلا بعد مقتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وظهور فرقة السبأية بقيادة عبد الله بن سبأ في أواخر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث عاشت الأمة الإسلامية فترة الصفاء والنقاء من البدع المحدثة، وقد ظهر في عهد النبي ﷺ بعض مظاهر البدع، ولكن سرعان ما عالجها رسول الله ﷺ ومن ذلك قصة الثلاثة نفر، الذين عزموا علىٰ الغلو في العبادة، فردهم النبي ﷺ إلىٰ السنة، وقصة بعض الصحابة الذين تنازعوا في القدر، فأمرهم النبي ﷺ بالإتباع والعمل وعدم الاعتراض علىٰ الشرع بالقدر.

وفي عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهر المرتدون ومانعوا الزكاة، فقاتلهم حتىٰ ردهم إلىٰ الإسلام، ودفع الزكاة.

وفي عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج صبيغ بن عسل يشكك الناس في متشابه القرآن، فضربه عمر بعراجين النخل حتىٰ ذهب عنه ما يجد من الشكوك.

وفي خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدأت الفتن تخرج رأسها، فبدأت السبأية تثير الناس علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ وصل الأمر بالثوار إلىٰ قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي العام ٣٧هـ، خرجت فرقة الخوارج بقيادة منظمة وزاد نشاط الفكر الشيعي السبأي، وتتابع ظهور الفرق فما انتهىٰ القرن الأول الهجري إلا وقد ظهرت القدرية، وتبعتها فرقة المرجئة.

وما بين عامي (١٠٠ - ١٥٠) ظهرت الجهمية والمجسمة، ثم ظهرت الفرق الكلامية من معتزلة وكلابية وأشعرية وكرامية وماتريدية وقد بدأ من قبل الغلو في العبادة، والانقطاع الكلي عن الدنيا، وكان هؤلاء بيئة خصبة لظهور فكر التصوف المنحرف القائم على فكرة وحد الوجود.

لقد كان لتلك الفرق أثر بالغ في تفتيت وحدة الأمة الإسلامية، وإذهاب قوتها رغم قلة أتباعها بجانب أتباع الفرقة الناجية.

أهم المسائل التي افترقت فيها الأمة، وأبرز فرقها.

باب: الأسماء والأحكام	الخوارج والمرجئة
باب: الصفات	الجهمية - المعتزلة - الكلابية - الأشعرية - الماتريدية
باب: القضاء والقدر	القدرية - الجبرية
باب: الإمامة والصحابة	الشيعة الاثنا عشرية - السبأية - الزيدية - الإسماعيلية - النصيرية - الدروز - البابية - البهائية
باب: الزهد والعبادة والذكر	الفرق الصوفية - التجانية - النقشبندية - القادرية - الشاذلية

ثانيًا: أبرز المؤلفات في الفرق:

للتأليف في الفرق طريقتان:

الأولى: جعل المسائل أصولًا، ثم إيراد أقوال الفرق في تلك المسألة.

مثال: كتب الردود: الرد على الجهمية للأئمة، أحمد بن حنبل، الدارمي، وابن منده، والجزء الثاني من مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري.

الثانية: جعل الفرق أو الأشخاص أصولًا، ثم إيراد جميع أقوالهم تحت ذلك.

مثال: الفرق بين الفرق، والجزء الأول من مقالات الإسلاميين وأغلب الكتب المعاصرة عن الفرق على هذا النحو.

أ- المؤلفات العامة في الفرق:

١- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري.

٢- التنبيه والرد، للملطي.

٣- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي.

٤- الفصل في الملل والنحل، لابن حزم.

٥- التبصير في الدين، للاسفراييني.

٦- الملل والنحل، للشهرستاني.

٧- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني.

٨- فرق معاصرة، د. غالب عواجي.

٩- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري، ناصر العقل.

ب- المؤلفات المفردة في الفرق؛ كثيرة، وعلى سبيل المثال:

الفرقة	أبرز الكتب المتحدثة عنها
(١) الجهمية	١- الرد على الجهمية، للإمام أحمد. ٢- التنبيه والرد، للإمام الملطي.
(٢) المعتزلة	١- الرد على الجهمية، للإمام الدارمي. ٢- المعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد بن عبد الله المعتق.
(٣) الكلابية	١- الكلابية، هدى الشلالي.
(٤) الأشاعرة	١- الأشاعرة والماتريدية، د. ناصر العقل. ٢- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة، د. خالد محمد نور.
(٥) الماتريدية	١- الماتريدية، د. شمس الأفغاني. ٢- الماتريدية، د. أحمد الحربي. ٣- منهج الماتريدية في العقيدة، د. محمد الخميس.
(٦) الشيعة ١٢	١- أصول مذهب الشيعة، د. ناصر القفاري. ٢- التقريب بين السنة والشيعة، د. ناصر القفاري ٣- الشيعة وأهل البيت/ الشيعة والتشيع/ الشيعة والقرآن/ الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير.
(٧) الإسماعيلية	١- الإسماعيلية، د. سليمان السلومي. ٢- الإسماعيلية، إحسان إلهي ظهير.

أبرز الكتب المتحدثة عنها	الفرقة
١- فتوى في النصيرية، لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى. ٢- الحركات الباطنية في ميزان الإسلام، محمد أحمد الخطيب.	(٨) النصيرية
١- الحركات الباطنية. ٢- عقيدة الدروز، وكلاهما للخطيب.	(٩) الدروز
١- البابية، إحسان إلهي ظهير.	(١٠) البابية
١- البهائية، د. محمد إبراهيم الحمد ٢- البهائية، إحسان إلهي ظهير.	(١١) البهائية
١- القاديانية، أبو الحسن الندوي. ٢- القاديانية، إحسان إلهي ظهير.	(١٢) القاديانية
١- القرآنيون، د. خادم بخش.	(١٣) القرآنيون
١- حقيقة التصوف، صالح الفوزان. ٢- النقشبندية، عبد الرحمن دمشقية. ٣- التجانية، علي محمد الدخيل الله. ٤- التصوف. «المنشأ والمصدر» ودراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير.	(١٤) التجانية والتصوف

الفرقة	أبرز الكتب المتحدثة عنها
(١٥) الخوارج	١- الخوارج قديمًا وحديثًا، د. ناصر العقل. ٢- ضوابط التكفير، د. عبد الله القرني. ٣- نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد الوهيبي. ٤- الخوارج، ناصر السعدي.
(١٦) الزيدية	١- زيد بن علي، للخطيب الشريف.

القسم الثاني
الخوارج والمرجئة

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان والكفر، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: حقيقة الإيمان في حديث الشعب.

المطلب الثاني: شعب الإيمان في حديث الشعب.

المبحث الأول: مقالات الخوارج، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الخوارج.

المطلب الثاني: حديث الخوارج وأبرز صفاتهم.

المطلب الثالث: متىٰ وكيف خرجوا ولماذا خرجوا؟

المطلب الرابع: فرق الخوارج.

المطلب الخامس: الجماعات المعاصرة الغالية في التكفير.

المبحث الثاني: مقالات المرجئة، وفيه المطالب التالية:

تمهيد: حديث الفتنة التي تموج كموج البحر، وظهور مصطلح المرجئة.

المطلب الأول: تعريف المرجئة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أنواع الإرجاء، والتعريف بكل نوع، مع الحكم عليه.

المطلب الثالث: مقالات المرجئة.

المطلب الرابع: حقيقة الإرجاء المنسوب لبعض الصحابة.

المطلب الخامس: حقيقة الإرجاء المنسوب للحسن بن محمد.

المطلب السادس: حقيقة الإرجاء المنسوب لأبي حنيفة.

المطلب السابع: مكانة عمل الجوارح في حقيقة الإيمان.

المطلب الثامن: آثار الفكر الإرجائي علىٰ الأمة الإسلامية.

تمهيد: منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان والكفر

إنَّ فهم مسألة الإيمان في غاية الأهمية، ففهمها فهم لحقيقة الدين الإسلامي، لأنَّ الإيمان في حال الإطلاق معناه الدين الإسلامي. وإنَّ من أراد الفهم الصحيح لمسألة الإيمان، فعليه بالرجوع إلىٰ الوحي من كتاب وسنة، وإنَّ من أعظم نصوص الحديث الموضحة لهذه المسألة هو حديث شعب الإيمان، فقد بيَّن فيه النبي ﷺ هذه الحقيقة من جميع جوانبها، فصار هذا الحديث في بيان مسألة الإيمان هو الكلمة السواء التي ينبغي رجوع جميع المسلمين إليها عموما، والمختلفين فيها خصوصا.

المسألة الأولى: تخريج حديث شعب الإيمان، وبيان ألفاظه.

أخرج البخاري حديث شعب الإيمان في صحيحه، فقال: **حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ** قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بن بِلاَلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[1].

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال: **حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ** قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ العقدي حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بن بِلاَلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِىٰ صَالِحٍ عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[2].

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، فتح الباري، (١/ ٥١)، ح (٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان (١/ ٦٣)، ح (٥٧).

وقد أخرجه مسلم بالشك، ففي صحيحه بإسناده عَنْ سُهَيْل عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[(١)].

وكذلك ابن ماجة أخرجه برواية الشك، ففي سننه بإسناده، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ سَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[(٢)].

وأما أبوداود فأخرجه برواية الجزم: «بضع وسبعون»، ففي سننه بإسناده عن سُهَيْل بْن أَبِى صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[(٣)].

وكذلك أخرجه الترمذي برواية الجزم: «بضع وسبعون»، ففي سننه بإسناده عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون بابا، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان (١/ ٦٣)، ح (٥٨).

(٢) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في الإيمان (١/ ٢٢)، ح (٥٧)؛ وصححه الألباني في كتابه صحيح ابن ماجه، ح (٥٧).

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء (٤/ ٢١٩)، ح (٤٦٧٦). وصححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، ح (١٧٦٩).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه (٥/ ١٠)، ح (٢٦١٤)؛ وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ح (٢١٠٨).

وكذلك النسائي أخرجه برواية الجزم: «بضع وسبعون»، ففي سننه بإسناده عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: الإيمان بضع وسبعون شعبة، **أفضلها** لا إله إلا الله، **وأوضعها** إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[1].

وكذلك الإمام أحمد أخرجه برواية الجزم «بضع وسبعون»، ففي مسنده بإسناده عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: الإيمان بضع وسبعون بابا، فأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، وأرفعها قول لا إله الا الله)[2].

وبهذا ترجح رواية الجزم بلفظ: «بضع وسبعون»، علىٰ من شك: «بضع وسبعون أو بضع وستون»، لكونها أكثر الروايات، ولكون من جزم أوثق ممن شك، وبهذا يكون لفظ حديث الشعب الراجح هو: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، والله أعلم.

وقد ورد في الأحاديث السابقة وصف شعبة الشهادة: بأرفعها وأفضلها، ووصف شعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق: بأدناها وأوضعها، وفي بعض الروايات: العظم بدلا عن الأذىٰ، وكلها ألفاظ متقاربة، تدل علىٰ أن الرواة ذكروا الحديث إما بالمعنىٰ، أو الحديث ذكره النبي ﷺ في أكثر من مجلس.

وأمَّا رواية الحديث المشهورة بلفظ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء

---

(١) سنن النسائي، كتاب الإيمان، باب ذكر شعب الإيمان (٨/ ١١٠)، ح (٥٠٠٤، ٥٠٠٥)؛ وصححه الألباني، صحيح النسائي، ح (٤٦٣٢).

(٢) المسند، (٢/ ٤١٤، ٤٤٥)؛ وصححه الألباني، صحيح الجامع، رقم (٢٧٩٩).

شعبة من الإيمان»، فهي بهذا اللفظ لم ترد في الكتب الستة، وإنما وردت في المعجم الأوسط للطبراني[1]، وأوردها الحليمي في كتابه المنهاج[2].

وبهذا يتبين لنا أنه لا يوجد أي إشكالية في متن الحديث، كما أنه لا يوجد أي إشكالية في سنده، بحمد الله.

المسألة الثانية: بيان المراد بمسألة الإيمان، والأسماء الأخرى لها.

١- **يراد بمسألة الإيمان:** المسائل المتعلقة بحقيقة الإيمان، وحقيقة الكفر، وحكم مرتكب الكبيرة.

وأبرز موضوعاتها: حقيقة الإيمان الشرعية، وحالاتها في النصوص من ناحية الإطلاق والتقييد، وحقيقتها من ناحية التركيب والإفراد، ومن ناحية مكوناتها، ومن ناحية الزيادة والنقصان، وحكم الاستثناء في الإيمان، والحكم علىٰ مرتكب الكبيرة.

وكذلك: حقيقة الكفر، ونواقض الإيمان القولية والعملية، والتكفير المطلق، وتكفير المعين، وضوابط التكفير. **وكذلك** عد شعب الإيمان، وبيان الترابط بين الشعب، والحديث عن أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، ونحو ذلك.

٢- **الأسماء الأخرىٰ لمسألة الإيمان:** تسمىٰ مسألة الإيمان بمسائل الإيمان، وتسمىٰ بمسائل الإيمان والتكفير، ومن أبرز الأسماء لها أيضا: **مسائل الأسماء والأحكام**، ويراد بالأسماء: الأسماء التي وردت في الشرع

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني (٩/ ٢٠)، ح (٩٠٠٤)؛ انظر: تخريج الحديث في السلسلة الصحيحة، ح (١٧٦٩).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي (١/ ١٨٣).

لمراتب الدين الإسلامي وهي: الإسلام والإيمان والإحسان، ونحو ذلك مثل: التوحيد، والإخلاص وما يضادها مثل: الكفر والشرك والنفاق والفسق.

ويراد بالأحكام: إنزال هذه الأسماء الشرعية علىٰ المعينين، فيحكم له بأنه مسلم أو مؤمن أو محسن أو كافر أو مشرك أو منافق أو فاسق، وما يترتب علىٰ ذلك من أحكام في الدنيا، مثل: الولاء والبراء، وعقود النكاح، والتوارث، وقبول الشهادة، والدفن في مقابر المسلمين، ونحو ذلك من الأحكام المتعلقة بالإسلام والكفر، وكذلك أحكام الآخرة: مثل الحكم بالجنة أو النار، ومثل عدم الخلود في النار، ومثل نعيم القبر وعذابه.

يقول ابن تيمية: عن مصطلح الأسماء والأحكام أي: «أسماء الدين: مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة»[1].

(١) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (١٢/ ٣٨).

المطلب الأول: حقيقة الإيمان في حديث الشعب

المسألة الأولى: حقيقة الإيمان بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية.

قال ﷺ: «الإيمان: بضع وسبعون شعبة»، فالنبي ﷺ بيَّن في الحديث أنَّ للإيمان حقيقة شرعية، فكما أنَّ للصلاة والصوم والزكاة والحج حقائق شرعية هي التي نطالب بها، ولا نطالب بامتثال الحقائق اللغوية لها، فكذلك الأمر في أسماء مراتب الدين: الإيمان والإسلام والإحسان، وما يضاد ذلك، جاءت النصوص ببيان المراد بها شرعا، فهي التي نطالب بها، فعلا أو تركا، وهي التي يترتب عليها الثواب والعقاب.

إنَّ الواجب علىٰ جميع المسلمين أن يتعلموا الحقيقة الشرعية للإيمان من خلال نصوص الكتاب والسنة، وأن يعلموا أنَّ أعظم سبب للانحراف في هذا الباب هو ترك ذلك، والبحث عن الحقيقة اللغوية للإيمان، والظنُّ بأنَّ هذا هو المطلوب شرعا.

لقد كان سبب ضلال مرجئة الفقهاء، وكذلك المرجئة الغلاة: من جهمية وكرَّامية وأشعرية: ادعاؤهم الالتزام بالمعنىٰ اللغوي لحقيقة الإيمان؛ وأنَّه هو المطلوب منا شرعا، فقالوا بأنَّ القرآن نزل بلغة العرب، والله أمرنا بالإيمان، فالإيمان المطلوب منا شرعا هو الإيمان المعروف في لغة العرب، ثم اختلفوا في تحديده. وكان الواجب عليهم الالتزام بالحقيقة الشرعية لا اللغوية، وهم مع هذا فقد أخطئوا في فهم الحقيقة اللغوية للإيمان، وقصروا في ذلك تقصيرًا بينًا، كما سيأتي بيانه.

فقالت الجهمية: لمَّا كانت المعرفة القلبية تسمىٰ في لغة العرب تصديقا، فكل من عرف الله بقلبه فهو مصدق، إذن فهو مؤمن. فمذهب الجهمية في الإيمان؛ بأنه هو المعرفة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط[(١)].

ويقصد جهم بالمعرفة: مجرد التصديق بأنَّ الله هو الرب الخالق لكل شيء، ولا يشترط أن يتبع ذلك شيئًا من أعمال القلوب كالمحبة والتعظيم والخضوع والانقياد. ولذا فهو يرىٰ أنَّ من أتىٰ بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده[(٢)].

وأما الأشعرية فقد خالفت الجهمية في معنىٰ التصديق في اللغة، فقالت بأنَّ مجرد المعرفة القلبية لا يسمىٰ تصديقا، وقالت بأن التصديق في اللغة لا بد فيه من تصديق القلب، ولا يشترط فيه - كما يظنون - عمل القلب، ومن هنا قالوا بأن الإيمان شرعا هو التصديق بالقلب، لأن هذه هو معناه في اللغة.

يقول الشهرستاني في نهاية الإقدام: «قالت الأشعرية: الإيمان عبارة عن التصديق في وضع اللغة، وقد قرره الشرع علىٰ معناه»[(٣)].

وفي اللمع، يصرح أبو الحسن الأشعري بأن الإيمان هو التصديق بالقلب[(٤)]. وعلىٰ هذا جمهور الأشعرية، ويقول الجويني: «والمرضي

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري (١/ ٢١٣)؛ والفرق بين الفرق، البغدادي (٢١١)؛ والملل والنحل، الشهرستاني (١/ ٨٨)؛ وعقائد الثلاث وسبعين فرقة، اليمني (١/ ٢٧٣، ٢٧٤).

(٢) انظر: مجموع فتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٣٦٣، ٣٦٤)؛ والإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد الغامدي (١٠٨ - ١١١).

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني (٤٧١، ٤٧٢).

(٤) انظر: اللمع في الرد علىٰ أهل الزيغ والبدع، الأشعري (١٢٢).

عندنا، أن حقيقة الإيمان: التصديق بالله تعالىٰ، فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق علىٰ التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلا مع العلم»[١].

وينبغي التنبه إلىٰ: أنَّ لأبي الحسن الأشعري في حقيقة الإيمان قولان: القول السابق، وقول آخر يدخل فيه العمل في مسمىٰ الإيمان، موافقا بذلك قول أهل السنة والجماعة، وقد صرح بهذا في مقالات الإسلاميين[٢] والرسالة إلىٰ أهل الثغر[٣]. وكذلك في الإبانة يقول: «ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض.. وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٤].

وكذلك فرقة الماتريدية وافقت جمهور الأشعرية في اعتقادهم بأنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب، لأنَّ هذا هو معناه في لغة العرب، كما يظنون، وأما قول اللسان فهو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط[٥].

وأمَّا الكرَّامية فقالوا: بأنَّ الإيمان لغة هو التصديق، وإنما نَعْرف من صدَّق ومن لم يصدق إذا قال ذلك بلسانه، فترىٰ الكرَّامية أنَّ الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان؛ دون القلب والجوارح، ويقولون بأن المنافقين مؤمنون في الدنيا علىٰ وجه الحقيقة، ولكنهم في الآخرة مخلدون في نار جهنم. ويرون أن كل إنسان مؤمن بمقتضىٰ الفطرة والميثاق، فإذا أعرب عن

---

(١) الإرشاد، الجويني (٣٩٧)؛ وانظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٠١)؛ والمواقف في علم الكلام، الإيجي (٣٨٤).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: رسالة إلىٰ أهل الثغر، الأشعري (٢٧٢).

(٤) الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري (٢٧).

(٥) انظر: الفرق الكلامية، العقل (١٨٣)؛ ومنهج الماتريدية في العقيدة، الخميس (٥٢)؛ والماتريدية، الحربي (٤٥١).

ذلك بلسانه؛ فهو مؤمن حقيقي في الدنيا، وما في باطنه فأمره مرجأ إلىٰ الله[1].

وأمّا مرجئة الفقهاء فيرون أنَّ التصديق في اللغة لابد فيه من أمرين: من تصديق القلب وتصديق اللسان، وهذا هو المعنىٰ اللغوي هو المطلوب منّا شرعا.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم»[2].

وكذلك هو مذهب الكلابية: فمذهب ابن كلاب في الإيمان، القول بأنه عبارة عن إقرار باللسان وتصديق بالقلب.

يقول البغدادي: «وكان عبد الله بن سعيد يقول: إن الإيمان هو الإقرار بالله عَزَّوَجَلَّ وبكتبه وبرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب، فإن خلا الإقرار عن المعرفة بصحته لم يكن إيمانًا»[3].

وفي خاتمة المطلب؛ يجب التنبه إلىٰ أمرين مهمين عندما نفسر الإيمان لغة بأنه التصديق:

الأمر الأول: أنه ليس المراد به مجرد التصديق، وإنما المراد به التصديق الذي يكون معه: إقرار وأمن وطمأنينة، فأنت عندما تؤمن بكلام ما، معناه: أنك وصلت في تصديقك بهذا الكلام إلىٰ مرحلة الأمن من أن يكون في

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري (١/ ٢٢٣)؛ والفرق بين الفرق، البغدادي (٢٢٣)؛ والملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١١٣)؛ والتبصير في الدين، الاسفراييني (٩٧، ٩٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ١٩٥).

(٣) أصول الدين، البغدادي (٢٤٩).

هذا الكلام كذب بوجه من الوجوه، فلذلك فأنت مطمئن له، ومقر به.

ولذا فسر شيخ الإسلام الإيمان لغة بأنه: الإقرار(١).

الأمر الثاني: أن التصديق في اللغة كما يكون بالقلب، يكون باللسان وبالجوارح أيضا، قال ﷺ: «والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»(٢).

فعندما يُفسر الإيمان في اللغة بأنه التصديق فلا يظن ظان أن التصديق مقصور علىٰ القلب، بل التصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان والجوارح أيضًا، فكذلك الإيمان في اللغة كما يكون بالقلب يكون باللسان والجوارح أيضًا(٣).

ومع هذا؛ فإننا نطالب بالحقيقة الشرعية لا اللغوية، وإن كان بينهما هذا القدر المشترك.

فخلاصة هذا المطلب: أنّنا نطالب دينًا كما بينه الحديث بالحقيقة الشرعية للإيمان، وكذلك بقية الأسماء؛ مثل: الإسلام، والإحسان، ومثل: التوحيد والإخلاص والعبادة والطاعة. وما يضاد ذلك من أسماء مثل: الكفر والشرك والنفاق والرياء والمعصية، والكبيرة والصغيرة، لا الحقائق اللغوية، وإن كان بينهما اتصال، والله الموفق.

---

(١) انظر: كتاب الإيمان، ابن تيمية (١١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، فتح الباري (١١/ ٢٦)، ح (٦٣٤٣)؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب قدّر علىٰ ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٤/ ٢٠٤٦)، ح (٢٦٥٧).

(٣) انظر: تعريف الإيمان لغة: مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ١٣٣)؛ والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/ ٦٩ - ٧٢)؛ ومختار الصحاح، لأبي بكر الرازي (٢٦)؛ ولسان العرب، لابن منظور (١/ ٢٢٣ - ٢٢٧)؛ والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٤/ ٢٨١)؛ وكذلك المختار من كنوز السنة النبوية، لدراز (٦٩).

المسألة الثانية: حقيقة الإيمان في حال الاقتران وحال الإطلاق.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عن الإيمان: «الإِيمَانُ: بِضْعٌ وسبعون أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». فهنا ذكر الإيمان مطلقا غير مقيد بالإسلام.

وفي حديث جبريل المشهور قال ﷺ: عَنِ الإِيمَانِ؛ «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]. فقد ورد ذكر الإيمان مقترنا بذكر الإسلام، فدلَّ ذلك علىٰ أن الإيمان في النصوص الشرعيةً له حالتان: مقيدة ومطلقة.

الحالة الأولى: حالة الاقتران والتقييد:

وهي الحالة التي يرد فيها ذكر الإيمان في النصوص الشرعية مقترنا ً بذكر الإسلام، أو بذكر العمل الصالح أو بذكر التقوىٰ، كما في حديث جبريل السابق، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٣].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١/ ٣٦) ح (١).

ففي هذه النصوص دلالة واضحة علىٰ أن هناك فرق في المعنىٰ بين الإيمان وبين الإسلام أو ما يقوم مقامه مثل العمل الصالح، ومثل التقوىٰ في حال الاقتران.

وفي حديث جبريل المشهور بيان الفرق بينهما في هذه الحال، فقد قال ﷺ: «الإِسْلاَمُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فأخبرني عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

فبين ﷺ أنَّ الدين الإسلامي له جانبان، **جانب غيبي** يتعلق بالقلب، وبين أركانه، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فهذا الجانب من الدين سماه: إيمان.

والجانب الثاني من الدين الإسلامي، هو **الجانب الظاهر** منه، والمتعلق بالجوارح، وبين أركانه، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والصلاة والصوم والزكاة والحج، فهذا الجانب سماه إسلام، ويسمىٰ بالعمل الصالح، وبالتقوىٰ.

فالإيمان في النصوص الشرعية في حالة ذكره مقترنا بالإسلام: يكون المقصود به الجانب الغيبي من الدين الإسلامي، والمتعلق بالقلب، ويقوم علىٰ أركان الإيمان الستة. والإسلام المقصود به الجانب الظاهر من الدين الإسلامي والمتعلق بالجوارح، ويقوم علىٰ أركان الإسلام الخمسة.

وينبغي هنا التنبه للأمور التالية المتعلقة بالتفريق بين الإسلام والإيمان:

١- أن كل مؤمن لا بد أن يكون مسلما، فالإيمان أعلىٰ درجة من الإسلام، فمتىٰ حصل الإيمان وجب ضرورة حصول الإسلام، وكذلك الإحسان أعلىٰ درجة من الإيمان، ولذا يقال: كل محسن فهو مؤمن مسلم، وكل مؤمن فهو مسلم، ولكن ليس بالضرورة أن يكون المسلم مؤمنا حتىٰ يجمع بين القول والعمل[١].

٢- القول بأن الإسلام داخل في الإيمان، وليس العكس، لا يعني قبول الإسلام بلا إيمان، بل لا بد في الإسلام من وجود أصل الإيمان، وإلا كان نفاقا، وإنما المقصود بالإيمان هنا هو كمال الإيمان الواجب[٢].

٣- من حكم له بالإسلام لإقراره والتزامه تجرىٰ عليه أحكام أهل الإسلام، مع إلزامهم بالأعمال الظاهرة من صلاة وصوم وزكاة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأعراب وغيرهم كانوا إذا أسلموا علىٰ عهد النبي ﷺ ألزموا بالأعمال الظاهرة: الصلاة والزكاة والصيام والحج ولم يكن أحد يترك بمجرد الكلمة بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها»[٣].

والحالة الثانية: حالة الإطلاق:

وهي الحالة التي يرد فيها ذكر الإيمان في النصوص مطلقاً غير مقترن بذكر الإسلام، أو العمل الصالح أو التقوىٰ، وكذلك يذكر الإسلام أو العمل الصالح أو التقوىٰ مطلقا دون اقتران بذكر الإيمان.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٥٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٤٢٧).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٥٨).

كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأنفال: ٢ - ٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النحل: ٣٠ - ٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢].

وفي حديث وفد عبد القيس، قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ»(١).

فدلت آيات الأنفال علىٰ أنَّ الإيمان في حال الإطلاق يراد به الدين كله،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، فتح الباري (١/ ١٢٩)، ح (٥٣)؛ ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالىٰ (١/ ٤٦)، ح (٢٣).

الجانب الغيبي، المتعلق بالقلب، والجانب الظاهر المتعلق بالجوارح.

ودلت النصوص الأخرىٰ أن المراد بالإسلام المطلق هو الدين الإسلامي كاملا، بجانبيه، الغيبي والظاهر، وكذلك التقوىٰ والعمل الصالح.

وبالنظر في حديث وفد عبد القيس نجد أن النبي ﷺ فسر الإيمان بأركان الإسلام.

فنخلص من هذا: أنَّ الإيمان في حال الإطلاق هو والإسلام معناهما واحد، وهو الدين الإسلامي كله، ما يتعلق منه بالقلب، وما يتعلق منه بالجوارح[1].

وفي حديثنا شعب الإيمان، نجد أن الإيمان ذكر مطلقا غير مقترن بذكر الإسلام أو ما يقوم مقامه، فكان المراد به الدين كله، وقد فسره النبي ﷺ بالأعمال الظاهرة، المتعلقة باللسان وبالجوارح، وبالأعمال الغيبية المتعلقة بالقلب[2].

إنَّ أهم مسألة في هذا المطلب يجب التنبه لها هي: أنَّ النصوص التي فيها وعد أهل الإيمان بدخول الجنة ولم يذكر فيها العمل أو الإسلام أو التقوىٰ، فإن المراد بالإيمان هو المطلق الذي يتضمن الإسلام والعمل والتقوىٰ، بدلالة حديث الشعب، وأنَّ النصوص التي ورد فيها وعد المتقين، أو المسلمين، أو أهل العمل الصالح بالجنة فإن أول ما تتضمنه تلك الأوصاف هو الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى

(١) انظر: تعريف الإسلام والإيمان في حالة الإطلاق والاقتران: جامع العلوم والحكم، ابن رجب: شرح الحديث الثاني.

(٢) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٥٥١).

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

[البقرة:١ – ٥].

المسألة الثالثة: حقيقة الإيمان بين الحقيقة الواحدة والحقيقة المركبة.

قال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

نأخذ من قوله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً» الأمور التالية:

١- أنَّ حقيقة الإيمان في النصوص الشرعية حقيقة مركبة أو مؤلفة أو مكوَّنة من شعب وأجزاء، وليست شيئا واحدا لا يتجزأ ولا يتبعض، وليست خصلة واحدة، وهذا صريح الحديث.

٢- أنَّ حقيقة الإيمان مؤلفة من بضع وسبعين شعبة، فمن استكملها يكون له الإيمان الكامل، ومن لم يستكملها فهو مؤمن أيضا، لكن لديه مطلق الإيمان، وليس لديه الإيمان المطلق.

فالإيمان لكونه حقيقة مؤلفة من شعب وأجزاء فإنه ينقسم إلىٰ قسمين: مطلق الإيمان، الذي يبقىٰ معه الإنسان مسلما، وإلىٰ الإيمان المطلق، الذي يرقىٰ بالإنسان في الدرجات العالية من الإيمان.

كمثل اليد، مكتملة الأصابع، فهي يد كاملة، واليد مقطوع منها بعض الأصابع، فهي يد أيضا وإن كانت ناقصة بعض الأصابع، بخلاف اليد التي قطعت من الرسغ، فقد انتفىٰ وجودها.

وبناء عليه عند أهل السنة والجماعة: فإنَّ مرتكب الكبيرة، لا يعطىٰ الإيمان المطلق الكامل، ولا ينفىٰ عنه مطلق الإيمان، لكونه لم يرتكب ناقضا من نواقض الإسلام؛ فيسمىٰ مسلما، ويوصف بأنه مؤمن ناقص الإيمان، وأنه مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته(١).

٤- إنَّ أهل الإسلام يتفاوتون في إيمانهم، بحسب تحصيلهم تلك الشعب والأجزاء، فإيمان الرسول ﷺ أعظم من إيمان غيره، وكذلك الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إيمانه أعظم من إيمان غيره من الصحابة، وهكذا فأهل الإسلام يتفاوتون في إيمانهم.

هذه الأمور واضحة ظاهرة الاستنباط من الحديث، فيجب علىٰ جميع المسلمين الأخذ بها، وتكون عندهم من المحكم الذي يفسر في ضوئه المتشابه، ويكون من المحكم الذي يرجع إليه عند التنازع، ويكون أصلا من أصول مسائل الأسماء والأحكام.

والعجيب أنه رغم وضوحه إلا أنَّ جميع المخالفين لأهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان علىٰ القول بخلافه، فالخوارج والمعتزلة والمرجئة يقولون بأنه شيء واحد لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، واختلفوا في بيان هذه الخصلة الواحدة، فالخوارج والمعتزلة تقول بأنها مؤلفة من القول والعمل، وبناء عليه حكموا علىٰ أنَّ من مات علىٰ كبيرة بالخلود في النار، واختلفوا في تسميته في الدنيا، فالخوارج تسميه كافرا، والمعتزلة تسميه فاسقا في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، ليس بمؤمن ولا كافر.

وأمَّا المرجئة فتقول بأن هذه الخصلة مكونة من القول فحسب،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٣/ ١٥١، ١٥٢).

وأخرجت العمل عنها، حتىٰ لا تقع في القول بتكفير مرتكب الكبيرة، وقالت عنه بأنَّه مؤمن كامل الإيمان[1].

فالواجب علىٰ جميع المسلمين، الحذر من مقالة الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، والقول بما في هذا الحديث بأنَّ الإيمان حقيقة مؤلفة من شعب وأجزاء متفاوتة لها أعلىٰ وأدنىٰ، فإذا ذهب بعضها - مما لا يعتبر ذهابه من نواقض الإيمان - بقي البعض الآخر، ومن هنا فحكم مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، فلا يعطىٰ الإيمان المطلق، أي: الكامل، كما تفعل المرجئة، ولا ينفىٰ عنه مطلق الإيمان، فيكفر، وهو ليس بكافر في الشرع، كما تفعل الخوارج.

المسألة الرابعة: مكونات حقيقة الإيمان.

قال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

نأخذ من قوله ﷺ: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» الأمور التالية:

١- أنَّ حقيقة الإيمان مكونة من قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، فحقيقة الإيمان مؤلفة من شعب وأجزاء، وهذه الشعب عبارة عن أقوال وأعمال، قول القلب وقول اللسان، وهذا أخذناه من قوله ﷺ: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، وعمل القلب أخذناه من قوله ﷺ: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»، وعمل الجوارح أخذناه من قوله ﷺ: «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ»، فحقيقة الإيمان الشرعية في النصوص

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٥١٥).

مكونة ومؤلفة ومركبة من القول والعمل.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ»[1].

٢- لا بد في حقيقة الإيمان الشرعي من التصديق القلبي، وهو الإقرار بأن الله حق، والرسول ﷺ حق، والدين حق، وقد سمَّىٰ الله هذا الأمر: قول القلب، وقول القلب ركن في حقيقة الإيمان، وبانتفائه ينتفي الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، فسمىٰ الله تصديق القلب قولًا، واعتبر من جاء به مؤمنًا، ومن لم يأت به فليس بمؤمن، فإذا تخلف قول القلب، وجاء الشخص بقول اللسان وعمل الجوارح عُدَّ منافقًا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ [المنافقون: ١].

أي هم صادقون فيما قالوه بألسنتنا، لكنهم لم يقولوا ذلك بقلوبهم، فلم تنفعهم الشهادة باللسان لتخلف التصديق بالقلب.

٣- ولا يكفي في حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة التصديق بالقلب، بل لا بد من إعلان هذه العقيدة باللسان، قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله»،[2] فلا بد من النطق بالشهادتين، والإقرار بمقتضاهما حتىٰ يدخل الإنسان في دين الإسلام، ومن اعتقد أن دين الإسلام حق، لكن لا يرىٰ

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله (١/ ٥١)، ح (٢٠).

النطق بالشهادتين، فهو ليس بمسلم، كحال أبي طالب، عم النبي ﷺ.

ولا يكفي عند أهل السنة والجماعة في وجود حقيقة الإيمان المنجي عند الله؛ التصديق بالقلب والقول باللسان حتىٰ يعمل بقلبه: خضوعا وإخلاصًا ومحبة وخشية ورجاء وتوكلًا، فلا بد من الإخلاص في النطق بالشهادتين، والمحبة لله ولرسوله ولدين الإسلام، وغير ذلك من الشروط المعروفة لشهادة أن لا إله إلا الله.

٤- ولا يكفي عند أهل السنة والجماعة في وجود الحقيقة: التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالقلب حتىٰ يعمل الإنسان بجوارحه، فيصلي لله، ويلتزم بالعمل بشرع الله، فإذا رفض الإنسان العمل بجوارحه بدين الإسلام، فلم يترك الشرك، ولم يصلي، ولا يريد أن يعمل ما يدل علىٰ دخوله في الإسلام، فهذا لا ينفعه التصديق القلبي، ولا ينفعه الزعم بأن لديه عمل القلب، ولا ينفعه نطقه بالشهادتين، إذا رفض الامتثال لما طلبه الله منه فعلا أو تركا.

فحقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة لها أربعة أركان: قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح[(١)].

٥- كما أنَّ الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل: قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح، فإن الكفر هو عدم الإيمان، أو نقض الإيمان بنقض أحد أركانه الأربعة، فيكون الكفر بنقض قول القلب، أو بنقض عمله، أو بنقض قول اللسان، أو بنقض عمل الجوارح، فنواقض

(١) انظر: كتاب الإيمان، ابن أبي شيبة (٤٥)؛ وكتاب الإيمان، أبي عبيد القاسم (٥٣، ٥٤)؛ ورياض الجنة بتخريج أصول السنة، ابن أبي زمنين (٢٠٧).

الإيمان قولية وعملية، ليست مقيدة بالاعتقاد أو الاستحلال، فالنواقض قلبية اعتقادية، ونواقض عملية تتعلق بأقوال اللسان وأعمال الجوارح، والتفريق إنَّما يكون بين الكفر في حالة الإطلاق، وبين الكفر في حالة التقييد بالأعيان، ففي حالة إنزاله علىٰ الأعيان لابد أن يكون من مؤهل من أهل العلم للقيام بذلك بعد إقامة الحجة، واستيفاء الشروط والتأكد من الخلو من الموانع، وذلك عند الحاجة إلىٰ إنزال الكفر علىٰ المعين، كما سيأتي بيانه في المطلب الأخير من هذا البحث.

إنَّ الواجب علىٰ جميع المسلمين العلم بما دل عليه الحديث: بأنَّ الحقيقة الشرعية للإيمان مؤلفة من القول والعمل، لا ينفع أحدهما دون الآخر، فالعمل بلا تصديق نفاق، والتصديق بلا عمل وانقياد لا ينفع صاحبه كحال أبي طالب، فإنَّه لم ينتفع بتصديقه للرسول ﷺ، فلا بد منهما حتىٰ توجد الحقيقة الشرعية للإيمان، وأما ذهاب بعض القول أو ذهاب بعض العمل، فإنَّه يتبقىٰ البعض الآخر، ما لم يكن ما ذهب من نواقض الإيمان.

المسألة الخامسة: الزيادة والنقصان والاستثناء في حقيقة الإيمان.

أولًا: زيادة الإيمان ونقصانه:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

١- يدل الحديث دلالة صريحة - كما تقدم - علىٰ أنَّ حقيقة الإيمان مؤلفة من شعب وأجزاء، وهذه الشعب متفاوتة في الفضل، لها أعلىٰ وأدنىٰ، ومن هنا فكلَّما جمع المسلم شعبة زاد بها إيمانه، فإذا جمع شعبة الصلاة

والصوم والزكاة والحج: وزاد: طلب العلم، وقراءة القرآن، وقيام الليل: زاد الإيمان.

وكلما ذهبت منه شعبة من شعب الإيمان: كشعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق، والابتسامة، وصلة الأرحام، والإحسان إلىٰ الجيران: نقص بسبب ذلك الإيمان.

يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث الشعب: «وهذا - أيضا - صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب، واتصاف العبد بها أو عدمه. ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتا كثيرا. فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقد خالف الحس، مع مخالفته لنصوص الشارع كما ترىٰ»[1].

٢- لقد دل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه أدلة كثيرة من الكتاب والسنة. ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤].

ففي هذه الآيات، وغيرها كثير إثبات زيادة الإيمان، وكل نص دل علىٰ الزيادة فهو يدل علىٰ النقصان أيضا. قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي (٢٧).

نص يدل على زيادة الإيمان، فإنه يتضمن الدلالة على نقصه؛ وبالعكس لأن الزيادة والنقص متلازمان، لا يعقل أحدهما دون الآخر»[(١)].

ثانيًا: مسألة الاستثناء في الإيمان:

يراد بالاستثناء في الإيمان: أن تقول مؤمن إن شاء الله، في حال السؤال عن ذلك، وهذه المسألة تعتبر تكميلا للمسألة السابقة مسألة: زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهل الإيمان فيه، وأن هناك الإيمان الكامل، والإيمان الناقص.

وحديث الشعب واضح الدلالة على انقسام الإيمان إلى كامل وناقص من ناحية بيان أنّ الإيمان شعب وأجزاء، فصاحب الإيمان الكامل هو من استكمل الشعب، والناقص من ذهبت منه بعض تلك الشعب. فمن استثنى فقال: إن شاء الله، ويريد الإيمان الكامل، يعني بذلك: إن شاء الله يكون إيماني إيمانا كاملا، جاز له ذلك، وأمّا إن كان مقصوده استثناء مطلق الإيمان، الذي هو بمعنى الإسلام، فيسأل عن إيمانه يعني هل أنت من المؤمنين، أي من المسلمين، فهنا لا يجوز له ذلك، لأنه لا يجوز له الشك في صدقه في الإيمان.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك - نعوذ بالله من الشك في الإيمان - ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟..»[(٢)].

إنَّ الواجب على المسلمين البحث عن الأمور التي تزيد في إيمانهم،

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين (١١٩).

(٢) كتاب الشريعة، الآجري (٢/ ٦٥٦)؛ وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/ ٤٤٦).

وأنَّ من أهم أسباب زيادة الإيمان كما هو واضح في الحديث هو السعي في تعلم شعب الإيمان ومن ثم تحصيلها، فكلما تخلق المسلم بشعبة من شعب الإيمان سواء كانت قولا أو فعلا، زاد الإيمان، وكذلك الاستكثار من شعبة بعينها يزيد في الإيمان، كشعبة الصلاة أو قراءة القرآن أو ذكر الله أو طلب العلم أو الدعوة إلىٰ الله أو الصدقة(١).

---

(١) انظر: أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، عبد الرزاق البدر.

المطلب الثاني: شعب الإيمان في حديث الشعب

المسألة الأولى: الإيمان بالشعب المجمل والمفصل.

أولًا: الإجمال والتفصيل في الإيمان بالشعب:

المراد بالإيمان المجمل والإيمان المفصل في مسألة شعب الإيمان ثلاثة معاني:

المعنىٰ الأول: أن نؤمن بجميع شعب الإيمان إجمالا، ونؤمن بالشعب الواردة في النصوص تفصيلا، كالشعب الواردة في هذا الحديث، فيكون الإيمان بالشعب كالإيمان بالرسل، نؤمن بجميع الرسل إجمالا، ونؤمن بالرسل الواردة أسماؤهم في الكتاب والسنة تفصيلا، ويتفاوت الناس في علمهم بتفاصيل ما ورد عن الرسل، وهكذا يتفاوت الناس في علمهم بتفاصيل ما ورد في الشعب.

المعنىٰ الثاني: أن نؤمن بالشعب الداخلة في أصل الإيمان تفصيلا، كشعبة الشهادة، وما يلحق بها، ويقرب منها، ونؤمن بالشعب التي هي من كمال الإيمان الواجب والمستحب إجمالا، فتكون المسألة هنا كمسألة الدخول في الإسلام، ثم التدرج إلىٰ الإيمان والإحسان.

المعنىٰ الثالث: أن نؤمن بالشعب التي هي فرض عين تفصيلا، ونؤمن ببقية الشعب إجمالا، فتكون المسألة هنا كتعلم شرائع الدين، فما يجب علينا عينا من الأوامر والنواهي وجب علينا تعلمه والعمل به، وما لم يجب علينا عينا وجب عليه الإيمان به إجمالا.

وكل هذه المعاني واضحة في الحديث، فالنبي ﷺ بين أن للإيمان شعبا كثيرة، ومثل عليها بهذه الشعب الثلاثة، ولم يأت في النصوص تعدادها، فدل علىٰ أن الإيمان بها مجمل ومفصل، فالتفصيل يكون فيما وقف عليه منها في النصوص، وفيما هو داخل في أصل الإيمان، وفيما هو فرض عين علىٰ الإنسان، وما عدا ذلك فهو داخل في الإيمان الإجمالي[(١)].

ثانيًا: مراتب الشعب في حقيقة الإيمان:

لشعب الإيمان ثلاثة مراتب في حقيقة الإيمان: أصل وواجب ومستحب[(٢)].

المرتبة الأولىٰ - مرتبة أصل الإيمان؛ ويراد بأصل الإيمان: ما يراد بالإسلام، وما يراد بمطلق الإيمان، وهو أن يأتي الإنسان بالأقوال والأفعال التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر والشرك، كالنطق بالشهادتين عالما بمعناهما، ملتزما العمل بمقتضاهما.

ويراد بشعب أصل الإيمان: الشعب التي تدخل في أصل الإيمان، فبوجودها يصح الإيمان، وبفقدها ينعدم الإيمان، فكل قول أو فعل اشترطه الشارع لصحة الإيمان تركًا - مثل ترك عبادة جميع المعبودات غير الله، والكفر بها، والبراءة منها، ومن أهلها، والتجرد من جميع نواقض الإسلام القولية والفعلية - أو إيجادًا - مثل عبادة الله وحده لا شريك له، وأعظم مظهر لذلك الصلاة -، فهو داخل في هذه المرتبة[(٣)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٢٣٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٧/ ٦٧٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٢٧١)؛ وانظر: قواعد في بيان حقيقة الإيمان، عادل الشيخاني (٤٠٥).

المرتبة الثانية - مرتبة كمال الإيمان الواجب، ويراد بهذه المرتبة: الإيمان المطلق، والإيمان الحق، وهو أن يأتي بشعب أصل الإيمان، ويضيف إليها الشعب المستكملة للإيمان الواجب، فينتقل من الإسلام إلىٰ الإيمان، وينتقل من مطلق الإيمان إلىٰ الإيمان المطلق، وينتقل من الظالم لنفسه للمقتصد، وينتقل من الإيمان الناقص إلىٰ الإيمان الكامل، وينتقل من الإيمان إلىٰ الإيمان الحق[1].

ويراد بشعب هذه المرتبة: الشعب التي أوجبها الله علىٰ عباده، فكل قول أو فعل أوجبه الشرع، ورتب علىٰ تركه وعيد، ولم يحكم علىٰ تاركه بالكفر المخرج من الملة، فهو داخل في شعب هذه المرتبة، كشعبة الصدق، والعدل، وصلة الأرحام، والعفة. وكل قول أو فعل ورد في فعله وعيد، ولم يعد من نواقض الإيمان، فتركه داخل في هذه الشعبة، كالسرقة والزنا والكذب والغيبة[2].

المرتبة الثالثة - مرتبة الإيمان المستحب؛ ويراد بهذه المرتبة ما يراد بمرتبة الإحسان، فالمسلم بعد أن أتىٰ بأصل الإيمان، وهو الإسلام، وصعد إلىٰ الإيمان، فاستكمل الإيمان الواجب؛ صعد لدرجة الإحسان، وهو الإيمان المستحب فاستكمله بنوافل الطاعات، وترك المكروهات، فينتقل من المؤمن إلىٰ المحسن، ومن المقتصد إلىٰ السابق بالخيرات[3].

ويراد بشعب هذه المرتبة: الشعب التي حث الشارع علىٰ فعلها - كنوافل الصلاة والصيام والصدقات - أو تركها، - كمكروهات النظر

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٢٣٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٧/ ٢٣٢)؛ وانظر: قواعد في بيان حقيقة الإيمان، عادل الشيخاني (٤٠٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (١٦/ ٢٩٣).

والكلام والسماع - دون أن يرتب علىٰ ذلك وعيدًا علىٰ الفاعل أو التارك، فهذه الشعب داخلة في هذه المرتبة[1].

المسألة الثانية: شعبة الشهادة، وصلتها بحقيقة الإيمان، ونواقضها.

قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله..»، سأتناول في هذا المطلب - بمشيئة الله تعالىٰ - ثلاث مسائل:

أولًا: معنى شهادة أن لا إله إلا الله:

أ- **المراد بكلمة الشهادة «لا إله إلا الله»**: الإله في كلمة الشهادة علىٰ وزن فعال بمعنىٰ مفعول، أي: مألوه، معبود. قال ابن فارس: ««أله» الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبُّد، فـ«الإله» الله - تعالىٰ -، وسمّيَ بذلك لأنّه معبود، ويقال: تألّه الرجُل إذا تعبّد»[2].

فالإله هو الذي تألهه القلوب، أي: تعبده حبًا وخوفًا ورجاءً، ولا مستحق لذلك إلا الله؛ لانفراده بالخلق والملك والتدبير، وبجلب المنافع ودفع المضار، ولما له من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، التي لا مثيل له فيها ولا نظير. فيكون معنىٰ لا إله إلا الله هو: لا مستحق للعبادة إلا الله. فيجب نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوىٰ الله، وإثبات استحقاقها لله وحده لا شريك. فلا نصرف أي فرد من أفراد العبادة لغير الله، ويتوجه بأي نوع من أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

وعلىٰ هذا المعنىٰ لكلمة الشهادة دلت نصوص الوحي، وبهذا المعنىٰ لها كانت دعوة جميع الأنبياء لأقوامهم فقد كانوا يدعونهم لكلمة الشهادة

---

(١) انظر: قواعد في بيان حقيقة الإيمان، عادل الشيخاني (٤٠٧).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ١٢٧).

بهذا المعنىٰ، إفراد الله بالعبادة المتضمن لانفراده بالربوبية، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

دعوة نوح عليه السلام: قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

ووجه الدلالة: أنَّ كلمة الشهادة موجودة في الآية وهي: مالكم من إله غيره، وتفسيرها في الآية: الكلمة التي سبقتها: اعبدوا الله، أي: وحده، فيكون معنىٰ الإله في الآية هو: المعبود، وعلىٰ هذا فمعنىٰ لا إله إلا الله من خلال الآية: لا مستحق للعبادة إلا الله، لانفراده بالربوبية[(١)].

ومن الأمثلة: دعوة نبينا محمد ﷺ: فقد قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

ووجه الدلالة: أنَّ كلمة الشهادة في الآية هي: إلهكم إله واحد: وفسر المراد بها في الآية أنها: عبادة الله وحده بلا إشراك، فدل علىٰ أن معنىٰ الإله هو المعبود، وأن الله هو المستحق وحده للعبادة، فدل علىٰ أن معنىٰ لا إله إلا الله من خلال الآية هو: نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوىٰ الله، وإثبات استحقاقها لله وحده لا شريك له، فمن كان مؤمنا بالله وباليوم الآخر: فعليه بالتوجه بالعمل الصالح وهو المشروع لله وحده لا شريك له[(٢)].

ب- **كيفية الشهادة بهذه الكلمة:** تكون الشهادة بهذه الكلمة بقولها

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٢٩٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٨٩).

باللسان، مع التصديق بها في القلب، والعمل بمقتضاها بالقلب والجوارح.

١- فقول القلب أو اعتقاد القلب بالشهادة؛ هو: التصديق بأن الله هو المستحق وحده للعبادة، لانفراده بالربوبية والأسماء والصفات.

٢- وعمل القلب بالشهادة؛ هو: عبودية القلب لله، وخضوعه وانقياده، بتطهيره من جميع أنواع الشرك، وإخلاص الحب والخوف والرجاء والتوكل، وجميع أعمال القلوب المطلوبة شرعا لله وحده لا شريك له.

٣- وقول اللسان بالشهادة: هو النطق بها، بإعلان البراءة من عبادة كل المعبودات، وأنها باطلة، والإقرار لله وحده باستحقاق العبادة.

٤- وعمل الجوارح بالشهادة: هو بامتثال ما طلبه الله فعلًا أو تركًا بدون شرك، أو اعتراض أو ابتداع.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تتحقق الشهادة إلا بعقيدة في القلب، واعتراف باللسان، وتصديق بالعمل»[(١)].

ثانيًا: مكانة شعبة الشهادة:

١- شعبة الشهادة هي أعلىٰ الشعب، وأفضلها، وأرفعها بنص الحديث.

٢- شعبة الشهادة (لا إله إلا الله) في حال الإطلاق: يدخل فيها شعبة الشهادة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبوة والرسالة. قال ابن حجر: «والاقتصار علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله علىٰ إرادة الشهادتين معًا لكونهما صارت علمًا علىٰ ذلك»[(٢)].

٣- شعبة الشهادة هي أصل الإيمان، فلا يصح الإيمان بدونها، وبها

---

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، ابن عثيمين (١/ ٦٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (١/ ١٣٣).

ينتقل الإنسان من الكفر إلىٰ الإسلام، فهي أول واجب علىٰ المكلف، ولا بد فيها من العلم بمعناها، واليقين بمقتضاها، والحب لها، والإخلاص فيها، والصدق في قولها، والانقياد لها، والثبات عليها حتىٰ الممات، فبقولها عالما بمعناها، ملتزما العمل بمقتضاها يكون الإسلام، وبتحقيقها يكون الإيمان، وبمراقبة الله فيها يكون الإحسان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكما تواتر بالنقل العام، وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول، واتفقت عليه الأمة: أنَّ أصلَ الإسلام، وأولَ ما تؤمر به الخلق: شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»[(١)].

٣- شعبة الشهادة حال الإطلاق، تكون بمعنىٰ الإسلام حال الإطلاق، وبمعنىٰ الإيمان حال الإطلاق، وتكون بمعنىٰ الدين الإسلامي، فهي أساس جميع الشعب، ومنها تتفرع، فعندما تطلق الشهادة، فلا بد من أن يكون معها شهادة أن محمدا رسول الله، ويكون معها الإيمان بالدين كله إجمالا، فمعنىٰ الشهادة: أن تعبد الله وحده، بما جاء به رسول الله ﷺ من الدين، المشتمل علىٰ الخبر والطلب، في جميع مناحي الحياة.

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم علىٰ الله»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التصديق الحقيقي بلا إله إلا الله يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها، وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه

---

(١) جامع المسائل - المجموعة الثامنة، ابن تيمية (٢٠١ - ٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا، فتح الباري (١/ ٧٥) ح (٢٥).

الكلمة..، وكذلك التصديق بها يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي: شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة بالتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هو تفصيل لا إله إلا الله، فالمصدق بها على الحقيقة الذي يأتي بذلك كله»[1].

ثالثًا: نواقض شعبة الشهادة:

١- شعبة الشهادة تقوم على الإيمان بوجود الله وعلى الإيمان بوحدانيته، فينقضها: إنكار وجود الله، وينقضها ما ينقض الإيمان بوحدانية الله، سواء وحدانيته في الربوبية أو في الأسماء والصفات أو في الألوهية، ومن أمثلة ذلك:

أ- نواقض الإيمان بوجود الله: إنكار وجود الله، ويدخل فيه القضايا المتضمنة لإنكار الخالق: كالقول بوحدة الوجود، والقول بقدم العالم.

ب- نواقض توحيد الربوبية: وذلك باعتقاد شريك مع الله في الخلق أو الملك أو التدبير أو التشريع. ويدخل في هذا القيام بأي أمر منافٍ لتعظيم الله مثل: سب الله عَزَّوَجَلَّ، أو الاستهزاء به، أو سب دينه أو حكمه أو آياته أو الاستهزاء بهذه الأمور.

ت- ومن نواقض توحيد الأسماء والصفات: إنكار الوارد لله من الأسماء والصفات، أو اعتقاد مثيل لله في ذاته أو في شيء من أسمائه وصفاته الثابتة في الوحي.

ث- ومن نواقض توحيد الألوهية: اعتقاد استحقاق أحد العبادة مع الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، سواء اعتقد فيه الربوبية أو لم يعتقد.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (٣٩).

٢- وكما تقدم فإنه يدخل في شعبة الشهادة: الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، ويدخل في شهادة أن محمدًا رسول الله: الإيمان بعموم رسالته، وختمه للنبوة، فمما ينقض ذلك: جحد رسالته أو تكذيبه أو الشك في صدقه، أو جحد ختمه النبوة أو جحد عموم رسالته، ويدخل في النواقض سب الرسول ﷺ والاستهزاء به، سواء استحل ذلك أو لم يستحل[(١)].

٣- وكما تقدم فإنه يدخل في شعبة الشهادة: الإيمان بالشريعة التي بعث بها محمد ﷺ، ويدخل فيها وجوب التعبد لله بها، ولا يقبل التعبد لله بغيرها، ومما ينقض ذلك: تجويز التعبد بغيرها، أو تجويز التحاكم لغيرها، أو إنكار ما هو معلوم بالضرورة منها، أو الاستهزاء بها، أو الإعراض عنها، فلا يتعلمها، ولا يعمل بها، ويدخل في ذلك: معاداة أهلها، وموالاة المشركين عليهم[(٢)].

فكل نواقض الإسلام داخلة تحت نواقض شهادة أن لا إله إلا الله.

المسألة الثالثة: شعبة الحياء، ومكانة أعمال القلوب في حقيقة الإيمان.

يراد بالحياء: ذلك الخلق الذي يحث علىٰ فعل الجميل، وترك القبيح، وأصله في القلب، وتظهر آثاره علىٰ اللسان والجوارح.

فالحياء عمل من أعمال القلوب يقوم بأمرين: دفع الإنسان لأداء الواجب، ومنعه من التقصير فيه، فإذا لم يقم الإنسان بذلك، وفيه حياء، فإنَّه يشعر بألم في قلبه يسبب له الانقباض والانزواء، تظهر آثاره علىٰ الوجه

---

(١) انظر: جواب في الإيمان ونواقضه، البراك (١٦ – ٢٩)؛ ونواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز العبد اللطيف.

(٢) انظر: المدخل لدراسة العقيدة، د إبراهيم البريكان (١١٣).

والجوارح رقة وانكسارا، فهو لا يحب أن يقع عليه الذم والملامة لا من الله ولا من الناس، ولا من نفسه. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الْحَيَاءُ لاَ يأتي إلاَّ بِخَيْرٍ».

وإذا ذهب الحياء، قصر الإنسان في أداء الحقوق، إن أمن العقوبات الدنيوية، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

وفي هذا دلالة علىٰ عظمة الإسلام في إدخاله الحياء ضمن شعب الإيمان، وعده إياه عبادة من العبادات التي يتقرب بها إلىٰ الله، وفي هذا المطلب مسألتان:

أولًا: دلالة شعبة الحياء على مسألة الإيمان:

تدل هذه الشعبة علىٰ مسألة الإيمان من عدة نواحي أبرزها:

١- أنَّ أعمال القلوب داخلة في حقيقة الإيمان، وهذا يؤكد علىٰ أن الإيمان مركب من القول والعمل، قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح، فعمل القلوب ركن في حقيقة الإيمان.

٢- أن الإيمان شعب وأجزاء، فإذا ذهبت شعبة بقيت الشعب الأخرىٰ، ما لم تكن تلك الشعبة من نواقض الإسلام، فإذا ذهبت شعبة الحياء بقيت الشعب الأخرىٰ، ولكنَّها تؤثر في كمال الإيمان الواجب، إذا أثرت في ترك واجب، أو أوقعت في كبيرة.

٣- أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأن أهل الإيمان يتفاوتون في إيمانهم، لأن الحياء يزيد وينقص، والناس يتفاوتون في الحياء.

ثانيًا: أهمية أعمال القلوب في حقيقة الإيمان:

١- أعمال القلوب لها مكانة عظيمة في حقيقة الإيمان، فمتىٰ ثبت الإيمان في القلب ظهرت آثاره علىٰ اللسان والجوارح، فإذا عمل القلب بما أقر به، فأخلص في العبادة لله، حبًا فيه، وخوفًا من عذابه، ورجاءً في رحمته، وامتلأ القلب بالرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسول الله ﷺ نبيًا، ظهرت آثار ذلك علىٰ اللسان والجوارح.

٢- الحياء له تأثير علىٰ بقية شعب الإيمان، فهو يؤثر علىٰ شعبة الشهادة، وهي أعلىٰ الشعب، فمن استحىٰ من الله؛ وحدَّه، ولم يشرك به شيئًا، فكيف يعلم أنه المنفرد بالخلق والملك والتدبير، ولا يشهد باستحقاقه وحده بالعبادة، ولا يقوم بعبادته وحده، وكيف يقوم بصرف نوع من أنواع العبادة لغير الله، لا يمكن أن يقوم بذلك من كان في قلبه حياء من الله تعالىٰ، فالحياء من الله يمنع من الوقوع فيما يغضبه، ويذم عليه، ويتوعد صاحبه بالعذاب الأليم.

٣- والحياء له تأثير علىٰ شعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق، فمن قام به الحياء، استحىٰ من الناس ففعل معهم الجميل، فأزال الأذىٰ عن طريقهم، واستحىٰ منهم ولم يضع الأذىٰ في مكان جلوسهم. فدل ذلك علىٰ عظم مكانة شعبة الحياء بين شعب الإيمان، ودل كذلك علىٰ أهمية أعمال القلوب في حقيقة الإيمان.

المسألة الرابعة: شعبة إماطة الأذى، ومكانة أعمال الجوارح في حقيقة الإيمان.

يراد بإماطة الأذىٰ عن الطريق: إزالة كل ما من شأنه أن يسبب للناس الضرر في طرقاتهم وأماكن ظلهم، واستراحاتهم. ويدخل فيه: الترك

والامتناع عن وضع ما يضرهم في تلك الأماكن من باب أولىٰ[1].

فهذه الإزالة، وهذا الترك والامتناع، بنية التعبد الخالص لله تعالىٰ، شعبة من شعب الإيمان، وقربة من القربات التي يُتقرب بها إلىٰ الله، سأتناول في هذا المطلب - بمشيئة الله تعالىٰ - مسألتين:

أولًا: مكانة شعبة إماطة الأذى عن الطريق:

لقد بين النبي ﷺ في الحديث أن هذه الشعبة هي أدنىٰ شعب الإيمان: أي أقلها رتبة وثوابا؛ ولا يعني ذلك: التحقير من شأنها، وشأن فاعلها، وإنما هي عظيمة عند الله تعالىٰ، ولكنها مع عظمتها ومكانتها عند الله، فهي تحتل هذه المكانة بين الشعب، وقد ورد في الأحاديث ما يبين عظم مكانة هذه الشعبة عند الله تعالىٰ، وعظم ثوابها.

أ- جاء في النصوص أنها سبب لمغفرة الذنوب، أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَه»[2].

ب- وجاء أنها سبب لدخول الجنة، أخرج مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِىٰ النَّاسَ»[3]. وفي رواية: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لاَ يُؤْذِيهِمْ. فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ»[4].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر (٢/ ١٣٩).

(٢) كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلىٰ الظهر، فتح الباري، (٢/ ١٣٩)، ح (٦٥٢).

(٣) كتاب البر والصلة، باب فضل إزالة الأذىٰ عن الطريق، (٤/ ٢٠٢١)، ح (١٩١٤).

(٤) المصدر السابق نفسه.

ج- وجاء أنها صدقة من الصدقات التي تثقل موازين صاحبها، وترفعه في الدرجات العالية، أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «وَتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[1].

د- وقد ورد في النصوص الوعيد الشديد لمن يضع في طرقات الناس وأماكن ظلهم ما يؤذيهم، ويدخل الضرر عليهم، أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ». قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الَّذِىْ يَتَخَلَّىٰ فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»[2].

تدل هذه الأحاديث علىٰ مدىٰ اهتمام الإسلام بهذه الشعبة، وإن كانت هي أدنىٰ شعب الإيمان.

ثانيًا: مكانة أعمال الجوارح في حقيقة الإيمان:

١- تدل هذه الشعبة علىٰ أن الإيمان قول وعمل، فالقول قول القلب واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، فعمل الجوارح ركن في حقيقة الإيمان، سواء في أصله وهذا يتعلق بجنس الطاعة؛ جنس عمل الجوارح، أو في كماله الواجب وهذا يتعلق بفعل الواجبات، وترك الكبائر، أو في كماله المستحب وهذا يتعلق بفعل النوافل، وترك المكروهات.

٢- تدل هذه الشعبة علىٰ تفاوت شعب الإيمان، وعلىٰ تبعض حقيقة الإيمان، فهذه الشعبة هي أدنىٰ شعب الإيمان، وإذا ذهبت نقص الإيمان، وبقيت الشعب الأخرىٰ، فترك هذه الشعبة ليس من نواقض الإيمان، بل

(١) كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، (٢/ ٦٩٩)، ح (١٠٠٩).

(٢) كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، (١/ ٢٢٦)، ح (٢٦٩).

هي من نوافله ومستحباته، وترك وضع الأذىٰ في طرقات الناس من كمال الإيمان الواجب.

٣- وتدل هذه الشعبة علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، لتفاوت قيام الناس بهذه الشعبة قلة وكثرة، فالإكثار من القيام بهذه الشعبة يزيد الإيمان، والإهمال لها أو الإقلال منها سبب لنقصان الإيمان.

٤- حقيقة الإيمان مكوَّنة من شطرين كما تقدم: قول وعمل، فالعمل شطر الإيمان سواء كان عمل القلب أو عمل الجوارح، وعندما يطلق العمل فأول ما ينصرف إلىٰ عمل الجوارح، وهو الذي وقع النزاع فيه بين أهل السنة والجماعة وبين مرجئة الفقهاء.

والنبي - ذكر أن الطهور شطر الإيمان، فهذا هو التعبير الشرعي لبيان مكانة عمل الجوارح في حقيقة الإيمان، أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».

٥- يراد بعمل الجوارح هو إظهار الطاعة لله ولرسوله ﷺ، فمن قال بأنه آمن بالله ورسوله، وامتنع عن الطاعة لله ولرسوله ﷺ فهذا ليس من أهل الإيمان.

وهنا نبين أن الطاعة تدخل في أصل الإيمان، وهو الإسلام، فالإسلام له أركان خمسة: الشهادتان والمباني الأربعة، والمباني الأربعة هي عنوان الطاعة، والدليل علىٰ صدق الشهادة، ولكن لمَّا كانت الصلاة هي الواجبة

علىٰ الإنسان في اليوم والليلة خمس مرات، كانت عمود الدين، وأعظم مظهر للطاعة، بخلاف الصوم فهو في العام مرة، ولا يجب إلا علىٰ المقيم والقادر، والسالم من الموانع، وبخلاف الحج فهو في العمر مرة، ولا يجب إلا علىٰ المستطيع، فلذا عندما يعلن الإنسان تركه للكفر والشرك، ويعلن العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له، فدليل ذلك هو الصلاة، فإذا امتنع عنها بالكلية، فلم يأت بالحد الفاصل بين الكفر والشرك وبين الإسلام.

٦- من الأمور التي ينبغي التنبه لها بأنَّ من رأىٰ من علماء أهل السنة والجماعة بأن ترك الصلاة بالكلية تهاونًا وكسلًا ليس بكفر، فهو لم يرَ إخراج العمل عن مسمىٰ الإيمان، ولذا فهو يحكم بالإسلام لمن مع تركه الصلاة ما زال يصوم ويزكي ويحج، وأمَّا من ترك الصلاة مع غيرها من مباني الإسلام، فهو يحكم عليه بالردة.

٧- ومن الأمور كذلك التي ينبغي التنبه لها هي: استخدام كلمة شرط بالنسبة للصلة بين عمل الجوارح وبين حقيقية الإيمان، فإطلاق القول بأن عمل الجوارح شرط صحة أو شرط كمال، فهذا الاطلاق خاطئ، والصواب عمل الجوارح هو شطر في الإيمان.

فمن قال بأن عمل الجوارح شرط صحة بدون تفصيل، فقد يقع في مذهب الخوارج عندما يصل به الأمر إلىٰ اعتبار آحاد عمل الجوارح شرط صحة في الإيمان.

ومن قال بأن عمل الجوارح شرط كمال بدون تفصيل، فقد يقع في مذهب المرجئة لأنه سيرىٰ بأن ترك المباني الأربعة، والوقوع في جميع المحرمات، كل ذلك من كمال الإيمان الواجب، فصاحبه ناقص الإيمان،

معرض للوعيد، وقد يتوصل بعد ذلك إلىٰ مذهب المرجئة الصريح.

والصواب يكون في التفصيل - في حالة استخدام كلمة شرط -، بالتفريق بين جنس عمل الجوارح والمراد به طاعة الله بالإسلام الخاص الذي جاء به رسول الله ﷺ، وبين آحاد الطاعات أي: آحاد عمل الجوارح، فالجنس شرط صحة، لاشتراطه في أصل الإيمان، والآحاد منها ما هو شرط صحة كالصلاة، علىٰ الراجح، ومنها ما هو شرط كمال كإماطة الأذىٰ عن الطريق(١).

المسألة الخامسة: الصلة بين شعب الإيمان الظاهرة والباطنة، وأثرها في ضوابط التكفير.

من قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» يمكن دراسة الترابط بين شعب الإيمان الباطنة والظاهرة، ودراسة تخلف الشعب الباطنة مع وجود الظاهرة، ودراسة حكم تكفير المعين الذي وقع في النواقض الظاهرة وصلة ذلك بالشعب الباطنة، فسيتناول هذا المطلب المسألتين التاليتين:

أولًا: الترابط بين الشعب الظاهرة والباطنة:

يظهر الترابط بين شعب الإيمان الظاهرة والباطنة في الحديث من ناحيتين:

الناحية الأولىٰ - النظر في كل شعبة علىٰ حدة من الشعب الواردة في الحديث، تجدها تجمع بين قول القلب وعمله، وبينهما وبين عمل الجوارح.

(١) انظر: جواب في الإيمان ونواقضه، عبد الرحمن البراك (١٠).

فشعبة الشهادة لا تتحقق إلا بتصديق القلب بها، المستلزم لمحبتها، والإخلاص في قولها، ونحو ذلك من أعمال القلوب، وهذا التصديق والحب والإخلاص في الشهادة يقتضي إعلانها بلسانه، وترك الشرك، وعبادة الله وحده لا شريك له بالجوارح، فإيمان الباطن مرتبط بإيمان الظاهر وجودا وعدما، وزيادة ونقصانا.

وكذلك شعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق، هي شعبة من شعب إيمان الظاهر، لكنها لا تنفع عند الله إلا بإيمان الباطن: من الإيمان بالله واليوم الآخر والإخلاص والاحتساب، وهكذا شعبة الحياء من شعب الإيمان الباطن لا تنفع عند الله مالم يظهر منها شعب تتعلق بالظاهر من فعل الجميل وترك القبيح مع الله ومع الناس ومع النفس.

الناحية الثانية - النظر في الصلة بين الشعب الثلاث فتجد كل شعبة مرتبطة بالشعبتين الأخريتين، فشعبة الشهادة، مرتبطة بشعبة الحياء من الله، فمن شهد بأن الله هو وحده المستحق للعبادة، استحىٰ من الله، فتوجه له بالعبادة، واستحىٰ أن يشرك معه أحدا، وأثر ذلك علىٰ صلاح جوارحه فكان توحيده أمانا وسلاما، فأماط الأذىٰ عن طريقهم، فظهر الترابط بين الشعب الثلاث.

وبالنسبة لشعبة الحياء وهي من أعمال القلوب ينتج عنها الحياء من الله، فتستلزم شعبة الشهادة، وينتج عنها الحياء من الناس، فتستلزم شعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق.

وكذلك الأمر مع شعبة الإماطة فهي شعبة من شعب الظاهر، لكنها لا تنفع عند الله بدون شعبة الشهادة، وهي دالة علىٰ وجود شعبة الحياء في القلب. وبهذا تظهر مسألة الترابط بين الظاهر والباطن:

١- فما أمر الله به من الأفعال الظاهرة، لا بد فيه من معرفة القلب وقصده، وإلا كان نفاقا.

٢- وما أمر الله به من الإيمان الباطن كتصديق القلب وإخلاصه وحبه، لا بد من ظهور موجبه علىٰ اللسان والجوارح، وإلا كان فطرة، أو ادعاء، أو تقية، فصلاح القلب موجب لصلاح أعمال الجسد، وفساد القلب مفسد لأعمال الجسد، وإذا كانت أعمال الجوارح فاسدة دل علىٰ فساد ما في القلب، كما أخبر النبي ﷺ بذلك.

٣- التلازم بين الظاهر والباطن يكون مع توفر شروطه وانتفاء موانعه، كالعلم المنافي للجهل، وعدم الشبهة، وعدم الإكراه، فالتلازم ليس مطلقا، وانتفاء التلازم ليس مطلقا، وإنما التلازم مع توفر شروط وانتفاء موانع.

ثانيًا: ضوابط التكفير:

ضوابط التكفير مرتبطة بمسألة الارتباط بين الظاهر والباطن، فإنه - عند أهل السنة والجماعة - لا يحكم علىٰ المعين بالكفر إلا إذا كان كافرا ظاهرا وباطنا، فلابد من النظر في الأمرين: الظاهر والباطن، فقد يكون القصد في الباطن كفرا، ولا يدل عليه الظاهر كحال المنافق، فهذا تجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا، وقد يكون الظاهر كفرا قاطعا بكفر الباطن، فلا يرتبط فيه الأمر هنا بالاستحلال، كسب الله أو سب رسوله ﷺ، أو دوس المصحف متعمدا، وقد يكون الظاهر كفرا، لكنه لا يدل قطعا علىٰ كفر الباطن، فلا بد هنا من الاستفصال عن الباطن، وهو القصد والمراد، وقد يكون الظاهر محتملا الكفر، فلا بد فيه من التوقف حتىٰ يعرف مراد المعين به[1].

(١) انظر: ضوابط التكفير، عبد الله القرني (٣٠٠، ٣٠١).

بناء علىٰ ما سبق فرق أهل العلم في التكفير بين المطلق والمعين، فالمطلق لا بد فيه من ثبوته في النصوص، والمعين لا بد فيه من استيفاء شروط التكفير، والتأكد من انتفاء موانعه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطًا بثبوت شروط، وانتفاء موانع»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتىٰ تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة. ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[2]

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلىٰ هذا فيجب قبل الحكم علىٰ المسلم بكفر أو فسق؛ أن ينظر في أمرين؛ **أحدهما**: دلالة الكتاب والسنة علىٰ أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم علىٰ القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع»[3].

وشروط تكفير المعين هي: البلوغ ومانعه الصغر، والعقل ومانعه الجنون، والاختيار ومانعه الإكراه، وبلوغ الحجة ومانعه الجهل، وعدم التأويل.

لقد ذكر أهل العلم ضوابط لتكفير المعين، وهي باختصار:

الشرط الأول: التكليف، ومانعه: عدم التكليف من جنون وصغر.

قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصغير حتىٰ يكبر، وعن

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٠ ٢).

(٢) المصدر السابق (١٢/ ٤٦٦).

(٣) مجموع فتاوىٰ ورسائل، ابن عثيمين (٣/ ٣٤٣)

المجنون حتىٰ يفيق - وفي رواية: يعقل - وعن النائم حتىٰ يستيقظ»[1].

الشرط الثاني: العلم، ومانعه: الجهل.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «كان رجل يسرف علىٰ نفسه فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فو الله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك فغفر له»[2].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «... والأصل الثاني: أن المقالة تكون كفرًا؛ كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده؛ كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل علىٰ الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل علىٰ الرسول...»[3].

الشرط الثالث: القصد، ومانعه: الخطأ، ويلحق به: التأويل.

قال ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[4].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، (٤/ ١٤٠) ح (٤٤٠٢)، وصححه الألباني، الإرواء (٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٥٤، فتح الباري (٦/ ٥١٤) ح (٣٤٨١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية (٣/ ٣٥٤).

(٤) أخرجه ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، (١/ ٦٥٩)، ح (٢٠٤٥)؛ وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه، (١٦٦٤).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده، بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو غضب أو خوف أو نحو ذلك، لقوله تعالىٰ -: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾ [الأحزاب: ٥]، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ، قال: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان علىٰ راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتىٰ شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[1] [2].

الشرط الرابع: الاختيار، ومانعه: الإكراه.

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

وهو أن يفعل أمرًا أو يقوله أو يعتقده بإرادته ورغبته من غير إجبار صحيح معتبر شرعًا عليه. وضده الإكراه، وهو مانع من موانع التكفير.

والإكراه: وهو إلزام الغير بما لا يريده ذلك المُلزم، فيفعل أو يقول ما يمليه عليه من ألزمه وأكرهه، وقلبه مطمئن بالإيمان[3].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض علىٰ التوبة، (٤/ ٢١٠٤) ح (٢٧٤٧).

(٢) مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (٧/ ٤٣).

(٣) انظر: مسألة الإيمان، دراسة تأصيلية، علي الشبل (٦٧ – ٧٦).

مقارنة بين طريقة السلف والخلف في باب الأسماء والأحكام:

موقف الفرق في باب الأسماء والأحكام:

طريقة السلف	طريقة الخلف
الالتزام بالمعنى الشرعي	الالتزام بالمعنى اللغوي دون الشرعي
العمل بجميع النصوص	العمل ببعض النصوص دون بعض
القول بأن الإيمان حقيقة مركبة	القول بأن الإيمان حقيقة مفردة
يحكم بالإسلام لكل من نطق بالشهادتين، ملتزماً العمل	يتساهلون في الحكم بالإسلام حتى لمن لم ينطق بالشهادتين بلا مانع
يشددون في سلب وصف الإيمان عن المعين فلا يكون إلا بمكفر شرعي بعد استيفاء الشروط والتأكد من الخلو من الموانع على أيدي أهل العلم المعتبرين	يتساهلون في إطلاق الكفر على المعين إذا خالف منهجهم ومعتقداتهم

الفرقة	حقيقة الإيمان	حقيقة الكفر	اسم مرتكب الكبيرة في الدنيا	اسم مرتكب الكبيرة في الآخرة
أهل السنة والجماعة	مركبة من القول والعمل. فهو شعب وأجزاء، إذا ذهب بعضها - مما لا يعتبر ناقضًا - بقي البعض الآخر	مركب من القول والعمل فقد يكفر الانسان بعقيدة يعتقدها أو قول يقوله أو فعل يفعله مما هو ثابت أنه من نواقض الاسلام	فاسق مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته مؤمن ناقص الإيمان	تحت مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. لكنه لا يخلد في النار ومصيره إلىٰ الجنة.
الخوارج	مفرد من القول والعمل فإذا ذهب بعضه ذهب كله	إذا ارتكب الإنسان كبيرة من الكبائر فقد كفر، علىٰ خلاف بينهم في تحديد الكبائر	كافر	خالد في النار

الفرقة	حقيقة الإيمان	حقيقة الكفر	اسم مرتكب الكبيرة في الدنيا	اسم مرتكب الكبيرة في الآخرة
المعتزلة	مثل قول الخوارج	مثل قول الخوارج	فاسق في منزله بين المنزلتين، أي: منزلة الإيمان والكفر، فلا هو مؤمن ولا كافر	خالد في النار
المرجئة	مفرد من القول فحسب ويخرجون العمل عن مسمى الإيمان	لا يكفر إلا بالجحود والاستحلال	مؤمن	مفرد من القول فحسب ويخرجون العمل عن مسمى الإيمان

الخلاصة:

١- الراجح في حديث الشعب رواية الجزم بلفظ: «بضع وسبعون».

٢- يجب التنبه إلى أمرين مهمين عندما نفسر الإيمان لغة بأنه التصديق: **الأمر الأول**: أنه ليس المراد به مجرد التصديق، وإنما المراد به التصديق الذي يكون معه: إقرار وأمن وطمأنينة، **الأمر الثاني**: أن التصديق في اللغة كما يكون بالقلب، يكون باللسان وبالجوارح أيضا.

٣- هناك فرق في المعنى بين الإيمان وبين الإسلام أو ما يقوم مقامه مثل العمل الصالح، ومثل التقوى في حال الاقتران. فالإيمان يكون المقصود به الجانب الغيبي من الدين الإسلامي، والمتعلق بالقلب، ويقوم على أركان الإيمان الستة. والإسلام المقصود به الجانب الظاهر من الدين الإسلامي

والمتعلق بالجوارح، ويقوم علىٰ أركان الإسلام الخمسة. وأما الإيمان في حال الإطلاق فهو والإسلام معناهما واحد، وهو الدين الإسلامي كله، ما يتعلق منه بالقلب، وما يتعلق منه بالجوارح.

٤- النصوص التي فيها وعد أهل الإيمان بدخول الجنة ولم يذكر فيها العمل أو الإسلام أو التقوىٰ، فإن المراد بالإيمان هو المطلق الذي يتضمن الإسلام والعمل والتقوىٰ، بدلالة حديث الشعب، وأنَّ النصوص التي ورد فيها وعد المتقين، أو المسلمين، أو أهل العمل الصالح بالجنة فإن أول ما تتضمنه تلك الأوصاف هو الإيمان.

٥- الواجب علىٰ جميع المسلمين، تجنب مقالة الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، والقول بما في هذا الحديث بأنَّ الإيمان حقيقة مؤلفة من شعب وأجزاء متفاوتة لها أعلىٰ وأدنىٰ، فإذا ذهب بعضها - مما لا يعتبر ذهابه من نواقض الإيمان - بقي البعض الآخر، ومن هنا فحكم مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، فلا يعطىٰ الإيمان المطلق، أي: الكامل، كما تفعل المرجئة، ولا ينفىٰ عنه مطلق الإيمان، فيكفر، وهو ليس بكافر في الشرع، كما تفعل الخوارج.

٦- الواجب علىٰ جميع المسلمين العلم بما دل عليه هذا الحديث، بأنَّ الحقيقة الشرعية للإيمان مؤلفة من القول والعمل، لا ينفع أحدهما دون الآخر، فالعمل بلا تصديق نفاق، والتصديق بلا عمل وانقياد لا ينفع صاحبه كحال أبي طالب، فإنَّه لم ينتفع بتصديقه للرسول ﷺ، فلا بد منهما حتىٰ توجد الحقيقة الشرعية للإيمان، وأما ذهاب بعض القول أو ذهاب بعض العمل، فإنَّه يتبقىٰ البعض الآخر، ما لم يكن ما ذهب من نواقض الإيمان.

٧- الكفر هو عدم الإيمان، أو نقض الإيمان بنقض أحد أركانه الأربعة، فيكون الكفر بنقض قول القلب، أو بنقض عمله، أو بنقض قول اللسان، أو بنقض عمل الجوارح، فنواقض الإيمان قولية وعملية، ولا بد من التفريق بين التكفير المطلق، وبين التكفير المقيد بالأعيان، ففي حالة إنزاله علىٰ الأعيان لابد أن يكون من مؤهل من أهل العلم للقيام بذلك بعد إقامة الحجة، واستيفاء الشروط والتأكد من الخلو من الموانع.

٨- حقيقة الإيمان مؤلفة من شعب وأجزاء، وهذه الشعب متفاوتة في الفضل، لها أعلىٰ وأدنىٰ، ومن هنا فكلَّما جمع المسلم شعبة زاد بها إيمانه، فإذا جمع شعبة الصلاة والصوم والزكاة والحج: وزاد: طلب العلم، وقراءة القرآن، وقيام الليل: زاد الإيمان. وكلما ذهبت منه شعبة من شعب الإيمان: كشعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق، والابتسامة، وصلة الأرحام، والإحسان إلىٰ الجيران: نقص بسبب ذلك الإيمان.

٩- حديث الشعب واضح الدلالة علىٰ انقسام الإيمان إلىٰ كامل وناقص من ناحية بيان أنّ الإيمان شعب وأجزاء، فصاحب الإيمان الكامل هو من استكمل الشعب، والناقص من ذهبت منه بعض تلك الشعب. فمن استثنىٰ فقال: إن شاء الله، ويريد الإيمان الكامل، يعني بذلك: إن شاء الله يكون إيماني إيمانا كاملا، جاز له ذلك، وأمّا إن كان مقصوده استثناء مطلق الإيمان، الذي هو بمعنىٰ الإسلام، فيسأل عن إيمانه يعني هل أنت من المؤمنين، أي من المسلمين، فهنا لا يجوز له ذلك، لأنه لا يجوز له الشك في صدقه في الإيمان.

١٠- عمل الجوارح ركن في حقيقة الإيمان، سواء في أصله وهذا يتعلق

بجنس الطاعة؛ جنس عمل الجوارح، أو في كماله الواجب وهذا يتعلق بفعل الواجبات، وترك الكبائر، أو في كماله المستحب وهذا يتعلق بفعل النوافل، وترك المكروهات.

١١- إطلاق القول بأن عمل الجوارح شرط صحة أو شرط كمال خطأ، والصواب عمل الجوارح هو شطر في الإيمان. والصواب يكون في التفصيل - في حالة استخدام كلمة شرط -، بالتفريق بين جنس عمل الجوارح والمراد به طاعة الله بالإسلام الخاص الذي جاء به رسول الله ﷺ، وبين آحاد الطاعات أي: آحاد عمل الجوارح، فالجنس شرط صحة، لاشتراطه في أصل الإيمان، والآحاد منها ما هو شرط صحة كالصلاة، علىٰ الراجح، ومنها ما هو شرط كمال كإماطة الأذىٰ عن الطريق.

١٢- ضوابط التكفير مرتبطة بمسألة الارتباط بين الظاهر والباطن، فلا يحكم علىٰ المعين بالكفر إلا إذا كان كافرا ظاهرا وباطنا، فلابد من النظر في الأمرين: الظاهر والباطن، فقد يكون القصد في الباطن كفرا، ولا يدل عليه الظاهر كحال المنافق، فهذا تجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا، وقد يكون الظاهر كفرا قاطعا بكفر الباطن، فلا يرتبط فيه الأمر هنا بالاستحلال، كسب الله أو سب رسوله ﷺ، أو دوس المصحف متعمدا، وقد يكون الظاهر كفرا، لكنه لا يدل قطعا علىٰ كفر الباطن، فلا بد هنا من الاستفصال عن الباطن، وهو القصد والمراد، وقد يكون الظاهر محتملا الكفر، فلا بد فيه من التوقف حتىٰ يعرف مراد المعين به.

المبحث الأول
مقالات الخوارج

المطلب الأول: تعريف الخوارج

- الخوارج لغة: جمع خارجة، علىٰ وزن فاعلة تجمع فواعل، مثل: قاعدة تجمع قواعد، وفاكهة تجمع فواكه، والنسبة إلىٰ خارجة: خارجي.
- وكلمة خوارج في اللغة: ضدها دواخل، والخارجي ضده الداخلي، فيقال: الخوارج والدواخل، والخارجية والداخلية.

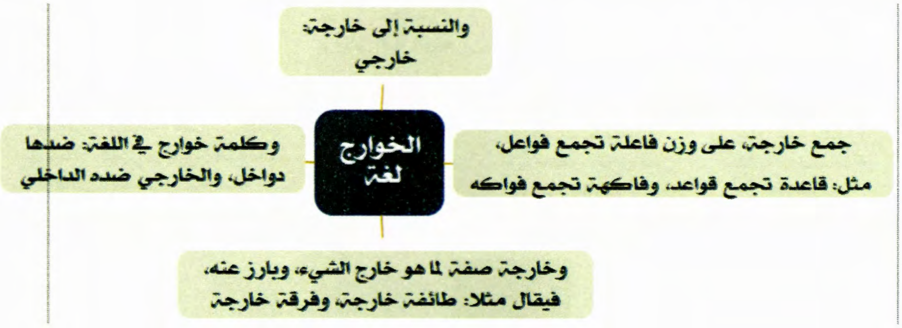

- وخارجة صفة لما هو خارج الشيء، وبارز عنه، فيقال مثلا: طائفة خارجة، وفرقة خارجة.

أ - **التعريف الخاص**: أي يخص فرقة بعينها.

- هم تلك الطائفة التي خرجت علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقب معركة صفين، بعد قبوله التحكيم، وقالوا بكفره، وكفر معاوية رضي الله عنه، وكفر الحكمين، وكفر من رضي بالتحكيم، وكفر عثمان رضي الله عنه، وأصحاب الجمل.
- **وهم الذين أطلق عليهم الألقاب التالية: المحكمة الأوائل والحرورية والشراة والمارقة،**
- **وهم الذين منهم: الأزارقة والصفرية والنجدات والإباضية.**

ابن حزم
يعرف بفرقة الخوارج بأبرز مقالاتها:

- أ- إنكار التحكيم.
- ب- تكفير أصحاب الكبائر.
- ج- القول بالخروج على أئمة الجور.
- د- القول بخلود أصحاب الكبائر في النار.
- هـ- القول بأن الإمامة جائزة في غير قريش

تعريف الأشعري للخوارج :

الخوارج هم الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - عقب معركة صفين، بعد قبوله التحكيم، وأجمعوا على تكفيره بذلك.

- أ - إثبات إمامة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- ،

  وإنكار إمامة عثمان - رضي الله عنه - في سنيه الأخيرة، بعد الأحداث التي نقم عليه من أجلها،

  ويقولون بإمامة علي - رضي الله عنه - قبل أن يقبل التحكيم في صفين، وينكرون إمامته بعد ذلك.
- ب - تكفير معاوية، وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهم .
- ج - كل كبيرة كفر، وكل صاحب كبيرة يموت عليها فهو خالد في نار جهنم، إلا النجدات فقد شذوا عن ذلك فلم يقولوا بكفر صاحب الكبيرة كفر دين ولم يقولوا بعذابه الدائم في جهنم .
- د - يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف، إلا الإباضية فهي لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنها ترى إزالة أئمة الجور بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغيره.

الخوارج

- تَكفِيرَ أَرْبَابِ الذّنُوبِ
  - وَعُثمَانُ ﷺ وَعَلِيّ ﷺ وَمَنْ وَالاهُمَا لَيسُوا بِمُؤمِنِينَ: لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا بِغَيرِ مَا أَنزَلَ اللهُ
  - مَنْ خَالفَ القرآنَ بعَمَلٍ أوْ برأيٍ أخطأ فِيهِ فهُوَ كافِرٌ
  - عُثمَانَ وَعَلِيًا - رضي الله عنهما- وَمَنْ وَالاهُمَا كانُوا كذَلِك.
- مَنْ لَمْ يَكن بَرًا تَقِيًا
  - فهُوَ كافِرٌ
  - وَهُوَ مُخَلدٌ في النّار

الخوارج

- ١ - تكفير
  - أ - بالذنوب
  - ب - بما يرونه هم من الذنوب
  - ج - من خالفهم في بدعتهم
- ٢ - استحلال
  - الدماء
  - الأموال

ب- **التعريف العام** الذي يدخل فيه كل خارجي حتىٰ لو كان خارجا عن فرقة الخوارج المعروفة: الخوارج لقب يطلق علىٰ كل من جمع بين الصفتين التاليتين: التكفير بغير حق، والاستحلال للدماء والأموال بناء علىٰ ذلك.

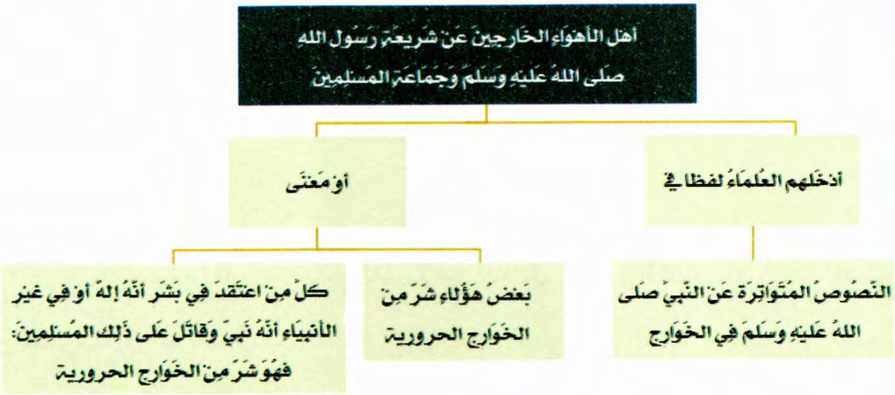

يقول ابن تيمية: «هَذِهِ النُّصُوصُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَوَارِجِ قَدْ أَدْخَلَ فِيهَا الْعُلَمَاءُ لَفْظًا أَوْ مَعْنَىٰ مَنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ الْخَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ بَعْضُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ الْخَوَارِجِ الحرورية؛ مِثْلُ الخرمية وَالْقَرَامِطَةِ وَالْنُصَيْرِيَّة وَكُلِّ مِنْ اعْتَقَدَ فِي بَشَرٍ أَنَّهُ إلَهٌ أَوْ فِي غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَقَاتَلَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ: فَهُوَ شَرٌّ مِنْ الْخَوَارِجِ الحرورية».

ويقول: «والْمَقْصُودُ هُنَا أَنْ يَتَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفَ الْمُحَارِبِينَ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ هُمْ شَرٌّ مِنْ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ نَصَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ وَرَغَّبَ فِيهِ.

- وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ الْعَارِفِينَ بِحَقِيقَتِهِ.
- ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَىٰ أَنَّ لَفْظَ الرَّسُولِ ﷺ شَمَلَ الْجَمِيعَ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَىٰ أَنَّهُمْ دَخَلُوا مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ وَالْفَحْوَىٰ.
- أَوْ مِنْ بَابِ كَوْنِهِمْ فِي مَعْنَاهُمْ».

المطلب الثاني: حديث الخوارج وأبرز صفاتهم

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا[1]، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل.

قال رسول الله ﷺ: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل أنا؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل».

فقال عمر: ائذن لي فيه، أضرب عنقه.

قال ﷺ: «دعه فإن له أصحاب يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلىٰ نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلىٰ رصافة فلا يوجد فيه شيء، ثم ينضر إلىٰ نضيه فلا يوجد فيه شيء (وهو القدح)، ثم ينظر إلىٰ قذذه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث الدم، آيتهم رجل أسود، إحدىٰ عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر يخرجون علىٰ حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس

(١) كان هذا القسم عبارة عن ذهب غير مسبوك أرسل به علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اليمن، فقسمه النبي ﷺ علىٰ أربعة من المسلمين الجدد يتألفهم. فتكلم بعض الصحابة، فقال لهم النبي ﷺ: إنما أتألفهم.

فوجد، فأتي به، حتى نظرت إليه، على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت.

أبرز صفات الخوارج:

١- الجهل بأحكام الدين، وعدم الفهم الصحيح لنصوص القرآن والسنة.

٢- الإعجاب والتعالي بالنفس.

٣- الاتهام لنيات الآخرين، واحتقارهم وازدراؤهم.

٤- كثرة الاختلافات فيما بينهم، وتكفير بعضهم البعض، وتكفير من يخالفهم في الرأي.

المطلب الثالث: متى وكيف خرجوا ولماذا خرجوا؟

١- خرجوا بعد حادثة التحكيم.

انحازوا إلىٰ حروراء وعينوا شبث بن ربعي التميمي أميرًا للقتال، وعبد الله بن الكواء اليشكري أميرًا للصلاة.

٢- وذلك لما بعث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للتحكيم ضاق الخوارج بهذا وقرروا الانفصال عنه، وتكوين إمارة مستقلة وتعيين أمير لهم، وعرضوا الأمر علىٰ بعض زعمائهم فرفضوا، وقبلها أخيرًا عبد الله بن وهب الراسبي، وبايعوه أميرًا لهم في العاشر من شهر شوال عام ٣٧هـ، ونزلوا النهروان وكتبوا إلىٰ أصحابهم أن يوافوهم بها ويتجمعوا هناك.

٣- لماذا خرجوا؟

لثلاثة أسباب:

١- قبول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التحكيم. فهو بذلك - عندهم - قد حكم الرجال في أمر الله، الذي يقول عنه تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾. فأخطأ بهذا، وكان ينبغي أن يستمر في القتال حتىٰ يظهر حكم الله.

وقد أجابهم: بأن الله أوجب التحكيم في أمور أهون من حقن دماء المسلمين، كحالة الشقاق بين الزوجين، وجزاء قتل الصيد.

٢- قاتل أصحاب الجمل وقتلهم، وفي نفس الوقت لم يسبهم ولم يأخذ غنائمهم فليس في كتاب الله إلا مؤمن وكافر. فإن كان هؤلاء مؤمنين

لم يحل قتالهم، وإن كانوا كفارًا أبيحت دماؤهم وأموالهم.

وقد أجابهم: بأن ضمن المقاتلين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فمن يرضي أن تكون من سبيه.

٣- محا عن نفسه لقب أمير المؤمنين في أثناء قبوله التحكيم. وفي رأيهم أنه لم يكن أميرًا للمؤمنين فهو أمير للكافرين.

وقد أجابهم: بأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلح الحديبية محا في الكتابة بعد اسمه صفة الرسالة بناءً على طلب المشركين.

المطلب الرابع: فرق الخوارج

١- فرقة الأزارقة.

٢- فرقة النجدات.

٣- فرقة الصفرية.

٤- فرقة الأباضية.

أولا: فرقة الأزارقة:

نافع بن الأزرق:

التعريف به: هو أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي. كان علىٰ قدر كبير من الشجاعة، وعلىٰ معرفة بالقرآن، ومقدرة علىٰ الخطابة.

وهو الذي أحدث أول خلاف بين جماعة الخوارج، حيث تبرأ ممن قال بالتقية، وتبرأ ممن أجاز القعود في دار المخالف.

دوره في الخروج:

قاد جماعته الذين ذهبوا معه إلىٰ البصرة بعد اختبارهم لابن الزبير إلىٰ الأهواز، وسيطروا عليها وعلىٰ ما وراءها من بلاد فارس وكرمان، وأقام هو وأصحابه يستعرضون الناس، ويسفكون الدماء ويقتلون الأطفال حتىٰ روعوا سكان تلك الأماكن، وامتد نفوذهم إلىٰ البصرة.

بم انتهى أمره:

دخل معهم عمال ابن الزبير في معارك عنيفة، حتىٰ تمكنوا في معركة دولاب من قتل نافع بن الأزرق.

بدع الأزارقة:

١- أكدوا ارتباطهم بالمحكمة الأولىٰ بتكفيرهم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقولهم بأنه هو الذي نزل فيه قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾. وصوبوا قاتله ابن ملجم، ووصفوه بأنه من الذين باعوا نفوسهم لله وفيه ورد: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾.

٢- مرتكب الكبيرة - عندهم - كافر، خالد مخلد في النار.

٣- مخالفهم في الرأي مشرك، وألحقوا بهم في الشرك أطفالهم، وأنهم جميعًا مخلدون في النار، ومن ثم يحل قتلهم وقتالهم.

٤- دار مخالفيهم دار حرب، يستباح منها ما يستباح في دار الحرب من قتل الأطفال والنساء، وسلب الذراري وغنيمة الأموال. وأن من خالفهم لا يحفظ له عهد ولا تؤدىٰ له أمانة.

٥- من أقام في دار الكفر (يقصدون غير معسكرهم) وقعد عن اللحاق بهم - وإن كان علىٰ رأيهم، اعتبروه مشركًا.

٦- إسقاط حد الرجم عن الزاني المحصن. لأنه لم يرد في القرآن نص عليه.

٧- إسقاط حد القذف عن من قذف المحصن من الرجال مع وجوبه علىٰ من قذف المحصنات من النساء.

٨- يد السارق تقطع في القليل والكثير، والقطع يكون من المنكب.

٩- حرموا قتل النصارىٰ واليهود، وأباحوا قتل المسلمين المخالفين.

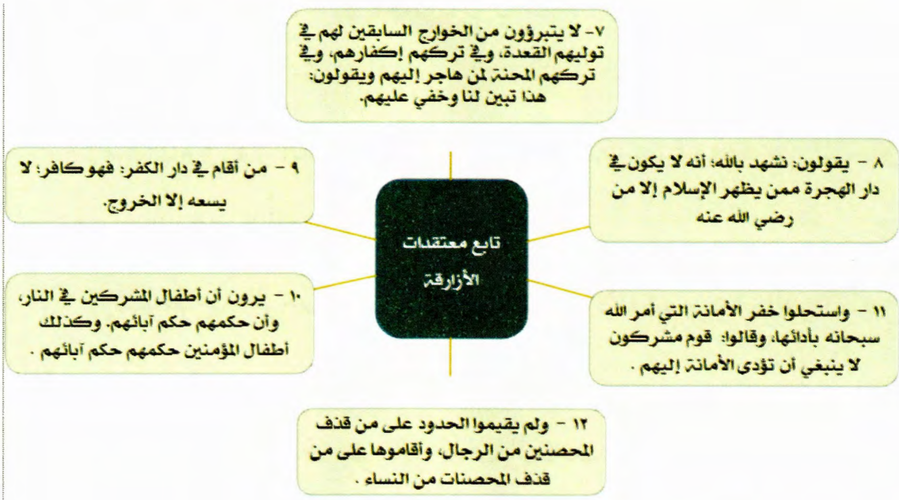

ثانيًا: فرقة النجدات:

نجدة بن عامر:

١- كان باليمامة، وأراد اللحاق بنافع، فعندما قابله من أطلعه بما

أحدث نافع من آراء عن استباحة قتل أطفال مخالفيه، وحكمه علىٰ القعدة بالشرك. رجع ثانية إلىٰ اليمامة وأعلن انفصاله عن نافع وبراءته منه. وبويع له بالإمامة وأصبح أميرًا علىٰ طائفة من الخوارج عرفوا بالنجدات.

٢- أنكر نجدة علىٰ الأزارقة:

- إكفارهم القعدة منهم ممن لم يهاجر إليهم، وامتد الأمر إلىٰ تكفير نافع ومن قال بإمامته.
- أنكر استباحتهم قتل الأطفال.

بدع النجدات:

ذهب النجدات إلى أن الدين أمران:

أ- معرفة الله تعالىٰ ومعرفة رسله، وتحريم دماء المسلمين (يقصدون موافقيهم في المذهب)، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب علىٰ الجميع معرفته، ولا عذر في الجهل به.

ب- ما سوىٰ ذلك، فالناس معذورون فيه إلىٰ أن تقوم الحجة في الحلال والحرام. وتبنىٰ النجدات مبدأ العذر بالجهل في الفروع حتىٰ سموا «العاذرية».

في الحكم على مرتكب الكبيرة:

فرق النجدات بين:

أ- من يأتي الذنوب ويصر عليها.

ب- ومن يأتيها من غير إصرار.

فالأول مشرك، وإن كان الذنب نظرة بسيطة أو كذبة صغيرة أو غيرها من الصغائر.

والثاني مسلم، وإن اقترف الكبائر كالزنا والسرقة.

ومن هذا يفهم قولهم عن نجدة أنه تولىٰ أصحاب الحدود من موافقيه.

١- أسقطوا حد الخمر.

٢- قالوا بعدم وجوب الإمامة.

عقائد النجدات

١ - عذروا بالجهالات إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل .

٢ - قالوا: ومن ثقل عن هجرتهم فهو منافق

٣ - وحكي عنهم أنهم استحلوا دماء أهل المقام وأموالهم في دار التقية، وبرئوا ممن حرمها.

٤ - تولوا أصحاب الحدود والجنايات من موافقيهم، وقالوا: لا ندري لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم، فإن فعل فإنما يعذبهم في غير النار بقدر ذنوبهم، ولا يخلدهم في العذاب، ثم يدخلهم الجنة .

٥ - زعموا أن من نظر نظرة صغيرة، أو كذب كذبة صغيرة، ثم أصر عليها فهو مشرك .

وأن من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم.

عذروا بالجهالات، إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل .

- الدين أمران :
  أحدهما: معرفة الله، ومعرفة رسله عليهم السلام، وتحريم دماء المسلمين وأموالهم، وتحريم الغصب، والإقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب .
- وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته، حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحلال، فمن استحل شيئا من طريق الاجتهاد مما لعله محرم؛ فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه .
- قالوا: ومن خاف العذاب على المجتهد في الأحكام المخطئ قبل أن تقوم عليه الحجة فهو كافر.

ثالثًا: فرقة الصفرية:

الصفرية:

أ- نسبة للصفرة التي تعلوا وجوههم من أثر العبادة والزهد.

ب- نسبة إلىٰ رجل بعينه، واختلفوا في تعيينه:

١- قيل: نسبة إلىٰ زياد بن الأصفر، وهذا أقواها.

٢- وقيل: النعمان بن صفر.

٣- وقيل: المهلب بن أبي صفرة، لكونه قاتلهم، وهذا بعيد.

٤- وقيل: عبد الله بن صفار.

بدع الصفرية:

١- القعدة ومرتكب الكبيرة.

- لم يكفروا القعدة ما داموا موافقين لهم في الدين والاعتقاد.

- لم يكفروا مرتكب الكبيرة علىٰ الإطلاق:

أ- ما كان فيها حد مقرر كالزنا والسرقة، فهذا في رأيهم لا يتجاوز فيه تسمية القرآن أنه زان أو سارق.

ب- أما الذنوب التي ليس فيها حد مقرر كترك الصلاة والفرار من الزحف، فمرتكب مثل هذه الذنوب يعتبرونه كافرًا.

٢- دار مخالفيهم ليست دار حرب. ولم يحكموا بقتل الأطفال وتكفيرهم ولا بخلودهم في النار.

٣- تولوا المحكمة الأولىٰ، كعبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير.

٤- لم يسقطوا عقوبة الرجم كما فعل الأزارقة، وأجازوا التقية ولكن في القول دون العمل.

رابعًا: الأباضية:

سبب التسمية: نسبة إلىٰ عبدالله بن أباض؛ (من التابعين المتأخرين ومن زعماء الخوارج وموافق للخوارج في غالب أصولهم المعروفة في زمانه).

نشأتها: انفصل عبدالله بن أباض عن الأزارقة (نسبة إلىٰ نافع بن الأزرق)، فابن أباض يرىٰ أنه لا يحل من المخالفين إلا دماءهم فقط دون أموالهم، وأنهم كفار نعمة، وتجوز مناكحتهم، وإرثهم، ومعايشتهم والإقامة بينهم، خلافًا للأزارقة. وقد يسمون (القعدة) الذين قعدوا عن الخروج مع نافع، ويسمون (الوهبية) نسبة إلىٰ عبدالله بن وهب الراسبي.

أبرز من تنتسب إليه:

تدعي هذه الفرقة ارتباطها بجابر بن زيد، وأنه المؤسس للمذهب، رغم ما ثبت عنه أنه تبرأ منهم، ويرون بأنهم لم ينسبوا له، لكونهم كانوا يسمون: بجماعة المسلمين، وبأهل الدعوة، هذا من جهة، ومن جهة

أخرى أن ابن إباض اشتهر بمواقفه الكلامية والسياسية فنسبوا له فيما بعد.

ومن أبرز من ينتسبون له أيضا: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، والربيع بن حبيب الفراهيدي، وقد كان لهما دورا كبيرا في نشر المذهب الأباضي في نواحي عديدة من البلدان الإسلامية.

أبرز معتقداتهم في المخالفين لهم من أهل القبلة: يرونهم كفارا غير مشركين، موحدين غير مؤمنين، كافرين كفر نعمة لا كفر ملة، ويحكمون عليهم بالخلود في النار في الآخرة، لكن في الدنيا يجوزون التعامل الحسن معه، فيجيزون: مناكحتهم، وموارثتهم، وشهادتهم. ولا يرون دارهم دار كفر، إلا معسكر السلطان فهو عندهم دار بغي، ولا يرون استباحة أموالهم ودمائهم إلا في حال الحرب.

أبرز فرق الأباضية:

أ- **الحفصية**، نسبة لإمامهم حفص بن أبي المقدام. وأبرز مقالاتهم ما يلي:

١- زعم أن بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده، فمن عرف الله سبحانه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع الخبائث

من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر ما حرم الله سبحانه من فروج النساء فهو كافر بريء من الشرك.

وكذلك من اشتغل بسائر ما حرم الله سبحانه مما يؤكل ويشرب فهو كافر بري من الشرك.

ومن جهل الله سبحانه وأنكره فهو مشرك. ثم قال بعد ذلك: الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله.

٢- تأول في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحو ما تأولت الشيعة في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وزعم أن عليًا هو الحيران الذي ذكره الله في القرآن، وأن أصحابه الذين يدعونه إلىٰ الهدىٰ أهل النهروان، وزعم أن عليًا هو الذي أنزل الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾. وأن عبد الرحمن بن ملجم هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾.

ب- **الحارثية**، أصحاب حرث الإباضي، قالوا في القدر بقول المعتزلة وخالفوا فيه سائر الإباضية وزعموا أن الاستطاعة قبل الفعل.

ج- **اليزيدية**؛ نسبة لإمامهم يزيد بن أنيسة. ومن أبرز مقالاتهم:

١- قالوا: نتولىٰ المحكمة الأولىٰ، ونبرأ ممن كان بعد ذلك من أهل الأحداث، ونتولىٰ الإباضية كلها ويزعمون أنهم مسلمون كلهم إلا من بلغه قولنا فكذبه أو من خرج.

٢- زعم يزيد أن الله سبحانه سيبعث رسولًا من العجم، وينزل عليه كتابًا من السماء يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة، فترك شريعة محمد ودان بشريعة غيرها.

٣- تولىٰ من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب؛ وأن لم يدخلوا في دينه، ولم يعملوا بشريعته. وزعم أنهم بذلك مؤمنون.

فمن الإباضية من وقف فيه، ومنهم من برئ منه، وجلهم تبرأ منه.

تدافع الأباضية عن المحكمة الأوائل بعدة أمور منها:

١- إن إمامة علىٰ لم تثبت بإجماع الصحابة، حيث لم يدخل فيها طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- الجواب: بيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد انعقدت ببيعة عامة المسلمين وجمهورهم ما عدا أهل الشام.

- طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الثابت عنهما أنهما بايعا.

- وكذلك عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما قيل في أنهما لم يبايعا لا سند له.

٢- إن في خروج طلحة والزبير ومن معهما أسوة لخروج هؤلاء، فكيف يحل لهم ويحرم علىٰ غيرهم وكذلك القول في خروج معاوية ومن معه.

الجواب: خروجهم جميعًا لم يكن سعيًا للخلافة ولا شعارًا للفتنة - كما فعل الخوارج، وإنما كان عن اجتهاد اجتهدوه، فعندما تبين لطلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطأه رجعا عنه، وأما معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يتبين له ذلك فأصر عليه.

٣- أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعطىٰ الحكمين العهد والميثاق علىٰ قبول ما يحكمان به، وقد حكما بخلعه فلمن خرج عليه العذر.

الجواب: إن الحكمين لم يحكما بخلع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل الثابت أنهما

اتفقا علىٰ رد الأمر إلىٰ النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

٤- أنه قبل التحكيم مكرهًا خوفًا علىٰ نفسه، فعليه فقد سقطت إمامته لضعفه.

- الثابت أنه قبله حقنًا للدماء، ورغبة في تحكيم الشرع بين المسلمين، وعملًا بمبدأ الشورىٰ.

٥- لكل مجتهد نصيب وهؤلاء اجتهدوا.

الجواب: المجتهد هو الذي تتوفر فيه شروط الاجتهاد، ويلتزم بأدب المجتهد. أما الذي يحكم بهواه بجهل أو يتجاهل النصوص الثابتة القطعية في قضية اجتهاده فلا أجر له.

أماكنهم قديمًا وحديثًا:

١- عمان والمشرق الإسلامي وزنجبار (تنزانيا) منذ سنة ٦٤هـ حين قال ابن أباض بأن المخالف كافر كفر نعمة ويقاتل، ولكن لا تجري عليهم أحكام الكفار، وعمان تعد من معاقلهم، يحكمونه إلا فترات يسيرة من التاريخ، ولهم وجود في حضرموت واليمن.

٢- المغرب العربي: من النصف الأول من القرن الثاني الهجري في آخر الدولة الأموية، والآن يوجدون في وادي ميزاب غرب مدينة الجزائر العاصمة، وفي تونس (في جزيرة جربة) وفي واحات الصحراء المغربية.

من علمائهم المعاصرين:

١- مفتىٰ عمان (الخليلي).

٢- سالم بن حمود السمائلي.

٣- السيابي وله رسالة في الرد على الشيخ ابن باز في فتواه (حكم الصلاة خلف من ينفي الرؤية في الآخرة) وقد رد عليه الشيخ صالح الفوزان.

من كتبهم:

١- قامت وزارة التراث القومي والثقافة بعمان بطبع مجموعة ضخمة من كتب الأباضية مع تحقيقها ونشرها.

٢- من كتبهم مسند الربيع بن حبيب وهو أصح كتاب عندهم بعد كتاب الله ويرجعونه إلى أبي الشعثاء: جابر بن زيد وهو ملئ بالأخبار المنقطعة والموضوعة والمخالفات العقدية كتعطيل الصفات ونفي الرؤية والزعم بأن الله في كل مكان.

٣- ومن كتبهم: بداية الإمداد على غاية المراد لسليمان الكندي الأباضي حيث أول الميزان والصراط بالعدل.

عقائد الأباضية:

المبحث	عقائد الأباضية بشكل عام
١- الأسماء والصفات	من أقوالهم ومعتقداتهم: ١- الله في كل مكان. ٢- نفي الرؤية. ٣- نفي اليد وتأويلها بالقدرة. ٤- نفي الاستواء على العرش. ٥- نفي العين والنفس).
٢- القرآن	- أباضية المغرب معتزلة يقولون بخلق القرآن - أباضية عمان يقولون القرآن غير مخلوق لكن على رأي الأشاعرة يقولون بأنه (كلام نفسي) إلا أن معاصرهم (الخليلي) نصر قول الجهمية فقال بخلق القرآن، ومنهم الواقفة.

المبحث	عقائد الأباضية بشكل عام
٣ - الرؤية	ينكرون رؤية الله تعالىٰ يوم القيامة.
٤ - الإيمان	الإباضية يقولون أن جميع ما افترض الله سبحانه علىٰ خلقه إيمان.. وأن كل كبيرة فهي كفر نعمة، لا كفر شرك.. فهو: قول وعمل ولكن لا يزيد ولا ينقص.
٥ - مرتكب الكبيرة	قالوا: أن كل طاعة إيمان ودين، وأن مرتكبي الكبائر موحدون، وليسوا بمؤمنين. - في الدنيا كافر كفر نعمة. - في الآخرة خالد مخلد في النار.
٦ - الشفاعة	لا تنال أصحاب الكبائر
٧ - الصحابة	١- الخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ٢- ينكرون إمامة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها. ٣- ويقولون بإمامة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يحكم وينكرون إمامته لما أجاب إلىٰ التحكيم. ٤- يكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الطعن في عثمان وعلي وعمرو ومعاوية وطلحة والزبير وأصحاب الجمل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

المبحث	عقائد الأباضية بشكل عام
٨ - الأئمة والخروج	١- الخوارج تقول بالسيف وتراه، إلا أن الإباضية لا ترىٰ اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف. ٢- يؤيدون خروج أسلافهم وأهل النهروان ٣- يرون أن الإمام إذا ارتكب كبيرة حل دمه وجاز الخروج عليه.
٩ - حديث الآحاد	لا يحتجون بحديث الآحاد في العقائد.
١٠ - السنة النبوية	يعطلون أغلب السنة النبوية احتجاجًا بحديث جاء في مسند الربيع بن حبيب «إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه علىٰ كتاب الله فما وافقه فعني وما خالفه فليس عني»
١١- الميزان والصراط	يؤولونهما بالعدل.
١٢ - التقية	تكون عند الحاجة، ولذا فهم يكتمون أحكامهم القاسية تجاه الآخرين المخالفين.

خلاصة عن فرق الخوارج:

الفرقة	القائد لها	نبذة موجزة عنها
(١) المحكمة الأوائل (الحرورية)	عبدالله بن وهب الراسبي الأمير العام	١- انحازوا إلىٰ حروراء، بعد أن انفصلوا عن جيش علي، ورفعوا شعار «لا حكم إلا لله»، ورفضوا التحكيم. ٢- تولوا أبابكر وعمر وعثمان في سنيِّه الأولىٰ وعليًا قبل التحكيم. ٣- حدثت بينهم وبين علي موقعة النهروان.
(٢) الأزارقة	نافع بن الأزرق الحنفي	١- تكفير علي بن أبي طالب. ٢- صاحب الكبيرة كافر، خارج من الإسلام، مخلد في نار جهنم. ٣- المخالف مشرك هو وأطفاله، ودارهم دار حرب. ٤- تكفير القعدة، ممن كان علىٰ رأيهم ولم يلحق بمعسكرهم.
(٣) الصفرية	زياد بن الأصفر	- الذنوب التي حدها مقرر كالزنا، فلا يتجاوز ما سماه الله به من أنه زاني، بخلاف الذنوب التي ليس فيها حد مقرر فهي كفر.
(٤) النجدات	نجدة بن عامر الحنفي	- إنكار تكفير القعدة. - إنكار استباحة قتل الأطفال. - جواز التقية.
(٥) الأباضية	عبدالله بن أباض	١- الفرقة الوحيدة من الخوارج الباقية إلىٰ اليوم، ويتواجدون في عمان، ولهم السلطة. ٢- يعتقدون أن مخالفيهم كفار نعمة، فيبيحون الزواج منهم، والتعامل معهم، ولكنهم يرونهم خالدين مخلدين في النار.

المطلب الخامس: الجماعات المعاصرة الغالية في التكفير

أولا: جماعة التكفير والهجرة (جماعة شكري مصطفى):

قائد الجماعة، وأبرز رجالها:

القائد: شكري مصطفىٰ الأسيوطي، ولد عام ١٩٤٢م، واعتقل عام ١٩٦٥م، كان حينذاك طالبا بكلية الزراعة، وسجن لمدة ست سنوات بتهمة المشاركة في تنظيم عام ١٩٦٥ بقيادة سيد قطب، وقد كّون جماعته في السجن، وأخذ منهم البيعة.

أبرز الرجال:

- ماهر بكري، ابن شقيقة شكري، وكان يلقب بفيلسوف الجماعة.
- عبد الرحمن أبو الخير، صحفي بايع ثم رجع وكتب كتابًا بعنوان «ذكرياتي مع جماعة المسلمين».

اسم الجماعة، ومرادهم منه، واللقب الذي أطلق عليهم:

اسم الجماعة: جماعة المسلمين، ومرادهم منه: أنهم الجماعة الوحيدة المسلمة التي يجب علىٰ جميع المسلمين في كل مكان الهجرة إليهم ومبايعتهم، ويعتبرون من خرج عنهم فقد خرج عن جماعة المسلمين لذا فهو - عندهم - مرتد.

اللقب الإعلامي الذي أطلق عليهم: جماعة التكفير والهجرة.

التكفير: لتكفيرهم جميع المجتمعات.

والهجرة: لقولهم بوجوب الهجرة من تلك المجتمعات الكافرة إلىٰ مجتمعهم المسلم الذي عزموا علىٰ إنشائه لكنهم فشلوا في ذلك.

من أسباب نشأتها:

١- تحاكم كثير من المجتمعات للأنظمة والقوانين الوضعية.

٢- الاضطهاد السياسي الذي تعرضوا له من أجل مطالبتهم بتحكيم الشريعة.

٣- الجهل بالعلوم الشرعية، والخلل في فهم النصوص وتطبيقها علىٰ الواقع.

٤- ابتعادهم عن العلماء، واتخاذهم رؤساء جهالًا.

٥- الانحراف الكبير في وسائل الإعلام.

٦- سلبية الحكام تجاه قضايا الإسلام الكبرىٰ.

٧- العجلة والتسرع في إصدار الأحكام بلا ضوابط شرعية.

من آراء الجماعة:

١- إن دين الله قد ضيع في الأرض، وأن الأمر قد وسد إلىٰ غير أهله، ولا توجد دولة في الأرض يصح أن تسمىٰ دولة مسلمة.

٢- كيفية إقامة دين الله تكون بتكوين الجماعة المسلمة التي تسعىٰ لإعلاء كلمة الله، وهذه هي الجماعة التي أعلنوا عنها.

٣- لزوم جماعتهم والمبايعة لإمامهم ليس أمرًا اختياريًا بل هو فرض

لازم لا يكون المرء مسلمًا إذا علم بوجودها ثم لم يلزمها.

٤- هم جماعة الحق بثلاثة أدلة:

- لا يأخذون إلاّ من الكتاب والسنة.
- الإسلام الذي عندهم هو الإسلام الذي كان عند رسول الله ﷺ.
- يسعون لإعلاء كلمة الله، وذلك بالهجرة بعد النصح والاعذار.

١- الإسلام: الخضوع والاستسلام والطاعة لرب العالمين بأداء كل ما افترضه الله واجتناب كل ما حرمه ثم التوبة من المعصية. وكل فريضة علىٰ حدة شرط في الإسلام وإن تركها بمعنىٰ: الإصرار علىٰ الترك كفر بالله. ومن أمثلة الفرائض: الحكم بما أنزل الله - الصلاة - لزوم جماعة المسلمين، أي جماعتهم.

٢- لا يعد كافرًا من ترك فريضة أو فعل معصية ثم تاب منها، ولا يكون تكرار الذنب إصرارًا ما دامت هناك توبة.

٣- الصورة العملية لتحقيق الإسلام هي لزوم جماعة المسلمين - أي: جماعتهم - والبيعة لإمامها.

٤- المسلم هو من قامت البينة علىٰ إسلامه، وهي لزوم جماعة المسلمين مبايعًا لإمامها، وأدىٰ الفرائض. والكافر من قامت البينة علىٰ كفره برفضه لزوم الجماعة أو أداء أي فرض من الفرائض بعد العلم والإصرار علىٰ ذلك، أما من لم تقم البينة علىٰ إسلامه أو كفره فقد وجب التوقف في الحكم عليه بالإسلام أو الكفر.

٥- لأن المجتمعات عادت إلىٰ الكفر لذلك:

- لا يجوز الصلاة في المساجد، لأنها لم تتحقق فيها شروط مساجد الله.
- تحريم التعليم في المدارس الحكومية وكذلك العمل في المؤسسات الحكومية.
- تحريم الزواج من غير المسلمين، أي: ممن لم يدخل إلىٰ جماعتهم، ويفرق بين الرجل وزوجته بناء علىٰ الدخول في الجماعة من عدمه.

٦- أخيرًا، ترىٰ أنها هديت إلىٰ الحق دون غيرها من الجماعات والفرق الأخرىٰ لأنها:

- تحتج بالكتاب والسنة دون ما عداهما من إجماع أو قياس، لا ترىٰ الاحتكام إلىٰ أقوال أهل العلم في تفسير النصوص.
- معنىٰ الإسلام عندها هو معناه عند رسول الله وهو الخضوع والاستسلام والطاعة لله بأداء كل الفرائض، واجتناب كل المحارم، ثم التوبة من المعصية.
- ولأن سبيلها لإقامة دين الله هو الهجرة وهو السبيل الذي سلكه الأنبياء والمرسلون.

من أبرز آراء جماعة التكفير والهجرة في التكفير مع إيضاح قول أهل السنة والجماعة:

	قول جماعة التكفير	قول أهل السنة والجماعة
مرتكب الكبيرة	يقولون بكفر مرتكب الكبيرة بشرط الإصرار، يعني: عدم إعلان التوبة، فهو عاصي فكلمة عاصي هي اسم من أسماء الكافر وتساوي كلمة كافر تمامًا عندهم، ولا يمكن أن يجتمع الإيمان والكفر في آن واحد في شخص واحد.	لا يكفر مرتكب الكبيرة إلا إذا استحلها وهو مؤمن ناقص الإيمان أو مسلم ويوم القيامة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، للكنه لا يخلد في النار إذا مات موحدًا.
الحاكم بغير ما أنزل الله	يقولون بكفره مطلقا من غير تفصيل.	يفرقون بين الفعل والفاعل، فالفعل يكون كفرًا أكبر إذا كان تشريعًا أو استحلالًا، وأما إن كان حكمًا بغير ما أنزل الله هوىً أو ظلمًا فهو أصغر، وأما الفاعل فلا يحكمون عليه إلا بعد إقامة الحجة واستيفاء الشروط والتأكد من انتفاء الموانع.
المحكوم بغير ما أنزل الله	يقولون بكفره مطلقا بدون تفصيل.	المحكوم المطيع: ١) إذا اعتقد حل ذلك: فهو كافر. ٢) إذا لم يعتقد حل ذلك: فهو مرتكب كبيرة. المحكوم الكاره: ١) إذا لم ينكر مع القدرة: آثم لعدم الإنكار. ٢) إذا أنكر أو لم ينكر لعدم القدرة: لا شيء عليه.

	قول جماعة التكفير	قول أهل السنة والجماعة
الخارج عن الجماعة	يعتبرون الخروج عن جماعتهم ردة عن الدين.	١) الخارج عن منهج الإسلام: ردة. ٢) الخارج عن كيان الإسلام: أ) بعدم مبايعة الإمام المتفق عليه: كبيرة. ب) بالسلاح: بغي.
المقيم غير المهاجر	يكفرون المستضعف في الأرض التارك للهجرة معهم وإليهم.	١- إذا رضي وتبع وأظهر موالاته الكفار وأعان علىٰ المسلمين: كفر. ٢- المستضعف: لا شيء عليه. ٣- القادر علىٰ الهجرة: أ- إذا كان مظهرًا لدينه: يستحب له الهجرة. ب- إذا لم يكن قادرًا علىٰ إظهاره: يأثم.
من لم يكفر الكافر	يقولون بكفر كل من لم يكفر من كفروه هم.	يقولون بتكفير من لم يكفر الكافر الأصلي من اليهود والنصارىٰ والمجوس، بخلاف الكافر المختلف في تكفيره.
تكفير المجتمعات الإسلامية	يقولون بجاهلية المجتمعات الإسلامية وكفرها.	وصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية يجوز مقيدًا بحال أو عمل من أعمال الجاهلية ولا يجوز إطلاقه علىٰ الأمة أو الزمن أو علىٰ مجتمع.

نهايتها:

كانت نهايتهم الإعدام عام ١٣٩٨هـ وذلك بعد اختطافهم وزير الأوقاف المصري الشيخ الذهبي والذي مات مقتولًا، ثم أعدم قادتهم وحكم علىٰ كثير منهم بالسجن المؤبد.

أبرز الدروس المستفادة:

- لابد من احتضان الشباب من قبل أهل العلم وتوعيتهم وتبصيرهم بمذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان والكفر والموقف من الولاة ونحو ذلك.
- لابد من الحكم بما أنزل الله في بلاد الإسلام وتقليل الشر والفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- أن الفكر المنحرف تكون مواجهته بإيضاح الحق وبيان الشبهة وكشفها لا بالاضطهاد والتعذيب الذي من شأنه أن يعمق الانحراف ويزيده[١].

ثانيًا: جماعة التوقف والتبين:

التعريف بالجماعة:

هذه الجماعة منشقة عن جماعة شكري مصطفىٰ، بسبب إعلانه المفاصلة الكاملة للمجتمع، وجهره بتكفيره، وأمَّا هم فيعتقدون بالمفاصلة الشعورية في التعامل مع المخالفين بمعنىٰ: اعتقاده كفره مع عدم مصارحته بذلك، لأنهم يعيشون في عصر الاستضعاف.

---

(١) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، د. عبد الرحمن اللويحق، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، د. أحمد جلي.

مبادئ الجماعة:

تقوم مبادئ وأفكار هذه الجماعة على قاعدتين، تطلق عليهما الحركة: «الحركة بالمفهوم» وهما:

١- المفاصلة الشعورية: وتعني: مجاراة المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم مع الاعتقاد بكفرهم، وعدم مصارحتهم بذلك.

٢- العهد المكي: بسبب اعتقادهم ردة المجتمع، وقعوا في حرج من ناحية الزواج منه، وأكل ذبائحه، وغير ذلك مما يتعلق بالتعامل مع المرتد، فقالوا بأنهم يعيشون مرحلة الاستضعاف، وبالتالي فتنطبق عليهم الأحكام التي كانت مطبقة على المسلمين في مرحلة العهد المكي، فأباحوا لأنفسهم الزواج من المشركات والأكل من ذبائح المجتمع المشرك، ولا تجب عليهم الجمعة ولا العيدين، ولا يجوز لهم الجهاد.

وترى هذه الجماعة أن تبقى على هذا الحال حتى عهد التمكين، وهو وصول الجماعة إلى السلطة، وعندئذ تأخذ بأحكام الإسلام في العهد المدني[١].

ثالثًا: جماعة الخلافة في الباكستان[٢]:

أفكار جماعة الخلافة:

لقد أصاب الإحباط بعض المجاهدين العرب في أفغانستان بعد فتح كابل حيث لم يروا إقامة الخلافة الإسلامية التي كانوا يحلمون بها، وإنما

(١) انظر: الحكم وقضية تكفير المسلم: (ل، م، ٦، ٣١ - ٣٥، ٢١٤، ٢١٩). وانظر: موقف الشرع من قضية التوقف والتبين في كتاب الغلو لللويحق (٣١٥ - ٣١٩).

(٢) انظر: التقرير الذي كتبته عنهم مجلة الإصلاح في العدد ٢٩٦ ص (٣٠ - ٣٢).

رأوا ذلك النزاع العنيف بين قادة المجاهدين الأفغان، فرأىٰ بعضهم أنه لا يمكن إقامة الخلافة الإسلامية إلاَّ بالسير كما سار الرسول ﷺ، فقد هاجر، واستنصر القبائل، فتجمع حوله الأنصار، ثم انطلق لإقامة الخلافة.

لذلك فقد عرض أبو عثمان الفلسطيني هذه الفكرة علىٰ بعض المجاهدين الأفغان، فقبلتها فئة يسيرة اقتنعت بصحتها، ولما كان أبو عثمان له علاقات طيبة ببعض القبائل الباكستانية، فهو متزوج بأفغانية وأخرىٰ باكستانية، ويجيد الأوردية، فقد توجه بمن معه إلىٰ منطقة «سوات» الباكستانية وهي منطقة خاضعة لحكم القبائل الباكستانية لا الحكومة، وهناك اختاروا أمير المؤمنين، وقد وقع اختيارهم علىٰ أبي همَّام محمد بن علىٰ الرفاعي الأردني الجنسية، وبعد البيعة أعلنوا أسمه ولكن باسم آخر مختلف تمامًا وهو (أبو عبد الله محمد بن أحمد خليفة القرشي الهاشمي).

ثم اعتقدت جماعة الخلافة أنها هي وحدها «الجماعة المسلمة» والتي يجب علىٰ جميع المسلمين في كل مكان أن يهاجروا إليها، وأن يبايعوا خليفتها، وسينطلقون من «سوات» لفتح العالم شرقه وغربه، وسيحررون فلسطين من اليهود الغاصبين، وكان إعلان قيامها في بداية صيف عام ١٩٩٢هـ.

زعماء جماعة الخلافة:

١) أمير المؤمنين: أبو عبد الله الهاشمي القرشي. وأسمه قبل البيعة محمد بن علي عيسىٰ الرفاعي، وكنيته أبو (همَّام)، وهو خريج كلية العلاج الطبيعي في كراتشي بباكستان عام ١٩٨٤م.

٢) أبو عثمان الفلسطيني، يحمل الجنسية الأمريكية، وأخرىٰ باكستانية، وهو متزوج من ثلاث نساء، إحداهن باكستانية، وأخرىٰ أفغانية، وهو يجيد

اللغة الإنجليزية والأوردية. وهو صاحب فكرة (الخلافة).

وقد استطاع أن يجمع حوله أكثر من خمسين رجلًا بأسرهم، وأغلبهم من مصر والأردن وتونس والمغرب.

بيان جماعة الخلافة:

١- تضمن البيان الأول ستة عشر بندًا أبرزها:

٢- الإعلان عن تعيين الخليفة، وطلب بيعة جميع المسلمين له، ووجوب ائتمارهم بأمره.

٣- يأمر أمير المؤمنين المسلمين كافة بالتبرؤ من جميع الحكومات والأنظمة والهيئات العربية والعجمية حتىٰ يؤمنوا، ويطالبهم بالتوقف عن العمل معها، واجتناب دوائرها ومؤسساتها، ومن لا يفعل ذلك من المسلمين فدمه هدر.

٤- جميع الحركات والمؤسسات والمنظمات الدينية والمذهبية والخيرية وغيرها لاغية، وعليها أن تحل نفسها، وتقر بالسمع والطاعة للخليفة. ستكون راية الخلافة سوداء، فكل من تصدىٰ لها وحال دون جهادها، فسيقتل كائنًا من كان.

٥- قرر الخليفة أن يرسل أول سرايا جيش الفرقان لفتح بيت المقدس من بلاد خراسان، وأن تتقدم السرايا: كتيبة الموت، وسيشرف علىٰ إرسالها (والي خراسان) فعلىٰ كافة المسلمين الالتحاق بالخليفة، وإذا لم يستطيعوا فليلحقوا بولاته أينما كانوا.

٦- أمير المؤمنين هو الطرف الوحيد الذي ينبغي أن يتفاوض معه بشأن

المسلمين جميعًا، والقضية الفلسطينية خصوصًا، ومن هذا المنطلق يعلن الخليفة لليهود فيقول: «إما أن يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ويخلوا سبيلنا، وأكون الحاكم، وهم تحت ذمتي، وإمَّا أن يتخيروا الأخرىٰ، ولن يسمعوها، بل سيروها بإذن الله، وجيش الفرقان آتٍ، فلا نامت أعين الجبناء».

وقد أرفق بالبيان ورقتان إحداهما: تتضمن تأصيلًا شرعيًا لقضية الخلافة وأهميتها ووجوبها. والأخرىٰ في وجوب الاعتصام بحبل الله، ووجوب عقد البيعة لإمام واحد.

بعض المظاهر السلوكية والفكرية للجماعة:

١- تعتقد وجوب تمزيق جوازات السفر لأنها دليل الخضوع للأنظمة الطاغوتية الظالمة المشركة الكافرة، ولأنها تتنافىٰ مع قوانين دولة الخلافة، وتمزيق الجواز دليل علىٰ صدق البيعة، وقطع الفرد لصلته بتلك الأنظمة.

٢- يستحلون دماء وأموال وأعراض من ليس منهم، وقد استحلوا فعليًا أموال غيرهم مرارًا.

٣- ينكرون مظاهر العصر الحديث، ويأمرون باعتزال المجتمع وأدواته، فكانوا يركبون الخيل وسط المدينة المزدحمة بالسيارات والعربات، وقيل: أنهم كانوا لا يتداوون بالأدوية الموجودة في الصيدليات، ولا يذهبون لطبيب.

نهايتهم:

رغم أنهم كانوا يتوقعون تجمع جيش يصل عدده إلىٰ ١٢٠ ألف مسلح سيذهبون بهم إلىٰ الحج، إلاَّ أنهم وقع بينهم وبين القبائل الباكستانية

خلاف، لا يدرىٰ بالتحديد هل هو مالي، فقد قيل إن الجماعة اعتدت علىٰ أموالهم، وقيل بل السبب ديني، فإن الجماعة حكمت بكفرهم إذ لم يبايعوا، عليهم تلك القبائل وقتلت أمير المؤمنين وأبا عثمان وعشرين آخرين، وهرب البقية، فتفرقت الجماعة شذر مذر، وكان ذلك في الشهر السادس من عام ١٩٩٤م.

رابعًا: تنظيم القاعدة (الفئة الضالة):

١- الاسم وسبب التسمية:

- الاسم: تنظيم القاعدة، نسبة لقاعدة البيانات عن المجاهدين العرب، قدومًا وذهابًا والتحاقًا بالجبهات.

- والاسم الإعلامي: الفئة الضالة.

فالفئة الضالة: هم أولئك المجموعة من حدثاء الأسنان الذين ضلوا طريق الصواب، فقاموا بالقتل والتفجير في هذه البلاد الطاهرة (المملكة العربية السعودية)، زاعمين بذلك أنهم يطهرونها من المحتلين: المشركين والمرتدين.

وقد سماهم الإعلام بهذا الاسم، دلالة علىٰ حسن الظن بأن هذه الفئة تريد الخير، إلا أنها ضلت طريقه، بعد أن غرر بهم الأشرار، فساروا بها إلىٰ طريق الشر والفساد.

٢- أهداف تنظيم القاعدة:

أ- في البداية: كان الهدف تحرير أفغانستان من الشيوعيين، وطرد الاتحاد السوفيتي منها.

ب- وفي المرحلة الثانية، وهي ما بعد السودان، وعودتهم مرة أخرىٰ

لأفغانستان تحت حكم طالبان: كان هدفهم المعلن تحرير العالم الإسلامي من سيطرة العالم الغربي.

٣- المؤسس وأبرز الشخصيات:

أ- المؤسس هو د. عبد الله عزام.

ب- أسامة بن لادن: هو نائب المؤسس، ثم صار رئيس التنظيم بعد وفاة قائدها.

ج- أيمن الظواهري، الطبيب المصري.

٤- تصنيفهم العلمي:

الغلاة في التكفير، وفيهم شبه من الخوارج، فقد شابهوهم في صفات عديدة، أبرزها:

١- التكفير بغير المكفرات الشرعية، فهم وإن تبرأوا من التكفير بالكبائر، إلا أنهم يكفرون بما ليس من المكفرات الشرعية سواء في الولاء والبراء، أو الحكم بغير ما أنزل الله، أو أمور الشرك.

٢- استحلال الدماء المعصومة بأدنىٰ الشبه.

٣- الجهل بالدين الإسلامي.

فهم بسبب عدم تكفيرهم بالكبائر، وبسبب عدم تكفيرهم للشعوب الإسلامية كانوا غلاة في التكفير، قريبي الشبه بالخوارج، ويخشىٰ عليهم من أن يتطور أمرهم ليكونوا خوارج بامتياز، للأسف الشديد.

إنهم: الغلاة في التكفير.

سميناهم بذلك لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن انحرافهم الرئيس ليس في الأسماء والصفات ولا في القدر ولا في أمور عقلية أو كلامية، وإنما في مسألة «التكفير».

السبب الثاني: لأنهم في مسألة التكفير، لا يكفرون بكبائر الذنوب، وإنما يكفرون بمكفرات شرعية، إلا إنهم غلو في هذه المكفرات من وجوه عدة منها:

١- الخطأ في توصيف المكفر الشرعي علىٰ وجه الدقة.

٢- الخطأ في إنزال الحكم علىٰ المعينين.

فسموا من أجل ذلك بجماعة الغلو في التكفير.

أبرز أفكار تنظيم القاعدة:

١) الغلو في التكفير، ويظهر ذلك من وجوه:

١- عدم التفريق بين التكفير المطلق والتكفير المعين.

٢- الظن بأن التكفير حق مشاع لكل شخص.

٣- عدم التفريق بين التكفير في بلاد الإسلام وغير بلاد الإسلام.

٤- عدم القدرة علىٰ التفريق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر.

الفعل أو القول المكفر	الشخص	المكفر
لا بد من التأكد من كونه هو بعينه القول أو الفعل الذي ذكر الفقهاء أنه هو المكفر	لا بد من استيفاء شروط التكفير فيه والتأكد من خلوه من موانعه	لا بد أن يكون عالماً مؤهلا لذلك.

٢) الانحراف في معنىٰ «لا إله إلا الله»:

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالعروة الوثقىٰ هي لا إله إلا الله، ومعناها الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، ومشكلتهم في الحكم علىٰ الفئات الحاكمة جميعها بأنهم طواغيت، فمن كفرهم فقد حقق لا إله إلا الله، ومن لم يكفرهم فعنده إلا الله، وليس عنده لا إله، وبالتالي فلا ينتفع بنطق الشهادة لا إله إلا الله.

٣) الغلو في مفهوم الولاء والبراء:

مما لا شك فيه، أن محبة المسلمين ونصرتهم، وبغض الكفار وعداوتهم، من مقتضيات لا إله إلا الله، ولكن البراءة من الكفار لها صور متنوعة بتنوع الكافر، فالكافر إما أن يكون محاربًا أو غير محارب، فالكافر غير المحارب لم ينهانا الله عن التعامل الحسن وتبادل المصالح معه، وعقد العهود والمواثيق، والتعاون المشترك معه في قضايا فيها درء المفسدة عن بلاد الإسلام، وجلب المصالح لها، ولكن هذه الفئة غلت حتىٰ اعتبرت أي تعاون مشترك مع بلاد كافرة معينة اعتبرتها معادية للمسلمين، يعتبر من موالاة الكفار.

فهم يخوضون في قضايا كبار نازلة بالمسلمين، يعجز أحيانًا عنها كبار العلماء، فيتجرؤون في الحكم فيها بالكفر علىٰ الفئات الحاكمة بحجة موالاة الكفار، ولا يعني ذلك الجزم بعدم وجود أخطاء، ولكن علىٰ أهل العلم أن يبينوها بالطرق الشرعية المناسبة.

٤) الانحراف في مفهوم الجهاد في سبيل الله تعالىٰ:

الجهاد في سبيل الله مقصده إدخال الناس في دين الله أفواجًا، من أجل إحياء الناس الحياة الحقيقية، ومن أجل إسعادهم في الدنيا قبل الآخرة.

وهؤلاء ظنوا أن الجهاد في سبيل الله المقصود به:

أ- قتل الكافر في أي مكان وزمان، طالما أنه ينتمي إلىٰ بلاد ظهر من ولاتها العداء للإسلام.

ب- إعلان الجهاد دون إذن ولاة الأمر.

ج- النفير للجهاد في كل مكان تجمع فيه نفر ونادوا بالجهاد، دون التأكد من عقائدهم، واكتمال عدتهم، والاستئذان من ولاة الأمر.

التحذير من فكر الغلاة في التكفير:

١- فكر الغلاة في التكفير خطير، تكمن خطورته في عدة نواحي:

أ- اعتماده علىٰ العاطفة الإسلامية، دون الشرع والعقل.

ب- مساعدة واقع الأمة السيء في انتشاره.

ج- عدم محاربته من الناحية الفكرية بشكل صريح وواضح.

٢- فكر الغلاة في التكفير شر عظيم، لما يتضمن من:

أ- استحلال الدماء المعصومة.

ب- استحلال الأموال المعصومة.

ج- استحلال الأعراض المعصومة.

د- إذهاب الأمن في بلاد المسلمين.

هـ- إضعاف الجبهة الداخلية عند المسلمين.

٣- فكر الغلاة في التكفير، لو استمر فسيتحول إلىٰ كفر جماعة التكفير والهجرة لما يتضمنه من:

أ- تكفير العلماء الرسميين.

ب- تكفير العاملين مع الحكام من وزراء.

ج- تكفير الجند الحامين لهم.

د- تكفير الموالين لهذه الفئة الحاكمة، لعدم كفرهم بالطاغوت عندهم.

خامسًا: تنظيم داعش:

١- الاسم وسبب التسمية:

الدولة الإسلامية في العراق والشام، فأخذ من الدولة حرف الدال، والإسلامية حرف الألف، والعراق حرف العين، والشام حرف الشين، فصار يطلق عليهم داعش اختصارًا.

٢- نشأة تنظيم داعش:

هو التطور المتوقع لتنظيم القاعدة، فبدايته كانت تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، بقيادة أبي مصعب الزرقاوي، وبعد وفاته تأسس من تنظيم القاعدة: تنظيم دولة العراق الإسلامية، ثم تم ضم جبهة النصرة لأهل سوريا، ليصبح التنظيم باسم، الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

٣- أبرز الشخصيات:

أ- أبو مصعب الزرقاوي (أحمد فضيل نزال الخلايلة)، مؤسس جماعة التوحيد والجهاد، ثم بايع تنظيم القاعدة، فتحولت الجماعة إلىٰ

اسم تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

ب- أبو عمر البغدادي (حامد الزاوي)، أمير ما يسمىٰ بدولة العراق الإسلامية، فقد تحول تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين إلىٰ مجلس شورىٰ المجاهدين، ثم تحول المجلس إلىٰ الدولة، ونائبه هو «أبو حمزة المهاجر»، «عبد المنعم البدوي» وهو مصري الجنسية.

جـ- أبو بكر البغدادي (إبراهيم بن عواد السامرائي)، أمير الدولة بعد أبي عمر البغدادي، وبعد ضم جبهة النصرة لأهل الشام إليها، رغم عدم موافقتهم بذلك، صار اسم الدولة: الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

د- العقيد «حجي بكر»، سمير عَبْد الخليفاوي، وهو القائد العسكري لتنظيم الدولة، وقد كان عقيد ركن طيار في حزب البعث العراقي، ومعظم قيادات داعش العسكرية بعثية.

٤- أبرز الأهداف:

١- إقامة خلافة إسلامية عالمية، فبعد أن يبنوا الدولة الإسلامية فيما يرون يطلبوا من جميع المسلمين مبايعتهم، وهكذا يتوسعون ويتمددون.

٢- القضاء علىٰ مخالفيهم أولًا في العالم العربي ثم الإسلامي، وهذا ما جعلهم يقعون في تكفير مخالفيهم، واستحلال دمائهم وأموالهم، فكانوا أبرز من يمثل الخوارج في العصر الحديث.

٥- أبرز العقائد والأفكار:

١- استخدام عنوان الخلافة الإسلامية، والحكم بما أنزل الله الغطاء للدولة، والجاذب للأتباع من كل مكان، ثم بعد ذلك تكفير الحكام الذين

يحكمون بالقوانين الوضعية، وكل من يقبل بالديموقراطية في بلاده سواء آليات أو فلسفة، وتكفير الراضين بذلك من الشعوب، وتكفير من لم يكفر هؤلاء جميعًا، والحكم علىٰ تلك البلدان بأنها بلاد كفر وردة، ويجب الهجرة منها لمناطق الدولة.

٢- رفض التفريق بين الطائفة والأعيان في إطلاق الكفر، فإذا كانت الطائفة مرتدة، فكل فرد منها بعينه مرتد.

٣- تكفير جميع العاملين في الجيوش العربية والإسلامية.

٤- من خالفهم فهو كافر مرتد، حلال الدم والمال، ويرون تقديم قتالهم علىٰ قتال الكفار الأصليين.

٥- من لحق بهم ممن سبق الحكم عليه بالردة، فإنه يستتاب علىٰ طريقتهم المشابهة لطريقة الأزارقة، وذلك بأن يقر علىٰ نفسه بالردة والكفر سابقًا، وأنه حاليًا يكفر كل من تكفره الدولة.

خاتمة مهمة:

١- أعداء الإسلام يستغلون الجماعات الغالية في التكفير لتحقيق مخططاتهم، ومن أبرزها:

أ- قتل المسلمين بالمسلمين.

ب- تشويه صورة الإسلام.

ج- إيجاد مبرر لهم للتدخل في البلدان الإسلامية.

د- تفريق وحدة المجتمع الإسلامي.

٢- أعداء الإسلام يستغلون راية الحكم بغير ما أنزل الله، لتجميع

الشباب من أجل تحقيق التوحيد، ثم ينقلونهم لتكفير مخالفيهم، واستحلال دمائهم وأموالهم، كما يفعل المجوس ذلك مع عامة المسلمين يجذبونهم تحت راية محبة آل البيت للتشيع، ثم ينقلونهم بعد ذلك لقتال أهل السنة، وكذلك يفعلون مع الجماعات الغالية في التكفير.

المبحث الثاني
مقالات المرجئة

تمهيد: حديث الفتنة التي تموج كموج البحر، وظهور مصطلح المرجئة

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنّا عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟

- فقال قوم: نحن سمعناه.

- فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟

- قالوا: أجل.

- قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر[1]؟

- قال حذيفة: فأسكت القوم. فقلت: أنا.

- قال: أنت، لله أبوك[2].

- قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا[3]، فأي قلب أُشربها نُكت فيه نُكتة[4] سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء، حتىٰ تصير علىٰ قلبين علىٰ أبيض مثل الصفا[5]، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر: أسود

---

(١) لكثرة عظمها وكثرة شيوعها.

(٢) أي: حيث أتىٰ بمثلك.

(٣) أي: تلصق بعض القلوب. أي: جانبها.

(٤) أي: نقطة، وكل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكتة.

(٥) الصفا: الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

مربادًا[1]، كالكوز مجخيًا[2] لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه». قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر. قال عمر: أكسْرًا، لا أبا لك!، فلو أنه فتح لعله كان أن يغلق. قلت: لا. بل يكسر. وحدثته: أن ذلك الباب: رجل يقتل أو يموت. حديثًا ليس بالأغاليط.

وفي الرواية الأخرىٰ: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة كما قال؟ قال حذيفة: فقلت: أنا. قال: إنك لجريء، كيف قال؟ قال: قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». فقال عمر: ليس هذا أريد: إنما أريد التي تموج كموج البحر. فقلت: مالك ولها؟ يا أمير المؤمنين؛ إنّ بينك وبينها بابًا مغلقًا. فقال: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: قلت: لا. بل يكسر. قال: ذلك أحرىٰ أن لا يغلق أبدًا. قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، لقد حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة: من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله، فقال: عمر.

أقسام الناس بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وظهور المرجئة في الحكم.

---

(١) شبه البياض في السواد.

(٢) مائلاً.

أقسام الناس بعد فتنة مقتل عثمان ﷺ

القسم الأول: هم من يرى أن أول واجب على الأمة: هو الثأر لخليفتها الشهيد، والقصاص من الخونة الآثمين.أبرز من في هذا القسم هم: معاوية وعائشة وطلحة والزبير. رضي الله عنهم.

القسم الرابع: هم الفئة المحايدة وهم على أنواع:

- النوع الأول الممسكة:
  - إمساك سنة: الإمساك عن الفتنة، مع تولي الجميع استنادا للنصوص الشرعية.ويمثل هؤلاء: بعض كبار الصحابة وأجلائهم (سعد، ابن عمر، أبو هريرة، محمد بن مسلمة، أسامة بن زيد، زيد بن ثابت).
  - إمساك شك (حيرة):الإمساك عن الفتنة، مع تولي الجميع، والحيرة في أيهما الصواب، وإيكال أمرهم إلى الله تعالى يحكم بينهم يوم القيامة المرابطون في ثغور الجهاد وأطراف البلاد.
- النوع الثاني: الخوارج والمعتزلة، ومعتقداتهم:البراءة من الطرفين، واعتقاد كفرهما أو فسقهما.
- النوع الثالث: المرجئة في الحكم، ومعتقدهم: عدم التولي أو التبرئ من الطرفين، وعدم الحكم عليهم بالكفر أو الإيمان، وإرجاء أمر الحكم عليهم بذلك إلى الله عز وجل، وهذا الإرجاء كان موجودا في صفوف بعض الخوارج، ووجد أيضا في خارج صفوفهم ويمثله: الحسن بن محمد بن الحنفية، وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

القسم الثالث: هم طائفة السبئية الفئة الآثمة المتآمرة، والتي كونت فيما بعد الشيعة، والتي استمرت تؤجج الفتنة.

القسم الثاني: هم من يرى أن أول واجب على الأمة: هو اجتماع الكلمة، واستتباب الأمور، والتجلد، حتى تتكشف ذيول المؤامرة، ثم يكون استئصالها، وقطع دابر دواعيها.أبرز من في هذا القسم: علي ﷺ ومن معه.

المطلب الأول: تعريف المرجئة لغة واصطلاحًا

المرجئة لغة:

١) من الإرجاء وهو التأخير والإمهال. قال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف: ١١١]. أي: أخره وأمهله. وقال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة: ١٠٦].

٢) ومن الرجاء: ضد اليأس، وهو الأمل. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

اصطلاحًا:

قال ابن عيينة: «الإرجاء علىٰ وجهين:

قوم أرجأوا أمر علي وعثمان فقد مضىٰ أولئك. أما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، فلا تجالسوهم ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصلوا عليهم».

واستقر المعنىٰ الاصطلاحي عند السلف علىٰ المعنىٰ الثاني، وهو إرجاء الفقهاء، ثم توسع فيه فيما بعد وأطلق علىٰ إرجاء الغلاة من الجهمية والكرامية والأشعرية والماتريدية، فكل من أرجأ العمل عن مسمىٰ الإيمان أي: أخرجه وأخره عنه فهو مرجئ، سواء في ذلك أعمال القلوب أو أعمال الجوارح.

المطلب الثاني: أنواع الإرجاء والتعريف بكل نوع، مع الحكم عليه

نوع الإرجاء	تعريفه	المؤسس والنشأة وأبرز الرجال	أسباب النشأة	الحكم
النوع الأول: أصل الإرجاء وهو الإرجاء المتعلق بالصحابة أي: المتعلق بعثمان وعلي رضي الله عنهما والمشتركين في الجمل وصفين.	١- إرجاء الحيرة: والشك في أيهم المصيب من المختلفين مع تولي الجميع.	١- بعض سكان الأطراف والمرابطين على ثغور الجهاد. ٢- بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وما تلاه من أحداث. أصيبوا بالحيرة أيهما على الحق عثمان رضي الله عنه أم علي رضي الله عنه، فقالوا كلهم ثقة، وكلهم عندنا مصدق، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما.. ونرجىء أمرهما إلى الله حتى يكون هو الذي يحكم بينهما في أيهما المصيب.	ظروف الفتنة وعدم استبانة وجه الحق لهم في أيهما المصيب.	قول اجتهادي
	٢- إرجاء الحكم بالكفر والإيمان إلى الله تعالى.	أ- مرجئة الخوارج ١- محارب بن دثار، قاضي الكوفة (ت١١٦هـ). يقول ابن سعد: «كان من المرجئة الأولى، الذين كانوا يرجون عليًا وعثمان، ولا يشهدون عليهما بإيمان ولا كفر». ٢- خالد بن سلمة الفأفاء. ٣- ثابت قطنة.	الجدال بين غلاة الخوارج ومتساهليهم (واقفتهم) بشأن ما وقع بين الصحابة أدى إلى ظهور مرجئة الخوارج الذين يقولون بإرجاء إيمان عثمان وعلي رضي الله عنهما إلى الله.	ابتداع وضلال
		ب - خارج صفوف الخوارج. ويمثله: الحسن بن محمد ابن الحنفية (٩٩هـ). وعون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود	مواقف نفسية	ابتداع وضلال ولكنهما تابا منه ورجعا.

نوع الإرجاء		تعريفه	المؤسس والنشأة وأبرز الرجال	أسباب النشأة	الحكم
النوع الثاني: الإرجاء المتعلق بالإيمان « تأخير العمل عن مسمى الإيمان وهم درجات	١- غلاة الغلاة	الجهمية: الإيمان هو مجرد المعرفة بالقلب.	الجهم بن صفوان	الاعتماد علىٰ المعنىٰ اللغوي دون الشرعي، مع اعتبار أن مجرد المعرفة القلبية يسمىٰ تصديقًا وبالتالي فهو الإيمان المطلوب شرعًا.	كفر
	٢- الكرَّامية	القول باللسان فقط	محمد بن كرّام	ردة فعل لقول الخوارج	ضلال وتلاشت
	٣- الأشاعرة والماتريدية	التصديق بالقلب فقط ونفت أعمال القلوب	أبو الحسن الأشعري، وهو القول المشهور عنده	الاعتماد علىٰ المعنىٰ اللغوي دون الشرعي. وشبهة المرجئة أن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ.	بدعة
	٤- مرجئة الفقهاء وابن كلاب	القول باللسان والتصديق بالقلب	ذر بن عبدالله المرهبي حماد بن سليمان شيخ أبي حنيفة عمرو بن مرة المرادي	ردة فعل بعد هزيمة ابن الأشعث ٨٢هـ من الحجاج فقالوا من أقر بقلبه ولسانه فهو مؤمن مهما عمل بجوارحه من المعاصي، والتفريط في الطاعات	بدعة

المطلب الثالث: مقالات المرجئة

أولا: الجهمية:

١- يذهب الجهم في الإيمان إلىٰ أنه المعرفة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط[١].

ويقصد جهم بالمعرفة: مجرد التصديق بأنَّ الله هو الرب الخالق لكل شيء، ولا يشترط أن يتبع ذلك شيئًا من أعمال القلوب كالمحبة والتعظيم والخضوع والانقياد. ولذا فهو يرىٰ أنَّ من أتىٰ بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده، ويرىٰ كذلك أن الإيمان لا يتبعض إلىٰ قول وعقد وعمل، ويرىٰ أن الناس فيه سواء؛ لأن المعرفة شيء واحد لا تفاضل فيه[٢].

٢- لقد وصف الإمام أحمد مذهب الجهمية بالكفر، فعندما ذكرت عنده المرجئة، وأنهم يقولون: إذا عرف الرجل بقلبه فهو مؤمن. فقال: «المرجئة لا تقول هذا، بل الجهمية تقول بهذا. المرجئة تقول: حتىٰ يتكلم بلسانه وإن لم تعمل جوارحه. والجهمية تقول: إذا عرف ربه بقلبه، وإن لم تعمل جوارحه، وهذا كفر، إبليس قد عرف ربه...»[٣].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣)، والفرق بين الفرق (٢١١)، والملل والنحل (١/ ٨٨)، وعقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/ ٢٧٣، ٢٧٤).

(٢) انظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيميه (٧/ ٣٦٣، ٣٦٤)، والإيمان بين السلف والمتكلمين. د. أحمد عطية الغامدي (١٠٨ - ١١١).

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ٧٣).

وقال الإمام الآجري بأن مقالة الجهمية وحشية علىٰ قائلها لعنة الله[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقول جهم في الإيمان، قول خارج عن إجماع المسلمين قبله، بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان»[2].

ثانيًا: الكرَّامية:

١- ترىٰ الكرَّامية أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب والجوارح، ويقولون بأن المنافقين مؤمنون في الدنيا علىٰ وجه الحقيقة، ولكنهم في الآخرة مخلدون في نار جهنم.

يرون أن كل إنسان مؤمن بمقتضىٰ الفطرة والميثاق، فإذا أعرب عن ذلك بلسانه فهو مؤمن حقيقي في الدنيا، وما في باطنه فأمره مرجأ إلىٰ الله، وهذا واضح من خلال كلام الأشعري في المقالات[3]، والبغدادي في الفرق بين الفرق[4]، والشهرستاني في الملل والنحل[5]، والاسفراييني في التبصير في الدين[6]،

٢- لا شك أن قول الكرَّامية قول مبتدع[7]، وشاذ[8]. وهو وإن كان مبتدعًا وشاذًا، إلاَّ أن مخالفتهم لأهل السنة والجماعة تكون في الاسم دون الحكم، فهم يسمون المنافق مؤمنًا، أي: في الظاهر وفي أحكام الدنيا، وأمَّا

(١) انظر: الشريعة للآجري (٢/ ٦٨٥، ٦٨٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٤١).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٣).

(٤) انظر: (٢٢٣).

(٥) انظر: (١/ ١١٣).

(٦) انظر: (٩٧، ٩٨).

(٧) انظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ١٤٠).

(٨) انظر: المرجع السابق (٧/ ٥٥٠).

في الآخرة فيحكمون عليه بالخلود في النار.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقول ابن كرَّام فيه مخالفة في الاسم دون الحكم، فإنَّه - وإن سمَّىٰ المنافقين مؤمنين - يقول: إنهم مخلدون في النار، فيخالف الجماعة في الاسم دون الحكم»[1].

٤- قول الكرَّامية في الإيمان علىٰ شذوذه أقرب إلىٰ الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من قول الجهمية.

فعندما يطلب منَّا أن نقول آمنَّا بالله، كقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فالقول باللسان أشهر في اللغة من تسمية معنىٰ في القلب قولًا.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، تشمل كل من قال آمنَّا بلسانه، وإن كان منافقًا، وكذلك فإن من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه، فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فهذه طريقة استدلال الكرَّامية، فهي قريبة من اللغة والقرآن والعقل، وأما قول الجهمية ومن تابعهم في جعل الإيمان عبارة عن قول القلب، فيجعل تارة هو المعرفة، وتارة تصديق القلب، فهو بعيد في اللغة والقرآن والعقل، فبدعة الجهمية أشد بطلانًا ونكارة من بدعة الكرَّامية.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أجرىٰ مقارنة بين قول الكرَّامية وقول الجهمية: «فعلم أن قول الكرَّامية في الإيمان وإن كان باطلًا مبتدعًا لم يسبقهم إليه أحد، فقول الجهمية أبطل منه، وأولئك أقرب إلىٰ الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية»[2].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ٥٥٠).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ١٤٠).

وقال: «وإذا قيل: قول الكرَّامية قول خارج عن إجماع المسلمين، قيل: وقول جهم في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين قبله، بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان وقد احتج الناس علىٰ فساد قول الكرَّامية بحجج صحيحة، والحجج من جنسها علىٰ فساد قول الجهمية أكثر»(١).

ثالثًا: الكلابية:

مذهب ابن كلاب في الإيمان، القول بأنه عبارة عن إقرار باللسان وتصديق بالقلب.

يقول البغدادي: «وكان عبد الله بن سعيد يقول: إن الإيمان هو الإقرار بالله عَزَّوَجَلَّ وبكتبه وبرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب، فإن خلا الإقرار عن المعرفة بصحته لم يكن إيمانًا»(٢).

فقول ابن كلاب موافق لقول مرجئة الفقهاء، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا أن القول بأن الإيمان عبارة عن قول باللسان وتصديق بالقلب هو قول مرجئة الفقهاء: «والثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم»(٣).

ويقول: «وابن كلاب - نفسه - والحسين بن الفضل البجلي، ونحوهما، كانوا يقولون: هو التصديق والقول جميعًا موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين، كحماد بن أبي سليمان، ومن اتبعه مثل أبي حنيفة وغيره»(٤).

(١) المرجع السابق (٧/ ١٤١).

(٢) أصول الدين (٢٤٩).

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ١٩٥).

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ١١٩).

يرىٰ ابن كلاب بأن أهل الكبائر مؤمنون، ولكن هل يقول عنهم مؤمنون كاملوا الإيمان أو ناقصوا الإيمان؛ يبدو أنه يقول بالأول جريا علىٰ المذهب في إخراج العمل عن مسمىٰ الإيمان، لكن يرىٰ تسميتهم في الدنيا بالفساق، ويرىٰ أنهم يوم القيامة بسبب كبائرهم يكونون تحت المشيئة.

يقول أبو الحسن - حاكيًا قوله في الإيمان -: «ويزعم هو وسائر المرجئة أن الفساق من أهل القبلة مؤمنون بما معهم من الإيمان، فاسقون بارتكاب الكبائر، وأمرهم إلىٰ الله - سبحانه - إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم»(١).

بعض الآثار عن السلف في التحذير من المرجئة:

يقول إبراهيم النخعي: الإرجاء بدعة.

ويقول: إياكم وأهل هذا الرأي المحدث - يعني الإرجاء.

ويقول: لفتنتهم عندي أخوف علىٰ هذه الأمة من فتنة الأزارقة - يعني: المرجئة.

يقول سعيد بن جبير: المرجئة يهود القبلة.

يقول الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضر علىٰ أهله من هذه - يعني الإرجاء.

رابعًا: الأشعرية:

١- لأبي الحسن الأشعري في حقيقة الإيمان قولان:

ففي مقالات الإسلاميين(٢) والإبانة والرسالة إلىٰ أهل الثغر(٣) يدخل العمل في مسمىٰ الإيمان.

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٥١).

(٢) انظر: (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: (٢٧٢).

يقول في الإبانة: «ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض.. وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[1].

وأمَّا في اللمع، فيصرح بأنه التصديق[2].

٢- الإيمان عند جمهور الأشعرية هو التصديق بالقلب.

يقول الشهرستاني في نهاية الإقدام: «قالت الأشعرية: الإيمان عبارة عن التصديق في وضع اللغة، وقد قرره الشرع علىٰ معناه. واختلف جواب أبي الحسن رَحِمَهُ اللهُ في معنىٰ التصديق فقال مرة هو المعرفة بوجود الصانع وإلهيته وقدمه وصفاته، وقال مرة: التصديق قول في النفس يتضمن المعرفة ثم يعبر عن ذلك باللسان، فيسمىٰ الإقرار باللسان أيضًا تصديقًا، والعمل علىٰ الأركان أيضًا من باب التصديق بحكم الدلالة، أعني: دلالة الحال، كما أن الإقرار تصديق بحكم الدلالة، أعني: دلالة المقال، فكان المعنىٰ القائم بالقلب هو الأصل المدلول، والإقرار والعمل دليلان»[3].

ويقول الجويني: «والمرضي عندنا، أن حقيقة الإيمان: التصديق بالله تعالىٰ، فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق علىٰ التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلا مع العلم»[4].

خامسًا: الماتريدية:

ذهبت الماتريدية في الإيمان مذهب الأشعرية فأخرجوا العمل عن مسمىٰ الإيمان، وعرفوه بأنه قول القلب وهو التصديق، وأما قول اللسان فهو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط[5].

---

(١) (٢٧)، تحقيق د. فوقية.

(٢) انظر: (١٢٢).

(٣) (٤٧١، ٤٧٢).

(٤) الإرشاد (٣٩٧)، وانظر: الملل والنحل (١/ ١٠١)، والمواقف (٣٨٤).

(٥) انظر: الفرق الكلامية للعقل (١٨٣)، ومنهج الماتريدية (٥٢)، والماتريدية للحربي (٤٥١).

المطلب الرابع: حقيقة الإرجاء المنسوب لبعض الصحابة

لا يصح أبدًا أن ينسب الإرجاء إلىٰ الصحابة الذين أمسكوا عن الخوض في الفتنة، مثل سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر وغيرهم، ويقال لمن نسب إليهم الإرجاء، ماذا تريد بالإرجاء هل هو إرجاء الحكم أم إرجاء العمل؟ فأما إرجاء الحكم، فليس صحيحًا أنهم أمسكوا لكونهم يرجئون الحكم علىٰ المختلفين بالكفر والإيمان إلىٰ الله تعالىٰ، فهم كانوا يتولون الجميع، وإنما أمسكوا استنادًا للنصوص الشرعية الآمرة بذلك في حال الفتن.

وأما إرجاء العمل، فلم يظهر بعد، وجميع الصحابة كانوا علىٰ أن الدين قول وعمل، لا يصح القول بلا عمل، ولا العمل بلا قول.

المطلب الخامس
حقيقة الإرجاء المنسوب للحسن بن محمد

إرجاؤه ليس هو إرجاء عمل، وإنما هو إرجاء حكم، وقد تاب منه.

فإن الحسن بن محمد لم يكن من المرجئة لا الغلاة ولا الفقهاء، فلم يكن إرجاؤه في جانب العمل وإنما كان إرجاؤه يتعلق بالحكم علىٰ المقتتلين في الفتنة، فقد كان يأمر الناس بموالاة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لأن الناس اجتمعت علىٰ إمامتهما، وأمَّا من بعدهما ممن دخل في الفتنة، فكان يرىٰ أن يوكل أمرهم إلىٰ الله، وهذا هو الإرجاء: إرجاء الحكم بالصواب والخطأ، ويبني عليه التولي والتبريء، والمدح والذم، فهو يرجئ جميع ذلك إلىٰ الله، ومن هنا فقد وقع عليه أشد العيب والذم حين يتوقف في أمر علي رضي الله عنه، فلا يتولاه، وكذلك في عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، ولكنه ندم علىٰ ذلك أشد الندم بعد أن كتب كتابًا بذلك، وهنا بعض النصوص المبينة نوع إرجاء الحسن بن محمد:

أ- قال ابن حجر: «قلت: المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت علىٰ كتاب الحسن بن محمد المذكور أخرجه ابن أبي عمر العدني في كتاب الإيمان له، في آخره قال: حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن قال: كان الحسن بن محمد يأمرني أن أقرأ هذا الكتاب علىٰ الناس. أما بعد: فإنا نوصيكم بتقوىٰ الله - فذكر كلامًا كثيرًا في الموعظة، والوصية لكتاب الله واتباع ما فيه، وذكر اعتقاده - ثم قال في آخره: ونوالي أبا بكر

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ونجاهد فيهما؛ لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة، ولم تشك في أمرهما، ونرجئ من بعدهما ممن دخل في الفتنة، فنكل أمرهم إلىٰ الله»(١).

قال ابن حجر: «فمعنىٰ الذي تكلم فيه الحسن أنه كان يرىٰ عدم القطع علىٰ إحدىٰ الطائفتين المقتتلتين في الفتنة بكونه مخطئًا أو مصيبًا، وكان يرىٰ أنه يرجئ الأمر فيهما»(٢).

فهنا ابن حجر، يرىٰ أنه يرجئ فقط الحكم بالصواب والخطأ في أمر المقتتلين في الفتنة إلىٰ الله، وسنرىٰ في النص الآخر، أنه يبني علىٰ ذلك عدم المدح أو الذم، بل عدم التولي أو التبرئ، فكل ذلك يرجؤه إلىٰ الله.

ب- أورد ابن عساكر في تاريخه عن عثمان بن إبراهيم بن حاطب قوله: «أول من تكلم في الإرجاء الأول: الحسن بن محمد بن الحنفية، كنت حاضرًا يوم تكلم، وكنت في حلقته مع عمي، وكان في الحلقة جحدب، وقوم معه، فتكلموا في علىٰ وعثمان وطلحة والزبير، فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم، ثم قام فقمنا.

قال: فقال عمي: يا بني ليتخذن هؤلاء هذا الكلام إمامًا. قال عثمان: فقال به سبعة رجال علىٰ رأسهم جحدب من تيم الرباب، ومنهم حرملة التيمي، تيم الرباب، أبو علي بن حرملة. وبلغ أباه محمد بن الحنفية ما قاله، فضربه بعصًا فشجه، وقال: لا تولي أباك عليًا؟!.

قال: وكتب الرسالة التي ثبت فيها الإرجاء بعد ذلك»(٣).

---

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢١).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٧٠، ٧١).

ثم أورد ابن عساكر بعد ذلك عن عطاء بن السائب ما يدل علىٰ ندمه علىٰ ذلك، فقال: «إن زاذان وميسرة دخلا علىٰ الحسن بن محمد بن علي فلاماه علىٰ الكتاب الذي وضع في الإرجاء. فقال الزاذان: يا أبا عمر، لوددت أني كنت مت ولم أكتبه»[1].

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٧١).

المطلب السادس: حقيقة الإرجاء المنسوب لأبي حنيفة

إنَّ إرجاء أبي حنيفة، إرجاء فقهاء لا إرجاء متكلمين[1]، إنه يخرج العمل من مسمىٰ الإيمان، لكنه يرىٰ أنه لابد من العمل بأركان الإسلام، وشرائع الإيمان، ويرىٰ أن الإيمان عبارة عن تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، فيرىٰ الإقرار باللسان من مسمىٰ الإيمان، وأمَّا المتكلمون من أشاعرة وماتريدية، فيرون الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فحسب، فبمجرد المعرفة القلبية والتصديق يكون الإنسان مؤمنًا كامل الإيمان، وقد سبق في مطالب سابقة إيضاح مسمىٰ الإيمان عند الجهمية وعند الأشاعرة والماتريدية، والذي يهمنا هو إيضاح الفرق الكبير بين إرجاء أبي حنيفة وإرجاء المتكلمين.

يتفق مرجئة الفقهاء مع المرجئة الغلاة في إخراج العمل عن مسمىٰ الإيمان، وقد اتفق المرجئة جميعًا مع الخوارج والمعتزلة في اعتبار الإيمان شيء واحد لا يتبعض ولا يتجزأ، فلو ذهب بعضه ذهب كله، ومن هنا أخرجت المرجئة أعمال الجوارح عن مسمىٰ الإيمان ليبقىٰ مرتكب الكبيرة في دائرة الإسلام، ومن هنا حكمت الخوارج والمعتزلة علىٰ مرتكب الكبيرة بالخلود في النار واختلفوا في تسميته في الدنيا، فالخوارج تسميه كافرًا، والمعتزلة تعده في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، وأمَّا أهل السنة والجماعة (السلف الصالح) فقد تابعوا الوحي الإلهي، قرآنًا وسنة، إذ جاء في الشرع أن العمل سواء عمل القلب أو عمل الجوارح شطر الإيمان، فهو

(١) انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (٣٥٤ – ٣٥٨، ٦٠٣ – ٦٠٥).

ركنه الأصيل وجزؤه العظيم، يكمل القول سواء في ذلك قول القلب أو قول اللسان، فلا تتم حقيقة الإيمان إلا بتركبها من الركنين الأصيلين وهما: القول والعمل، فبذهاب القول كله تنتفي الحقيقة، وبذهاب العمل كله تنتفي الحقيقة، لكن لما كانت الحقيقة مركبة من شعب وأجزاء، فلو ذهب بعضها مما لا يعد ذهابه ناقضًا من نواقض الإسلام بقي بعضها الآخر، فإنهم لم يحكموا علىٰ مرتكب الكبيرة بالكفر، وهم في ذلك كله يعملون بنصوص الكتاب والسنة لا عن اجتهاد ورأي، وإنما استدلال بالوحي الإلهي.

والمقصود هنا، بيان أن أبا حنيفة بإخراجه العمل عن مسمىٰ الإيمان خالف في هذه المسألة مذهب أهل السنة والجماعة (السلف الصالح) فلا يصح أن نطلق علىٰ مذهبه؛ إرجاء سنة، فهذا الإطلاق يعتبر خاطئًا، والقول بأن أبا حنيفة من المرجئة الغلاة خطأ شنيع، وافتراء عظيم، ويجب أن نؤكد علىٰ أن أبا حنيفة يعتبر قول اللسان ركن في الإيمان، فإن أبو حنيفة يرىٰ أن الإيمان هو تصديق بالقلب وقول باللسان، وكان يعظم عمل الجوارح، لكنه فعل ما فعل مناقضة لمذهب الخوارج.

قال أبو حنيفة: «والإيمان هو الإقرار والتصديق»[1].

وقال: «الإيمان: إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، والإقرار وحده لا يكون إيمانًا؟ لأنه لو كان إيمانًا لكان المنافقون كلهم مؤمنين، وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيمانًا؛ لأنها لو كانت إيمانًا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين»[2].

وقد ذكر الطحاوي مذهبه في الإيمان، وبين أنه يجري فيه علىٰ مذهب

(١) الفقه الأكبر (٨٣) بشرح د. محمد الخميس.

(٢) الوصية (٧٦). مطبوعة في آخر كتاب العلم والمتعلم. تحقيق الكوثري.

أبي حنيفة، فقال: «والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقىٰ، ومخالفة الهوىٰ، وملازمة الأولىٰ»(١). وقال: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»(٢).

أضف إلىٰ ذلك أن هناك عدة إشارات إلىٰ أن الإمام قد تراجع عن هذا النوع من الإرجاء، وعاد إلىٰ منهج السلف الصالح في الإيمان، وفيما يلي بعض النصوص عن الإمام أبي حنيفة في تعريف الإيمان، وبعض الإشارات الدالة علىٰ تراجعه عن ذلك الإرجاء:

يقول أبو حنيفة: «الإيمان هو إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، والإقرار وحده لا يكون إيمانًا، لأنه لو كان إيمانًا لكان المنافقون كلهم مؤمنين، وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيمانًا؛ لأنها لو كانت إيمانًا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين»(٣).

وقال: «والإيمان هو الإقرار والتصديق»(٤).

وقد ذكر الطحاوي عقيدته في الإيمان، وبين أنها عقيدة أبي حنيفة وصاحبيه فقال: «والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان»(٥).

وأمَّا عن تراجعه، فقد قال ابن أبي العز: «وقد حكىٰ الطحاوي حكاية

(١) العقيدة الطحاوية (٤٥٩) ضمن شرح ابن أبي العز، تحقيق التركي.

(٢) المرجع السابق (٤٣٢).

(٣) الوصية (٧٦). ضمن مجموع رسائل أبي حنيفة، تحقيق الكوثري.

(٤) الفقه الأكبر (٨٣) بشرح د. محمد الخميس.

(٥) شرح الطحاوية (٣٣١) تحقيق الألباني.

أبي حنيفة مع حماد بن زيد وأن حماد بن زيد لما روىٰ له حديث: «أي الإسلام أفضل» إلىٰ آخره، قال له: ألا تراه يقول: أي الإسلام أفضل، قال: الإيمان، ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟

فسكت أبو حنيفة.

فقال بعض أصحابه: ألا تجيبه، يا أبا حنيفة؟

قال: بم أجيبه، وهو يحدثني عن رسول الله ﷺ»[1].

وعلىٰ كلٍّ، وإن لم تدل هذه القصة علىٰ تراجع صريح عن مذهبه في الإيمان، إلاَّ أن مذهبه ليس علىٰ طريقة المتكلمين، وإنما هو إرجاء فقهاء، يدعون للعمل بالإسلام، ويحضون علىٰ تقوىٰ الله جل جلاله.

(١) شرح الطحاوية (٣٥١) تحقيق الألباني.

المطلب السابع: مكانة عمل الجوارح في حقيقة الإيمان

هل عمل الجوارح شرط صحة أم شرط كمال في حقيقة الإيمان الشرعية؟

هناك من أجاب في عصرنا الحاضر - ممن هو من أهل السنة والجماعة - بأن عمل الجوارح شرط كمال، لأنه يرىٰ أن ترك المباني الأربعة «الصلاة والصيام والزكاة والحج» تهاونًا وكسلًا ليس كفرًاَ، فإذا كان ترك المباني الأربعة ليس كفرًا فترك غيرها من أعمال الإيمان ليس كفراً من باب أولىٰ، لكنّه يصر علىٰ أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولكن المراد بالعمل - عنده - عمل القلب، ويرىٰ بأنّه يمكن أن ينتفي عمل الجوارح بالكلية مع بقاء عمل القلب، ويرىٰ أن هذا القول هو قول أهل السنة والجماعة.

ولكنّ الأمر ليس كذلك، بل قوله هذا موافق لمذهب مرجئة الفقهاء، لأنه عند التحقيق سيعود إليه، ولذا فقد ظهر بوادر توجههم - دون شعور منهم - لمذهب مرجئة الفقهاء حين صرح بعضهم بأنه لا كفر إلا بالجحود والاستحلال، بناءً علىٰ أن أعمال الجوارح خارجة عن حقيقة الإيمان عندهم.

إذًا الإجابة بأن عمل الجوارح شرط كمال تميل بالشخص إلىٰ مذهب الإرجاء.

وهناك من أجاب - ممن هو من أهل السنة والجماعة - بأن عمل الجوارح شرط صحة في الإيمان، وهذا القول يلزم صاحبه بأن كل عمل من أعمال الجوارح يعتبر شرط صحة، فلو ترك الأمر بالمعروف - مثلًا - تهاونًا وكسلًا لصار كافرًا، وهذا القول سينحو بصاحبه إلىٰ مذهب الخوارج.

إذن فالإجابة بأن عمل الجوارح شرط صحة تميل بالشخص إلىٰ مذهب الخوارج.

فما الإجابة الصحيحة إذن؟

الجواب الصحيح بأن نقول بأن أعمال الجوارح شطر في حقيقة الإيمان وليست شرطًا، لأن الشرط يكون خارجًا عن الحقيقة لا داخلها، وعمل الجوارح ركن في الإيمان، لكون الإيمان المطلق قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب وعمل الجوارح.

ولكن لو قال بأنّي أقصد بالشرط بأن الحقيقة الإيمانية لا تكون موجودة إلا بوجود هذا الشرط في داخلها، فنقول له: هنا يجب أن نفرق بين آحاد عمل الجوارح، وبين جنس عمل الجوارح، فجنس عمل الجوارح يعتبر وجوده شرط صحة في الإيمان، فلا يمكن أن يكون الإيمان المنجي - في الأحوال العادية - دون أن يكون هناك من أعمال الجوارح شيء يدل عليه، فترك عمل الجوارح بالكلية ينتفي معه الإيمان المنجي.

وأما آحاد عمل الجوارح، فمنها ما هو شرط صحة كترك الشرك وأنواع الكفر والبراءة منها، ومثل ترك الصلاة كلية، ومنها ما هو شرط كمال كإماطة الأذىٰ عن الطريق.

وبهذا التفصيل تتضح القضية المعاصرة المطروحة بين صفوف طلاب العلم من أهل السنة والجماعة التي تبادلوا فيها الاتهامات، فمن يقول بأن عمل الجوارح شرط صحة يتهم الآخر بأنه جهمي، ومن غلاة المرجئة، ونحو ذلك من التهم، ومن يقول بأن عمل الجوارح شرط صحة يتهم الآخر بأنه خارجي ومعتزلي، وكلاهما علىٰ خطأ، والصواب حسب ما ذكرنا في التفصيل السابق.

عرض توضيحي

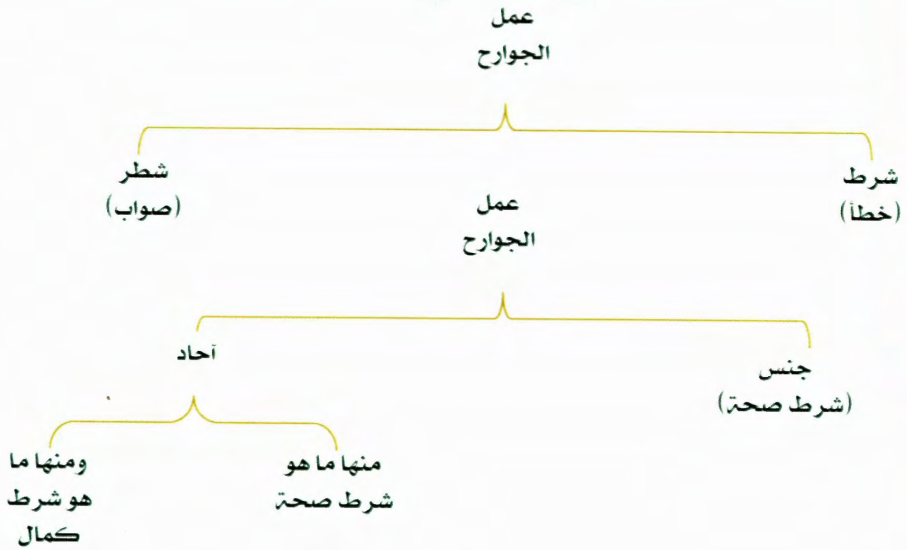
عمل
الجوارح
شرط
(خطأ)
شطر
(صواب)
عمل
الجوارح
جنس
(شرط صحة)
آحاد
منها ما هو
شرط صحة
ومنها ما
هو شرط
كمال

المطلب الثامن: آثار الفكر الإرجائي على الأمة الإسلامية

١- إضعاف القوة الإيمانية عند الأمة الإسلامية.

لأن إهمال أعمال الجوارح وتهوين شأنها يؤدي إلىٰ إضعاف إيمان القلب ولا بد، فهناك ارتباط وثيق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فكلاهما يؤثر علىٰ الآخر.

٢- إضعاف القوة المادية عند الأمة الإسلامية.

فحينما يخرج الجهاد وعمارة الأرض بما هو نافع، وتحكيم شرع الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن حقيقة الإيمان الشرعية، فلا بد أن تضعف قوة الأمة المادية.

٣- ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لضعف أهمية أعمال الجوارح في النفوس.

فتح المجال للزنادقة والفسقة للنيل من الدين الإسلامي استهزاءً وسخرية، وسبًا لله عَزَّوَجَلَّ وللرسول ﷺ، ولكون ما يقوم به كفر عملي لا بد فيه من الاستحلال.

٤- التهوين من قضية تحكيم شرع الله، لكونها من أعمال الجوارح، وأعمال الجوارح إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان، أو علىٰ قول بعض المعاصرين شرط لكمال الإيمان فحسب.

٥- ضعف مفهوم لا إله إلا الله عند كثير من الناس، لكونهم بسبب الفكر الإرجائي ظنوها مجرد كلمة تقال، تنبئ عما في القلب، دون أن يكون هناك التزام بالعمل بمقتضاها، وذلك بعبادة الله وحدة لا شريك له وترك عبادة ما سواه وفق ما جاء به رسول ﷺ في جميع مجالات الحياة.

القسم الثالث
الفرق الكلامية

وفيه تمهيد وستة مباحث:

تمهيد: مقدمة تأصيلية في باب الصفات:

- **المطلب الأول**: القواعد السبعة في بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات.
- **المطلب الثاني**: الأمثال والأصول في بيان حقيقة التشابه.
- **المطلب الثالث**: أسباب انحراف الفرق الممثلة والمعطلة.
- **المطلب الرابع**: بيان المراد بالفرق الكلامية.

المبحث الأول: فرقة الجهمية.

المبحث الثاني: فرقة المعتزلة.

المبحث الثالث: فرقة الكُلَّابية.

المبحث الرابع: فرقة الأشعرية.

المبحث الخامس: فرقة الماتريدية.

المبحث السادس: فرقة الكرَّامية.

تمهيد: مقدمة تأصيلية في باب الصفات

إنَّ قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١]، قاعدة عقدية قرآنية في باب الأسماء والصفات، معناها واضح عند عامة المسلمين فضلًا عن العلماء وطلاب العلم، فينبغي أن تكون هي الكلمة السواء التي يطالب بالرجوع إليها جميع المختلفين في باب الأسماء والصفات، وتكون هي المنهج العام الذي ينهجه الجميع في تعلم أسماء الله وصفاته.

إنَّ الانطلاق من هذه القاعدة العقدية القرآنية في دراسة باب الأسماء والصفات، يسهل علىٰ الدارس الطريق إلىٰ معرفة الله، ويحقق له الزيادة في الإيمان بالله، ويبعده عن شبهات المعطلة، وأيضا عن شبهات الممثلة، فيحفظ عليه عقيدته في الله صافية نقية، ويحفظ فكره، ويصون قلبه، وتنطلق جوارحه عابدة لله، ملتزمة بشريعة الله.

لهذا أحببت أن أكتب مقدمة قبل الشروع في الكلام عن الفرق الكلامية فيها بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات نفيا وإثباتا من خلال قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وسيكون فيها أيضا إثبات أنَّ الفرق المنحرفة في باب الأسماء والصفات من الممثلة والمعطلة لم تلتزم بهذه القاعدة العقدية القرآنية، فكان ذلك هو أعظم سبب لضلالها.

المطلب الأول: القواعد السبعة
في بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات

القاعدة الأولى: قاعدة الخبر:

نستنبط من قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، أنَّ الكلام في باب الأسماء والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات. فقد دلت علىٰ أنَّ الله موصوف بالنفي في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وموصوف بالإثبات في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، وأن هذا النفي والإثبات خبر موقوف معرفته علىٰ ما جاء به الوحي[(١)].

فالواجب علينا في باب الأسماء والصفات من خلال هذه القاعدة الأمور التالية:

١- أنَّ نتلقىٰ الأسماء والصفات نفيًا وإثباتًا من الله ﷻ، وما صح عن رسوله ﷺ سواء كان آحادا أو متواترا، لا فرق بينهما[(٢)].

٢- أن يكون المنهج في الإثبات كما في القاعدة القرآنية بلا تمثيل، فنثبت لله بأنه سميع بصير، معتقدين بأن الله لا مثيل له في سمعه وبصره،

---

(١) انظر: التدمرية (٥٧).

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (٢٠٦)، وكتاب التوحيد، لابن خزيمة (١/ ١٣٧)، ورسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد (١٢١، ١٢٢)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٩)..

وهكذا في جميع الثابت لله من الأسماء والصفات[1].

٣- أن يكون المنهج في الإثبات كما في القاعدة القرآنية التفصيل، ففي التفصيل في الإثبات زيادة في التعريف بالله، وزيادة في بيان كمالات الممدوح.

٤- أن يكون المنهج في النفي كما في القاعدة القرآنية: أن ننفي عن الله ما نفاه عن نفسه، وننزه الله عن مماثلة المخلوقات، لكن تنزيهنا له لا يوقعنا في تعطيل الثابت لله من الأسماء والصفات في الكتاب أو السنة، فهو تنزيه بلا تعطيل[2].

٥- أن النفي يكون مجملًا كما في القاعدة القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فالتفصيل في النفي ليس فيه مدح، بل قد يكون أحيانا فيه ذم[3].

٦- أن النفي لا يفصل إلا لأسباب، كدفع توهم نقص عن صفة كماله كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أو لدفع ما ادعاه الكاذبون في حق الله ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٩١ - ٩٢].

٧- وأنَّ النفي لا بد أن يتضمن إثبات كمال الضد حتىٰ يكون مدحًا، كقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ٣]، أي لكمال غناه عن الوالد وعن الولد، فهو الأول والآخر[4].

---

(١) انظر: الاختلاف في اللفظ، والرد علىٰ الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة (٣٤) تحقيق الكوثري، والواسطية، لابن تيمية، بشرح الهراس، وتخريج علوي السقاف (٤٧ - ٤٨).

(٢) انظر: التدمرية (٦ - ٨).

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه (٨).

(٤) انظر: التدمرية (٥٩).

القاعدة الثانية: قاعدة الخبر من الله:

يراد بهذه القاعدة: أنَّ المخبر لنا بأسماء الله وصفاته هو الله، فلا يسعنا إلَّا الإيمان بهذا الخبر.

فالله ﷻ هو الذي أخبرنا عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾. فوجب علينا أن نؤمن بهذين الاسمين: السميع والبصير، وبهاتين الصفتين: السمع والبصر، مع اليقين بأن سمع الله وبصره ليس كسمع المخلوق وبصره، فنؤمن بهذا الخبر وإن لم ندرك الكيفية، لعدم وجود المثيل الذي نقيس عليه، ولعدم وجود الخبر الموضح للكيفية، ولعدم رؤيتنا لله في هذه الدنيا، وهكذا هو الواجب علينا في بقية أسماء الله وصفاته الواردة في القرآن والسنة، نؤمن بها لكونها من الله، نؤمن بها من غير تمثيل، وإن لم نعرف المعنىٰ الموضح للكيفية[1].

إذن نستنبط من هذه القاعدة القرآنية: أن الأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة يجب الإيمان بها لأنها خبر من الله تعالىٰ، ونفهمها في ضوء قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾، فلا نلحد في معانيها بتحريف أو تكييف أو تمثيل أو تعطيل.

وأما الألفاظ التي لم تثبت في الكتاب والسنة فلا تجب الموافقة عليها، نفيا أو إثباتا حتىٰ نعرف المراد بها:

أ- فإن كان المراد بها حقًا، لا يحتمل إلَّا ذلك، فهنا لا تدخل تلك الألفاظ من ضمن الأسماء والصفات، وإنما يجوز الإخبار بها عن الله،

---

(١) انظر: أصول السنة، للإمام أحمد، (٥٣-٥٦) بشرح الجبرين، والتبصير في معالم الدين، لابن جرير الطبري (١٤٦، ١٤٧)، والحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

كقول السلف عن الله بأنه بائن من خلقه، أي ليس هو حال في شيء من مخلوقاته، ولا شيء من مخلوقاته حال فيه.

ب- وإن كان المراد مجملًا يحتمل حقًا وباطلًا، فإننا نتوقف في تلك اللفظة، ولا نطلقها على الله، نفيا أو إثباتا، فإن في إطلاقها على الله يتضمن إثبات الباطل الذي فيها، وفي نفيها عن الله يتضمن نفي الحق الذي فيها. فنستفصل عن المعنى، فالمعنى الحق نقبله ونعبر عنه بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة، وأما المعنى الباطل فنرده[1].

ومن الأمثلة على تلك الألفاظ: الجسم، العرض، الحوادث، الجهة، المتحيز[2].

اللفظة المجملة	المعنى الباطل المردود	المعنى الحق المقبول	التعبير بالألفاظ الشرعية
(١) الجسم	من جنس المخلوقات، مكون من الجواهر المنفردة	الموجود القائم بنفسه، الموصوف بالصفات، الذي يرى في الآخرة	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾.
(٢) حلول الأعراض	ما يعرض للإنسان من الأمراض والآفات	صفات الله	إثبات السمع والبصر.. ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾.

(١) انظر: التدمرية (٥٩)، (٦٦، ٦٧)، ودرء التعارض (١/ ٤٤، ٤٥).

(٢) انظر: التدمرية (٦٦، ٦٧)، ودرء التعارض (١/ ٤٤، ٤٥).

اللفظة المجملة	المعنى الباطل المردود	المعنى الحق المقبول	التعبير بالألفاظ الشرعية
(٣) حلول الحوادث	التغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم	صفات الله الفعلية	إثبات الكلام والاستواء والعرش والنزول مع استحضار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾.
(٤) الجهة	شيء موجود مخلوق كالسموات نفسها، والعرش نفسه.	ما فوق العالم غير مخلوق	العلو، والفوقية
(٥) المتحيز	تحوزه المخلوقات	منحاز عن المخلوقات مباين لها	العلو، والفوقية

القاعدة الثالثة: قاعدة الظاهر اللائق:

هذه القاعدة استكمالًا للقاعدتين السابقتين، فقد ذكر فيما سبق أن باب الأسماء والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، وأنه يتلقىٰ من الله سبحانه وتعالى سواء في القرآن أو السنة.

فيراد بهذه القاعدة الثالثة: أن نتلقىٰ هذا الخبر الذي هو من الله المتعلق بأسماء الله وصفاته علىٰ ظاهره، وهذا الظاهر هو اللائق بالله سبحانه وتعالى، بدون تمثيل، ويكون هذا الأمر عامًا في سائر الأسماء والصفات.

إنَّ القاعدة العقدية القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

﴿ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ محكمة الدلالة في هذا الموضوع، بأننا نثبت لله جميع ما ثبت له في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات علىٰ ظاهرها، وأن ظاهرها هو علىٰ الوجه اللائق بالله من غير تمثيل[1].

وتحت هذه القاعدة، قاعدة الظاهر اللائق، يمكن ذكر الضوابط التالية:

١- أنَّ السلف لا يرتضون القول بأن ظاهر نصوص الأسماء والصفات هو التمثيل، فالله ﷻ أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلَّا ما هو كفر وضلال، والقاعدة القرآنية صريحة في نفي ذلك.

٢- أنَّ من ظن أن ظاهر النصوص علىٰ غير ما يليق بالله ﷻ، وأن الظاهر هو التمثيل، فقد خالف هذه القاعدة العقدية القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾، وأنه غلط من وجهين:

أ- غلط في فهمه للنصوص، حيث فهم منها معنىٰ فاسدًا جعله ظاهر النص، فقال: النصوص ليست علىٰ ظاهرها. ولذلك نؤكد دائمًا بأن يجعل المسلم فهم السلف الصالح ضياء له، وضابطًا يضبط به المعنىٰ الحق للنصوص.

ومثاله: أن يفهم من قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ أن لله سمع مثل سمع المخلوقين، وبصر مثل بصر المخلوقين، وينسىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، فيقول بأن الظاهر وهو إثبات السمع والبصر غير مراد، وأنه يحتاج إلىٰ تأويل، فيقع في الانحراف.

ب- غلط في رده للمعنىٰ الحق، ظانًا أنه باطل.

ومثاله: أن يفهم بأن سمع وبصر يليق بالله، وأنه مخالف لسمع

---

(١) انظر: رياض الجنة بتخريج أصول السنة لابن أبي زمنين تحقيق وتخريج عبد الله البخاري (٧٤)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٦٠ - ١٦٤).

المخلوق وبصره، ومع هذا يرىٰ أن إثبات هذا الأمر باطل، وأنه يحتاج إلىٰ تأويل، لأنه سيوقع في التمثيل.

٣- أنَّ من اعتقد أنَّ الظاهر من قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ إثبات السمع والبصر لله من غير تمثيل، علىٰ ما يليق بالله، فإنَّه يجب عليه أن يعتقد ذلك في بقية النصوص، ولا يفرِّق بينها، فإن العاقل يجمع بين المتماثلات، ويفرق بين المختلفات، فلمَّا كان القائل واحدًا، والموصوف واحدًا، فكل تلك الأسماء والصفات التي وردتنا من الله منسوبة لله، كلها علىٰ ظاهرها اللائق بالله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن نثبت بعضها، وننفي بعضها، بحجة أن ما أثبتناه ظاهره علىٰ ما يليق بالله، وما نفيناه ظاهره علىٰ ما لا يليق بالله[1].

القاعدة الرابعة: قاعدة الظاهر بلا تمثيل:

هذه القاعدة استكمالًا لما سبقها من القواعد، فالقاعدة الأولىٰ فيها بيان أن توحيد الأسماء والصفات هو من باب الخبر، والقاعدة الثانية فيها بيان أن هذا الخبر من الله فيجب الإيمان بما فيه نفيًا أو إثباتًا، والقاعدة الثالثة: أن هذا الخبر من الله علىٰ ظاهره اللائق بالله، فهذه القاعدة الرابعة، تقول بأننا نثبت هذا الظاهر بلا تمثيل.

فيراد بهذه القاعدة الرابعة: إثبات الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة نفيًا أو إثباتًا علىٰ ظاهرها من غير تمثيل.

وهذه القاعدة هي المنطوق الصريح للقاعدة القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. فهي تدعونا للإيمان بأن الله سميع بصير، مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء في سمعه وبصره، وهكذا سائر صفاته[2].

(١) انظر: التدمرية (٦٩)، (٧٨).

(٢) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني (١٩١)، والاقتصاد في الاعتقاد، =

وهؤلاء الذين توهموا أن ظاهر النصوص هو التمثيل قد وقعوا في محاذير عديدة أبرزها:

١- مخالفة القاعدة القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فنسيانهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ أثناء دراستهم للأسماء والصفات هو الذي أوقعهم في الانحراف في هذا الباب، فظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل.

٢- أن الظن بأن مدلول النصوص هو التمثيل، فيه سوء ظن بالله وبرسوله ﷺ، حيث ظن أن المفهوم من كلاهما هو الكفر، ويقوم بالجناية علىٰ النصوص بتعطيلها عمَّا دلت عليه من إثبات الصفات لله اللائقة بالله جل جلاله.

٣- أنَّه بنفي تلك الصفات الواردة في النصوص لله، يكون معطلًا لما يستحقه الرب سبحانه من الأسماء والصفات، وبهذا ينحرف في معرفته بالله، وقد يصل به الانحراف إلىٰ عبادة غير الله، كأن يعبد عدمًا.

٤- أنَّه يلزمه وصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الجمادات أو المعدومات أو الممتنعات.

وهذا هو الإلحاد في كلام الله وفي الله، فيجمع بين التمثيل والتعطيل.

ولو التزم بما في القاعدة القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فآمن بأن الله سميع بصير، مستحضرًا ليس كمثله شيء في

=لعبد الغني المقدسي (١٠٠). وكتاب رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علىٰ المريسي العنيد (٣٨٠) ضمن عقائد السلف. والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٣٦٤).

سمعه وبصره، وهكذا في بقية ما ثبت لله ﷻ في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات، فأثبتها وآمن بها على ظاهرها اللائق بالله من غير تمثيل لسلم من الإلحاد في كلام الله، وفي صفات الله[1].

القاعدة الخامسة: قاعدة المعنى:

هذه القاعدة أيضًا استكمالًا لما سبق من القواعد: فنحن نعتقد وجوب الإيمان بما ورد في الخبر من الله من الأسماء والصفات له على ظاهرها اللائق به، من غير تمثيل، وأنها مفهومة المعاني مجهولة الكيفية.

فيراد بهذه القاعدة: بيان أن أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة معلومة من جهة المعاني، مجهولة من جهة الكيفيات، وفقًا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

فنعلم أن الله موصوف بصفة السمع، وأنه يسمع الأصوات، فلا تختلط عليه الأصوات، ولا تختلف عليه اللهجات، ولا يخفى عليه صوت، وكذلك القول في البصر. ولذا فإن الداعي عندما يدعو الله، يدعو وهو موقن بأن الله يسمع دعاءه، ويبصر حاله، ولكن لكون الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فإننا نفوِّض كيفية سمع الله وبصره، له ﷻ، وهكذا في سائر الأسماء والصفات.

فنحن نعلم المعاني بالنظر إلى اللفظ حال القطع عن الإضافة والتقييد؛ السمع: إدراك المسموعات، والبصر: إدراك المبصرات، وعند الإضافة والتقييد، نقول سمع الله، وبصر الله، نفهم المعاني أن الله يسمع دعاءنا،

---

(١) انظر: التدمرية (٧٩ - ٨١). والرد على الجهمية (٢٩١، ٢٩٢) ضمن عقائد السلف، والشريعة، للآجري (٣/ ١١٢٥، ١١٢٦)، ورياض الجنة، لابن أبي زمنين (١١٠)..

ويبصر حالنا، ولكن سمع الله يليق بالله، وبصر الله يليق بالله، لا نعرف كيفيتهما، لكونهما يليقان بذات الله، فلما كانت ذات الله غيب، فكذلك كيفية صفاته.

وتحت هذه القاعدة يحسن التنبيه إلىٰ الأمور التالية:

١- أننا عندما نقول بأن نصوص الأسماء والصفات معلومة من جهة المعاني، لا نقصد بالمعنىٰ هنا حقيقة الصفة، فإننا نقول بأن الحقيقة والكيفية مجهولة، وإنما نقصد بالمعنىٰ: المعنىٰ الكلي الموجود في الذهن، عند القطع عن الإضافة والتقييد، نفهم المعنىٰ العام، ثم عند الإضافة نفهم المعاني فهمًا عامًا لا نستطيع من خلاله الوصول إلىٰ كيفية الصفة. كما مثلنا سابقًا في السمع والبصر، نمثل هنا باليد، فاليد حال القطع عن الإضافة والتقييد، هي ما به القبض والبسط، فنثبت لله صفة اليد، وأن له يدان ﷻ، ونفهم المعنىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، لكن ليس هو المعنىٰ الموضح لكيفية اليد، وهكذا في جميع الأسماء والصفات.

٢- ومن هنا يمكننا التعبير بأن نصوص الأسماء والصفات محكمة من ناحية المعاني، ومتشابهة من ناحية الكيفية، وأن هذا التشابه هو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

٣- ومن هنا يمكننا القول بأن تأويل نصوص الأسماء والصفات، بتفسير معانيها هذا يعلمه العلماء وغيرهم من عامة الناس، وأما تأويل نصوص الأسماء والصفات ببيان حقيقتها، فهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله[1].

---

(١) انظر: التدمرية (٨٩، ٩٠)، (٩٨، ٩٩)، (١٠٠).

القاعدة السادسة: قاعدة التنزيه:

هذه القاعدة - كذلك - تستكمل ما سبقها من القواعد: فالخبر من الله علىٰ ظاهره بلا تمثيل بمعنىٰ، وفي هذه القاعدة نضيف: وتنزيه.

فيراد بهذه القاعدة: الإيمان بما أخبرنا الله به في الكتاب أو السنة عن نفسه من الأسماء والصفات، ويكون هذا الإثبات مع تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات.

وهذه القاعدة؛ صريح منطوق القاعدة العقدية القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. فنحن ننزه الله عمَّا نزه نفسه عنه من المماثلة للمخلوقين، فحقيقته ليست كحقيقة المخلوقين، وحقيقة المخلوقين ليست كحقيقته، ويتضمن ذلك تنزيه الله عن النقائص والعيوب؛ فإثباتنا للوارد، ومنها السمع والبصر يكون مع التنزيه عن المماثلة والنقص والعيب.

وهنا في هذه القاعدة؛ قاعدة التنزيه نذكر الضوابط التالية:

١- أنَّ التنزيه لله عن مماثلة المخلوقات يكون من غير تعطيل ما ثبت لله من الأسماء والصفات، فهو تنزيه من غير تعطيل.

٢- أن التنزيه يكون إجماليًا لا تفصيليًا، فنأتي للمعائب والنقائص والمماثلة فننفيها جملة لا تفصيلًا، فلا نقول: وجه الله ليس كوجه البشر، ولا سمعه كسمع البشر، ولا بصره كبصر البشر، وإنما نقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، أي: في جميع الوارد لله من الأسماء والصفات.

٣- أن التنزيه التفصيلي لا يكون إلا لأسباب، وقد سبق ذكرها: مثل نفي نقص قد يتوهم في صفة كماله، أو لرد ما ادعاه الكاذبون في حق الله.

٤- أن التنزيه، لا بد فيه من إثبات كمال الضد ليكون مدحًا، فيقال مثلًا عن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨]؛ أي لكمال قوته، وهكذا.

٥- أننا لا نثبت لله غير ما ورد في الكتاب والسنة، ونقول من غير تمثيل، فهذا التنزيه لا يجيز لنا إثبات غير الوارد.

٦- أن تنزيه الله مطلقًا عن المشابهة من كل وجه، بحيث يكون الإثبات للأسماء والصفات بدون حقيقة ثابتة لله، هذا منهج خاطئ في التنزيه يوقع الإنسان في التعطيل.

فهناك قدر مشترك بين أسماء الله وصفاته، وبين أسماء وصفات المخلوق، وهذا القدر المشترك يكون في المعنىٰ الكلي من اللفظ حال القطع عن الإضافة والتقييد والتخصيص، كما مثلنا سابقًا بالسمع والبصر واليد، وعند الإضافة والتقييد والتخصيص يكون التنزيه عن المماثلة والمشابهة، فلكل منهما ما يخصه لا يشركه فيه الآخر، فحقيقة سمع الله وبصره ويده تليق به لا يشركه معه المخلوق، وحقيقة سمع المخلوق وبصره ويده تليق به لا يشركه معه الخالق.

فالتشبيه المطلق أي من كل وجه، فيما يجب ويجوز ويمتنع هذا هو التمثيل، وهو كفر، وهو صريح القاعدة العقدية القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، وأما مطلق التشابه وهو الاشتراك في المعنىٰ الكلي الموجود في الذهن، فهذا به نفهم معاني أسماء الله وصفاته، ويزيد إيماننا بالله، ومعرفتنا به[1].

---

(١) انظر: التدمرية (١١٦)، (١٢٤)، (١٢٥، ١٢٦).

القاعدة السابعة: قاعدة العقل:

هذه القاعدة هي خاتمة القواعد السابقة: فالخبر من الله علىٰ ظاهره بلا تمثيل، وبمعنىٰ، وتنزيه، وعقل.

فيراد بهذه القاعدة: أنَّ أسماء الله وصفاته وإن كان العلم بها وإثباتها لله موقوف علىٰ الوحي من كتاب وسنة؛ إلاَّ إنَّه يمكن الوصول إلىٰ كثير منها بالطرق العقلية، وقد تضمن الوحي ذلك تصريحا أو تنبيها لما هو محتاج للأدلة العقلية عليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ أن العقل قد دل علىٰ صحة الوحي عموما، فهو يدل علىٰ صحة ما جاء فيه تفصيلا.

فقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، قد دلَّ عليه العقل من جهة ثبوته في القرآن، ودلَّ العقل علىٰ نفي المماثلة.

ففي القاعدة العقدية القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، دليل علىٰ بطلان التمثيل عقلًا، فإن الله هو الخالق، وما سواه مخلوق، والخالق في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته لا يمكن أن يماثله فيها المخلوق، لأن المخلوق حينئذ سيكون خالقًا، فنقع في التناقض: بوصف المخلوق بنقيضين، وكذلك الخالق لا يمكن أن يماثل المخلوق في أسمائه وصفاته وذاته، لأنه سنصفه بالنقيضين: خالق ومخلوق، وهذا باطل.

فهذه القاعدة العقدية القرآنية هي عقلية من جهة ورودها في الشرع، ومن ناحية دلالتها العقلية علىٰ نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق[١].

ويحسن التأكيد تحت هذه القاعدة علىٰ المسائل التالية:

١- أن العقل قد دلَّ علىٰ جميع ما ورد به الوحي، من جهة دلالته علىٰ

(١) انظر: التدمرية (١٤٦، ١٤٧)، ودرء التعارض (١/ ١٩٨، ١٩٩). ومنهاج السنة (٢/ ١١٠). ومجموع الفتاوىٰ (١٣/ ١٣٦ - ١٤٠).

صدق الرسول ﷺ، ووجوب الإيمان بكل ما جاء به من القرآن والسنة. فكل ما ورد في القرآن والسنة، فهو مستند علىٰ الأدلة العقلية، سواء جاء مقترنًا بدليل عقلي خاص به، أو ورد سمعيًا بغير اقتران بدليل خاص به.

٢- أن كثيرًا مما ورد في الوحي، وكان بحاجة إلىٰ دليل عقلي عليه، فقد ورد مقترنًا بدليله بأجمل صورة، وأسهل عبارة، حتىٰ من سهولتها لا ينتبه الإنسان إلىٰ قيامها علىٰ دليل عقلي.

٣- أنَّ كثيرًا من صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة يمكن الاستدلال عليها من خلال النظر في مخلوقات الله، فنثبت لله العلم والقدرة والحكمة والرحمة هكذا.

٤- أنَّه لا يمكن فيما ثبت في الوحي لله من الأسماء والصفات ما يناقض بالعقول الصريحة، أو تحكم عليه بالاستحالة، فلا تعارض البتة بين ما ثبت به النقل، وبما جاء به العقل، ولكن قد يكون فيما جاء به الوحي ما يحار فيه العقل.

وسبب الحيرة هو عدم معرفتنا لكيفية ذات الله، وكيفية صفاته، ولعدم وجود المثيل لله، ولعدم ورود الخبر الصادق الموضح لكيفية صفات الله[1].

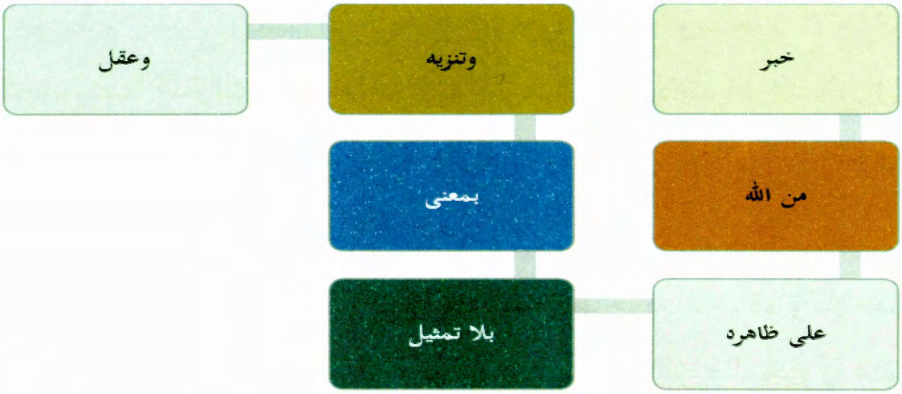

(١) انظر: درء التعارض (١/ ١٤٧)، (١/ ١٥٠، ١٥١) (١/ ١٥٥، ١٥٦).

المطلب الثاني:
الأمثال والأصول في بيان حقيقة التشابه

المسألة الأولى: الأمثال في بيان حقيقة التشابه:.

المثل الأول: نعيم الدنيا، ونعيم الآخرة:

يقول الله تعالىٰ في القاعدة القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

فسمَّىٰ نفسه سميعًا بصيرًا، وسمَّىٰ الإنسان سمعيًا بصيرًا، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

وقد قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، فليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، مع اشتراكهما في الألفاظ، والمعاني الكلية لتلك الألفاظ الموجودة في الأذهان لا الأعيان.

ومما يوضح هذا الأمر، المثال الذي يذكره علماء أهل السنة والجماعة وهو نعيم الدنيا، ونعيم الآخرة؛ بل موجود الدنيا، وموجود الآخرة، فنجد بينهما اشتراك في الألفاظ، ولم يوجب ذلك الاشتراك التماثل في المسميات، وهذا مخلوق، وهذا مخلوق، فالتباين بين الخالق والمخلوق عند الاشتراك في الألفاظ من باب أولىٰ.

فالذي يقر بالتباين بين موجود الدنيا وموجود الآخرة، وكلاهما مخلوق، يلزمه الإقرار من باب أولىٰ بالتباين بين الخالق والمخلوق عند الاشتراك في مسميات الصفات، وأنه لا يوجب التماثل فيها، والقاعدة

العقدية القرآنية صريحة في ذلك[1].

المثل الثاني: الروح والبدن:

هذا المثل، والمثل السابق يوضحان مسألة القدر المشترك بين أسماء وصفات الخالق، وأسماء وصفات المخلوق، وأن الاشتراك في الأسماء لا يوجب التماثل في المسميات، انطلاقًا من قوله تعالىٰ في القاعدة العقدية القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فاشتراك الخالق والمخلوق في اسم السميع البصير، لا يوجب تماثلهما في السمع والبصر، فسمع الخالق يليق به، لا يشركه فيه المخلوق، وسمع المخلوق يليق به، لا يشركه فيه الخالق، وإنما الاشتراك في المعنىٰ الكلي لاسم السمع والبصر، وهو إدراك المسموعات، وإدراك المبصرات، ففي حالة القطع عن الإضافة والتقييد والتخصيص يكون الاشتراك، وفي حالة الإضافة والتقييد والتخصيص، فلا اشتراك.

ومما يذكره علماء أهل السنة والجماعة من أمثلة توضح هذه الحقيقة، مثال الروح والبدن، فقد وصفت الروح بصفات يوصف بها البدن مثل الصعود والعروج، ويتفق الجميع أنهما وإن اشتركا في أسماء تلك الصفات، فإن بينهما اختلاف في الكيفيات، وهذا مخلوق وهذا مخلوق، فالتباين بين الخالق والمخلوق من باب أولىٰ، هذا من جهة.

ومن جهة أخرىٰ أننا نقر بتلك الصفات للروح، وأنها تقبض وتصعد وتسل، ومع هذا لا نعرف الكيفية، لكوننا لم نراها، وليس لها نظير يقاس عليه، ولم يرد الخبر الصادق الموضح للكيفية، فالخالق من باب أولىٰ، أن

(١) انظر: التدمرية (٤٦، ٤٧).

نؤمن بما ثبت له من الأسماء والصفات، ونتعلم معانيها، ونفوض كيفيتها إلىٰ الله تعالىٰ[1].

المسألة الثانية: الأصول في بيان حقيقة التشابه:

الأصل الأول: القول في الأسماء والصفات كالقول في

يقول الله تعالىٰ في القاعدة العقدية القرآنية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾؛ فالله ليس كمثله شيء في ذاته، وهذا يؤمن به الجميع، فذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم تسبق بعدم، ولا يلحقها فناء، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، فلمَّا كان الله تعالىٰ لا مثيل له في ذاته، والصفات تابعة للذات، فكذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا مثيل له في أسمائه وصفاته؛ فهو السميع البصير، وموصوف بصفة السمع وصفة البصر، ولا مثيل له فيهما، وكذلك في سائر الأسماء والصفات.

فمن أقر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالوجود، وبأن له ذات حقيقة، وقال بأن الله لا مثيل له في ذاته وفي وجوده، وأنَّ الوجود منقسم لما يليق بالخالق، وإلىٰ ما يليق بالمخلوق، فيقال له: كما أنك تقول بأن الوجود منقسم إلىٰ ما يليق بالخالق، فوجود الخالق يليق به، ولا يشركه فيه المخلوق، ووجود المخلوق يليق به، ولا يشركه فيه الخالق، وأنهما وإن اشترك في اسم الوجود إلاَّ أن ذلك لا يوجب تماثلهما فيه، فيقال له القول في أسماء الله وصفاته كالقول في الذات وفي الوجود.

فيجب علىٰ كل مسلم ومؤمن إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وأنه لا مثيل له في أسمائه وصفاته، وإن أطلقت تلك الأسماء علىٰ أسماء وصفات المخلوق، فكما أنهما مختلفان في الوجود والذات،

---

(١) انظر: التدمرية (٥٦، ٥٧).

فهما مختلفان في الأسماء والصفات[1].

الأصل الثاني: القول في الصفات كالقول في الأسماء:

هذا الأصل تابع للأصل السابق، فكما قلنا في الأصل السابق القول في الأسماء والصفات كالقول في الذات والوجود، نقول هنا أنه لا فرق بين الأسماء وبين الصفات، فكلاهما يقول الله تعالىٰ عنهما في القاعدة العقدية القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فكما أن الأسماء منقسمة إلىٰ ما يليق بالخالق، وإلىٰ ما يليق بالمخلوق، فالله من أسمائه: السميع والبصير، والمخلوق من أسمائه: السميع والبصير، ونقول بأن اسمي الله السميع والبصير يليقان به لا يشركه فيهما المخلوق، وأن اسمي المخلوق السميع والبصير يليقان به لا يشركه فيهما الخالق.

فما قلناه في الأسماء ينطبق علىٰ صفات الخالق، وصفات المخلوق، فهما وإن اشتركا في السمع والبصر إلّا أنه لا تماثل بينهما البتة فيهما في حال الإضافة والتقييد والتخصيص، وأن الصفات منقسمة كالأسماء إلىٰ ما يليق بالخالق وإلىٰ ما يليق بالمخلوق[2].

الأصل الثالث: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر:

يقول الله تعالىٰ في القاعدة العقدية القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. فالله موصوف بصفة السمع والبصر، وصفة السمع والبصر منقسمة إلىٰ ما يليق بالخالق، وإلىٰ ما يليق بالمخلوق، ونحن نثبت لله صفتي السمع والبصر اللائقتين به، انطلاقًا من قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ

(١) انظر: التدمرية (٤٣ – ٤٥).

(٢) انظر: التدمرية (٣٥).

﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وما نقوله في صفة السمع والبصر نقوله في بقية الصفات، فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

وهكذا القول في صفات الله تعالىٰ الأخرىٰ: كالوجه والعين واليد، فما قلناه في السمع والبصر نقوله فيها.

وهكذا القول في صفات الله الفعلية من الاستواء علىٰ العرش، والنزول والإتيان والغضب والرضا والفرح والسخط...

فالقول فيها كالقول في السمع والبصر، فنقول بأن تلك الصفات منقسمة إلىٰ ما يليق بالخالق وإلىٰ ما يليق بالمخلوق، ونحن نثبت لله تلك الصفات اللائقة به، انطلاقًا من قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

وفي ختام هذه الأمثال وهذه الأصول، يتبين لنا أنَّ التشابه بين أسماء وصفات الخالق، وأسماء وصفات المخلوق ينقسم إلىٰ قسمين:

١- تشابه مطلق، أي من جميع الوجوه، فيما يجب ويجوز ويمتنع، فهذا تمثيل ممنوع، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٢- مطلق التشابه، أي في اللفظ والمعنىٰ الكلي له حال القطع عن الإضافة والتقييد والتخصيص، فهذا ثابت، وليس هذا هو التمثيل الممنوع، ولا بد من إثبات هذا القدر المشترك حتىٰ نتعلم ما أخبرنا الله به عن نفسه من الأسماء والصفات[2].

---

(١) انظر: التدمرية (٣١، ٣٢).

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه (٤٢، ٤٣).

المطلب الثالث: أسباب انحراف الفرق الممثلة والمعطلة

المسألة الأولى: انحراف الممثلة:

يقول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، والممثلة يخالفون ذلك، ويثبتون لله الأ
فيقولون: يد الله كيد المخلوق، ومحبته كمحبتهم، ورضاه كرضاهم.

ومن انحراف الممثلة؛ أنهم يصفون الله بما يتصف به المخلوق من صفات النقص، فيصفون الله كما وصفته اليهود: بالفقر والبخل والتعب، تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

ومن انحراف الممثلة أنهم يصفون المخلوق بما هو من صفات الخالق المختصة به، كأفعال الربوبية من الخلق والملك والتدبير، وكعلم الغيب، ومغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وكذلك يرفعون بعض المخلوقين إلىٰ درجة الخالق، فيتوجهون لهم بأنواع من العبودية، كالدعاء والاستغاثة والسجود والذبح والنذر[1].

وقد بدأ القول بتمثيل صفات الله بصفات المخلوقين، وصفات بعض المخلوقين بصفات الله في السبأية الرافضة، وانتشر في طوائف الشيعة المتقدمين، ثم في غلاة الصوفية[2].

(١) انظر: المختار في أصول السنة، لابن البنا الحنبلي البغدادي (٨١). وعقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٣٢). والتدمرية (١٤٤ - ١٤٦).

(٢) انظر: رسالة مقالة التشبيه، وموقف أهل السنة منها. د جابر بن إدريس أمير.

المسألة الثانية: انحراف المعطلة:

يقول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، والمعطلة يخالفون ذلك، ويعطلون النصوص عما دلت عليه من الأسماء والصفات كليا أو جزئيا، ويعطلون الذات الإلهية عن الصفات الثابتة لها، وهم متفاوتون في التعطيل.

١- انحراف الفرق الكلامية:

أ- يراد بالفرق الكلامية: الفرق التي استخدمت علم الكلام في إثبات عقائدها والدفاع عنها، وأبرزها الجهمية والمعتزلة والكلابية والماتريدية، والأشعرية والكرَّامية.

ب- هذه الفرق خالفت القاعدة العقدية القرآنية من وجوه عديدة أبرزها:

- أنهم يصفون الله بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل، والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فالنفي للماثلة علىٰ وجه الإجمال، لا علىٰ وجه التفصيل.
- أنهم رغم قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فهم لا يفهمون من الوراد في النصوص من الأسماء والصفات إلا التمثيل، كفهم الممثلة، لذا فهم يردون النصوص ويحرفونها بالتعطيل أو التأويل.
- أنهم ينزهون الله عن المماثلة، لكن يدفعهم ذلك إلىٰ تعطيل الله عن أسمائه وصفاته الثابتة له في النصوص.
- أنهم يجملون في الإثبات، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فالمنهج الشرعي: التفصيل في الإثبات، لما في ذلك من تعريف بالله، وثناء عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- نجد الجهمية نفت جميع الأسماء والصفات ما عدا ما لا يصح عندهم إطلاقه علىٰ المخلوق، فنفوا اسم الله السميع والبصير، وصفة السمع والبصر، والله يقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

- نجد المعتزلة نفت الصفات مع إثبات الأسماء، ففرقت بين أسماء الله وبين صفاته، ونفت رؤية الله مطلقًا.

- نجد الكلابية أثبتت الأسماء، ولكنها فرقت بين الصفات، فأثبتت البعض، ونفت صفات الله الفعلية كالاستواء علىٰ العرش، والنزول، والغضب، والرضا...

- ونجد الأشعرية: نفت جميع الصفات الفعلية، وآحاد الصفات التي أثبتوها: العلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وجعلوها كلها قديمة، ونفوا صفات يزعمون أن في إثباتها تجسيم أي تمثيل: كالعلو والنزول، والمجيء والإتيان، وقالوا بالكلام النفسي، أي أن القرآن عبارة عن كلام الله، فهو تعبير عما في نفس الله، ولم يتكلم الله به حقيقة.

- ونجد الماتريدية لم يثبتوا من الصفات إلا ثمان علىٰ خلل في إثباتها، وهي الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام والتكوين.

٢- انحراف غلاة المعطلة.

أ- لا يصفون الله بأي صفة ثبوتية.

ب- لا يصفون الله لا بإثبات ولا بنفي [١].

---

(١) انظر: التدمرية (١٣ - ٢١).

المطلب الرابع: بيان المراد بالفرق الكلامية

أ- **الفِرق الكلامية**: هي الفِرق التي استخدمت علم الكلام؛ في الحجاج عن عقائدها الدينية، وأبرزها: الجهمية، والمعتزلة، والكلابية، والماتريدية، والأشعرية، والكرَّامية.

وقد تأثرت بعض الفرق الأخرىٰ في عقائدها في باب الصفات خصوصا بمنهج المعتزلة والأشعرية مثل: الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية)، والزيدية، وكذا الإباضية[1].

ب- **علم الكلام**: هناك اختلاف في تحديد المراد بعلم الكلام، وفي سبب تسميته بهذا الاسم؛ وفيما يلي جملة من تلك التعريفات مع التعليق عليها.

١- تعريف الفارابي:

يُسمِّي الفارابي علم الكلام: بصناعة الكلام، ويعرفه بقوله: «ملكة يقتدر بها الإنسان علىٰ نصرة الآراء، والأفعال المحدودة التي صرَّح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل»[2].

٢- تعريف الجرجاني:

يعرف الجرجاني علم الكلام بأنه: «علم باحث عن الأعراض الذاتية

---

(١) انظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٢/ ٧)، ودرء تعارض العقل والنقل؛ لابن تيمية (١/ ١٣).

(٢) إحصاء العلوم (٧١).

للموجود؛ من حيث هو علىٰ قاعدة الإسلام»[1].

٣- تعريف الإيجي:

يعرف الإيجي علم الكلام بأنه: «علم يقتدر معه علىٰ إثبات العقائد الدينية؛ بإيراد الحجج، ودفع الشبه»[2].

٤- تعريف ابن خلدون:

وأما ابن خلدون فيعرف علم الكلام بأنه: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية؛ بالأدلة العقلية، والرد علىٰ المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة»[3].

مناقشة تلك التعريفات:

إنّ تعريف الفارابي أقدم تلك التعريفات ولعلَّه أقواها، فهو يقسم العلوم إلىٰ قسمين: علوم من وضع صاحب الملة؛ أي: علوم إلهية - ولا نريد هنا الدخول في تفصيلات مراده بصاحب الملة -، وعلوم من وضع البشر؛ وهي العلوم الفلسفية.

فعلم الكلام علم يراد به نصرة العلوم الإلهية؛ سواء كانت عقيدة أو شريعة، وإبطال ما خالفها، وقد ذكر المادة التي يستند عليها علم الكلام وهي: الأقاويل؛ ولم يشترط في تلك الأقاويل أن تكون مأخوذة من واضع الملة علىٰ حسب تعبيره، وأيضا وصفها بأنها ملكة، وأمَّا العلم الذي وضع من أجل نصرة العلوم الفلسفية فإنّه يُسمىٰ: علم المنطق.

---

(١) التعريفات (١٩٢).

(٢) المواقف (٧).

(٣) المقدمة لابن خلدون (٤٥٨).

وأمَّا الجرجاني؛ فقد عرَّف علم الكلام بما تعرف به الفلسفة، إلاَّ أنه جعل الفارق بينهما أن علم الكلام: فلسفة علىٰ قاعدة الإسلام، بخلاف الفلسفة العامة، فلا ترتكز إلاَّ علىٰ قواعد العقل المطلق الحر غير المقيد، ولا شك أن هذا تعريف قريب من الحقيقة بالنظر إلىٰ ما انتهىٰ إليه علم الكلام.

وأمَّا الإيجي؛ فقد عرَّفه علىٰ طريقة الأشاعرة في نفي السببية؛ فلم يقل يقتدر به، وإنما قال: معه، ولا يهمنا هذا في هذا المقام، وإنما الذي يهمنا هنا أنه يرىٰ أن علم الكلام آلة تستخدم من أجل نصرة العقيدة الدينية، ولذا فهو لا يدخل علم أصول الفقه ضمن دائرة علم الكلام.

ويقرب ابن خلدون من موافقة الإيجي في تعريف علم الكلام، إلاَّ أنَّه يقيد العقيدة الدينية بعقيدة السلف والأشاعرة والماتريدية، فعلم الكلام إذن عند ابن خلدون: آلة لنصرة العقيدة السلفية والأشعرية والماتريدية، وهو بهذا يخرج أئمة الجهمية والمعتزلة من دائرة علماء الكلام، وهذا خطأ بيِّن فهم الذين أسسوا علم الكلام، وعلىٰ أيديهم كانت بداياته، وأيضا يضع عقيدة السلف ضمن العقائد التي خدمها علم الكلام، وليس كذلك، بل علم الكلام أساء للمعتقد الصحيح، ولم ينصره.

ج- حقيقة علم الكلام:

بالنظر إلىٰ تلك التعريفات وغيرها، والنظر في تاريخ نشأة علم الكلام يمكن القول: بإنَّ علم الكلام عبارة عن: **مجموعة من الإلزامات العقلية، والمصطلحات المجملة؛ استخدمها أصحابها في محاجة الخصوم أثناء استدلالهم علىٰ وجود الله، وتقرير وحدانيته، وإرساله الرسل، جعلت معيارا لتحديد الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، فما وافقها من النصوص**

قبلوه، وما خالفها أولوه أو فوضوه؛ أو إذا كان حديث آحاد ردوه؛ علىٰ خلاف بينهم في تحديد الموافقة والمخالفة. فهذا هو علم الكلام.

وقد تكوَّنت أغلب مادة علم الكلام من خلال دليل الحدوث - دليل الجواهر والأعراض -، فلمَّا كان العالم - عندهم - مكوَّن من جواهر وأعراض؛ فيلزم من ذلك أن الله ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم، ولا تحل به الأعراض، ولا تحل به الحوادث، ليكون مخالفا للعالم، ولذا فأي نص يخالف ما قرروه؛ فيوهم بأن الله جسم أو جوهر، أو تحل به الأعراض، أو تحل به الحوادث؛ فإنه لابد أن يرد إن كان آحادًا، أو يؤول إن كان قرآنًا أو متواترًا؛ لأن في ذلك معارضة للأدلة العقلية كما يزعمون، والتي بها أثبتوا وجود الله، فلو قبلوا ذلك النص لكان إبطالًا للدليل العقلي، وبالتالي يعود الأمر إلىٰ إبطال النصوص.

وكذلك تكوَّنت المادة من خلال نظرتهم لنصوص الكتاب والسنة، فقد نظروا لها علىٰ أنها مجرد أخبار ليس فيها أدلة عقلية؛ وبالتالي فهي لا تفيد اليقين، ورأوا أن أخبار الآحاد لا تثبت بها العقائد، وأن ما لا دليل عليه من العقل يجب نفيه، وهكذا تكونت مادة علم الكلام، واعتبرها أصحابها قطعيات، بل وصل بهم الأمر إلىٰ دعوىٰ الإجماع عليها عند جميع العقلاء علىٰ مر العصور، وفي مختلف الأديان، فتدور مادته غالبا حول ما تقدم.

ومن أسماء علم الكلام أيضا: علم النظر والاستدلال، وعلم التوحيد والصفات، وعلم أصول الدين، ونحو ذلك.

وقد بدأ هذا العلم علىٰ يد الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، ثم قام به المعتزلة وطوروه، وألفوا فيه الكتب، وتابعهم علىٰ ذلك الكلابية

والأشعرية والماتريدية؛ فهؤلاء هم علماء الكلام، وهذه فرقه[1].

سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم:

ذكر التفتازاني - في شرح العقائد النسفية - ثمانية أسباب لتسمية علم الكلام بهذا الاسم؛ منها:

١- كون عناوين مباحثه قولهم: الكلام في كذا، وكذا.

٢- أن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه، وأكثرها نزاعًا وجدالًا.

٣- أن علم الكلام يورث قدرة علىٰ الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة[2].

والذي يترجح؛ أن علم الكلام عند أصحابه اسم مدح، سموه بهذا الاسم في مقابلة علم المنطق؛ فاستبدلوا كلمة المنطق بالكلام، وفرقوا بينهما: بأن علم المنطق لخدمة الفلسفة، وعلم الكلام لخدمة العقيدة الإسلامية، وعلم المنطق مأخوذ من أرسطو، وعلم الكلام مأخوذ - كما يزعمون - من الكتاب والسنة، ويصرحون بأن ذلك كان في بداية الأمر، ثم بعد القرن الخامس دمج علم الكلام وعلم المنطق، حتىٰ صارا علمًا واحدًا.

وأمّا عند السلف: فعلم الكلام اسم ذم، يطلق علىٰ كل من يتكلم في الله بما يخالف الكتاب والسنة، ويخالف العقل السليم، والفطرة المستقيمة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسلف لم يذموا جنس الكلام، فإن كل

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٨ - ٤١)، ومجموع فتاوىٰ ابن تيمية (١٣/ ١٣٥ - ١٦٨).

(٢) انظر: شرح العقائد النسفية (١/ ١٨، ١٩)، ومذاهب الإسلاميين؛ د. بدوي (٢٨ - ٣٢).

آدمي يتكلم، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله، والاستدلال بما بينه الله ورسوله، بل ولا ذموا كلامًا هو حق؛ بل ذموا الكلام الباطل، وهو المخالف للكتاب والسنة، وهو المخالف للعقل أيضًا، وهو الباطل.

فالكلام الذي ذمَّه السلف هو الكلام الباطل، وهو المخالف للشرع والعقل»[١].

د- مكانة علم الكلام عند المتكلمين:

يظن علماء الكلام أنهم قدموا أجل الخدمات للعقيدة الإسلامية بابتداعهم هذا العلم، فهو معيار لها، وخير معين لتقريرها، والدفاع عنها، فكما أن المنطق يقدم هذه الخدمة للعلوم الفلسفية، فعلم الكلام يقدم هذه الخدمة للعقيدة الإسلامية[٢]، وبئس ما قدموا، فقد حرفوا كتاب الله، وابتدعوا في دين الله، وردوا حديث رسول الله ﷺ.

ويعتبر هذا العلم في نظرهم علمًا إسلاميًا أصيلًا، نابعًا من ذواتهم؛ من خلال نظرهم العقلي في نصوص الكتاب والسنة، ولم يستمدونه من مصادر خارجة عن الإسلام، ولذا فهم يعتبرونه مفخرة لهم، ويعتزون بالانتساب إليه، ويذمون من لا يعرفه.

ويفتخر كثير من الباحثين المعاصرين بعلم الكلام، ويعتبرونه الفلسفة الإسلامية الحقة، ولذا فهم يثنون أعظم الثناء وأجله علىٰ أئمة علماء الكلام، وإن خالفوهم في بعض عقائدهم، لكنهم يعتبرونهم مفخرة الإسلام، وبناة

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (١٣/ ١٤٧).

(٢) انظر: نشأة الفكر (١/ ٥٤).

حضارته في المعرفة[1]، وليس الأمر في الحقيقة سوىٰ مصطلحات فلسفية يونانية جعلوها في صورة إسلامية، مستدلين عليها خطأً بنصوص قرآنية.

هـ- موقف السلف من علم الكلام:

لقد ذمَّ السلف الصالح علم الكلام أشد الذم، وقالوا بتحريم الاشتغال به، وليس ذلك لكونه علمًا، فدين الإسلام دين العلم، وليس لكونه حكمة، فالحكمة ضالة المؤمن أنَّىٰ وجدها فهو أولىٰ الناس بها، ولا لوجود مصطلحات جديدة فيه، فما زالت المصطلحات تتوالىٰ إلىٰ يومنا هذا، وإنما رفضوه ووقفوا منه ذلك الموقف الصلب لقيامه علىٰ أصول باطلة، مخالفة للعقيدة الإسلامية؛ وليس ذلك فحسب بل مخالفة للعقل السليم أيضًا.

إنَّ السلف الصالح لم يذموا الحجاج العقلي عن عقيدة الإسلام أو شريعته من حيث هو، فهم يصرحون بوجود أدلة عقلية متكاثرة في الكتاب والسنة لتقرير العقيدة الإسلامية، وإيضاح الشريعة، وإنما ذموا الحجاج العقلي غير المنضبط بالنصوص الشرعية، والقائم علىٰ الجهل والهوىٰ، وعلىٰ آراء الملاحدة والصابئة والفلاسفة واليهود والنصارىٰ وغيرهم ممن انحرف عن منهج النبوة، وحاد عن نظرة العقل السليم، والفطرة المستقيمة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «.. وهذا التقسيم ينبه أيضًا علىٰ مراد السلف والأئمة بذم الكلام وأهله، إذ ذاك متناول لمن استدل بالأدلة الفاسدة، أو استدل علىٰ المقالات الباطلة، فأما من قال بالحق الذي أذن الله فيه حكمًا ودليلًا فهو من أهل العلم والإيمان: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ

(١) انظر: نشأة الفكر (١/ ٥٩).

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤]»[١].

و- مقارنة بين العقل والنقل عند السلف وعند المتكلمين:

لما كان علم الكلام يعتمد علىٰ النظر العقلي في أمر العقائد الدينية، سواءً قالوا: إنَّ علم الكلام يثبت العقائد الدينية بالبراهين العقلية، كما يدافع عنها، أو قالوا: بأنه لدفع الشبه - فحسب - عن العقائد الإيمانية الثابتة بالكتاب والسنة[٢]؛ فهم جميعًا يعتبرون علم الكلام ميزانًا للوحي لا موزونًا له، وعندما يقولون العقل؛ فهم يقصدون علم الكلام، وعندما يذكرون النقل؛ فإنهم يرونه خاليًا من الأدلة العقلية المثبتة لصدق المسائل العقدية الواردة فيه.

وفيما يلي مقارنة سريعة في موضوع العقل والنقل عند السلف وعند المتكلمين:

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
المراد بالعقل والنقل	العقل: هو الغريزة المدركة للضار من النافع، والخير من الشر، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية اليقينية، والعمل بمقتضىٰ العلم. والنقل: هو الوحي الإلهي.	العقل: هو القواعد والأصول العقلية الموجودة في علم الكلام. النقل: هو الوحي الإلهي.

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٤٢، ٤٣)، وانظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة؛ د. سليمان الغصن (١/ ٧٤ - ٩٦).

(٢) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية؛ لمصطفىٰ عبدالرازق (٢٦٤).

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
إمكانية التعارض	لا يمكن؛ لأن كلاهما من الله، فالذي وهب الإنسان العقل هو الله، والذي أعطانا هذا الوحي هو الله، وأمرنا بإعمال عقولنا في هذا الوحي فهمًا وتدبرًا وحفظًا، ولا يمكن أن يأمرنا بتدبر ما ترفضه العقول السليمة.	يمكن التعارض، وهو واقع عندهم. فالقاعدة العقلية - عندهم - أن الله لا يكون جوهرًا ولا عرضًا ولا جسمًا تتعارض مع إثبات الصفات الذاتية لله كالوجه واليد والساق والقدم ونحو ذلك. والقاعدة العقلية - عندهم - تقول: أن الله لا تحل به الأعراض فهذه تتعارض مع إثبات الصفات، والقاعدة العقلية - عندهم - تقول: أن الله لا تحل به الحوادث وهذه تتعارض مع إثبات الصفات الفعلية. وهكذا.
الحل عند التعارض	تقديم الوحي علىٰ الآراء، لأن العقل البشري مهما تحرز فهو محدود وعرضة للخطأ وعدم الفهم، ولأن العقل السليم قد صدَّق الرسول الكريم ﷺ في كل ما جاء به، فوجب عليه الإيمان، وإن لم يفهم في بعض الأحيان. ولأن الوحي قد يأتي بمحارات العقول؛ فتحار في الكيفية مثل كيفية صفات الله، وكيفية ما يكون في القبر، ولكن العقول لا تحيل ذلك، فوجب التسليم للنقل عند حيرة العقل.	تقديم العقل علىٰ النقل؛ لأن في تقديم النقل - عندهم - قدح في العقل، والقدح في العقل سيعود بالقدح في النقل. والنقل إن كان آحادًا ردوه، وإن كان قرآنًا أو متواترًا أولوه أو فوضوه.

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
النظرة إلى النقل	مليء بالأدلة العقلية، وما كان منه سمعي، فقد صدقه العقل بدلالة صدق النبي ﷺ في جميع أخباره.	خالي من الأدلة العقلية، فكله أدلة سمعية.
التقابل	ليس بينهما تقابل، فلا يقابل الدليل النقلي الدليل العقلي، بل كلاهما دليلان شرعيان، وإنما التقابل يكون بين الدليل الشرعي والدليل الباطل، فالدليل الباطل تارة يكون حديثًا موضوعًا وتارة يكون شبهات عقلية، وتارة يكون فهمًا خاطئًا للوحي.	بينهما تقابل، فيقابل الدليل العقلي الدليل النقلي؛ لأن الأدلة النقلية عندهم كلها سمعية، فهي أخبار مجردة عن الأدلة العقلية.
الاستقلال	الوحي الإلهي هو المقدم في تلقي العقيدة والشريعة، بما فيه من أدلة عقلية وسمعية، وأما عقول البشر فهي تابعة للوحي، غير مستقلة، وإن كانت تدرك كثيرًا مما جاء به الوحي من العقيدة والشريعة.	يرون أن العقل حاكم ومستقل بإدراك كثير من أمور العقيدة، وبين المتكلمين خلاف في أمور الشريعة، كما هو معروف في مسألة التحسين والتقبيح العقليين في الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة يرون أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها والثواب والعقاب مترتب علىٰ إدراكه، والأشاعرة يرون أنه لا يدرك، وإنما عرفنا حسن الأشياء وقبحها بالشرع فحسب.

الواجب علينا تجاه الخبر الإلهي ستة أمور:

١- أن نتأكد أولا من صحة ثبوته؛ سندا ومتنا إذا كان حديثا. فلا نؤمن إلا بما صح ثبوته.

٢- أن نتأكد من صحة فهمنا لمعناه، بعرضه علىٰ فهم الصحابة وأئمة القرون الثلاثة المفضلة، فنؤمن بما صح معناه.

٣- أن نوقن بأن الخبر الإلهي الصحيح ثبوتا ومعنىٰ، لا يمكن أن يعارضه عقل صريح، والخبر الإلهي مشتمل علىٰ أدلة عقلية للمسائل التي تحتاج لذلك.

٤- فنؤمن بالخبر الإلهي بدون شك.

٥- ونؤمن بالخبر الإلهي بدون تقدم عليه بالآراء أو العلوم أو الفلسفات. ويكون هو الميزان لا الموزون.

٦- ونؤمن بالخبر الإلهي علىٰ مراد الله، دون إلحاد عن الحق فيه للباطل.

المبحث الأول: فرقة الجهمية

سبب التسمية والنشأة:

(١- فرقة الجهمية تنسب إلىٰ الجهم بن صفوان؛ الذي أظهرها وأشهرها، وأمَّا مؤسسها الحقيقي فهو: الجعد بن درهم، وقد ظهرت في أواخر عصر التابعين، وهم أول من عارض الوحي بالرأي، وكانوا قليلين مقموعين مذمومين عند الأئمة.

(٢- يعتبر الجعد أول من ابتدع تعطيل نصوص الصفات، وأول من نفىٰ عن الله الخُلة والكلام، وقال بخلق القرآن، فرفع العالم ميمون بن مهران أمره لهشام بن عبد الملك بعد ثبوت زندقته؛ فأمر هشام أميره خالد بن عبد الله القسري بقتله، بناءً علىٰ فتوىٰ ميمون بن مهران؛ فحبسه واستتابه، فلمّا لم يعد؛ قتله في يوم أضحىٰ لردته، بردِّه لآيات الله الصريحة، وثبوت الزندقة عليه.

(٣- تلقف الجهم بن صفوان مقالة الجعد بن درهم، فأشهرها؛ فأمر كذلك هشام بن عبد الملك بقتله؛ فقتله سلم بن أحوز، - وكان والي لهشام علىٰ مرو - لزندقته أيضًا.

أبرز عقائد الجهمية:

أ- **فهم في الإيمان:** غلاة الغلاة من المرجئة؛ فهم يرون أن الإيمان: هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، والكفر بالله: هو الجهل به.

والمعرفة عند الجهم: مجرد المعرفة القلبية، ولا يشترط أن يتبع ذلك شيئًا من أعمال القلوب؛ كالمحبة والتعظيم والخضوع والانقياد، فضلا عن أعمال الجوارح.

وعندهم أن المعرفة لا تتبعض، فهي شيء واحد لا تفاضل فيه، فالناس كلهم في الإيمان سواء.

ب- **وفي باب الأسماء والصفات**: ينفون عن الله جميع الأسماء والصفات الثابتة لله؛ ما عدا ما لا يصح إطلاقه على المخلوق عندهم، مثل: خالق، وقادر؛ بناءً على مذهبهم في القدر، وهو الجبر الخالص.

- وتنكر الجهمية: الصفات الذاتية؛ من الوجه واليد والعين، ونحو ذلك.
- وتنكر: صفة العلو، وصفة الاستواء على العرش.
- وتنكر: صفة الكلام، وأن الله كلم موسىٰ تكليمًا.
- وتقول: بأن القرآن مخلوق.

ج- **وفي باب الملائكة**: تؤمن بالملائكة، لكن تنكر أن يكون هناك المنكر والنكير، والكرام الكاتبين، وملك الموت.

د- **وفي باب اليوم الآخر**:

١- تنكر عذاب القبر ونعيمه.

٢- تنكر أن الجنة والنار مخلوقتان الآن.

٣- تقول بفناء الجنة والنار.

٤- تقول بفناء جنة آدم.

٥- تؤول الصراط والميزان.

٦- تنكر الشفاعة.

هـ- **وفي باب القضاء والقدر**: تقول بالجبر الخالص، وتنفي العلم السابق.

٤) - أثرت الجهمية تأثيرًا كبيرًا في الفِرق الكلامية بعدها؛ كالمعتزلة، والكلابية، والأشعرية، والماتريدية، رغم تبرئهم من الجعد والجهم، وتبرئهم من الجهمية؛ لسوء سمعة الجهم، وسوء مذهبه.

وكذلك كان لها تأثير كبير في مذهب الصوفية من أتباع وحدة الوجود؛ فمذهبهم في الصفات، وإنكار العلو، وإنكار الاستواء علىٰ العرش، والقول بأن الله بذاته في كل مكان؛ كان تمهيدًا لمذهب الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود.

سبب التسمية والمؤسس	النشأة وأبرز الأعلام	أبرز الانحرافات العقدية				معلومات متفرقة
		الإيمان	الأسماء والصفات	القدر	اليوم الآخر	
١- نسبة للجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ) الذي أظهرها وأشهرها. ٢- المؤسس هو الجعد بن درهم (ت١١٨هـ) أول من قال بالتعطيل في الإسلام.	- نشأت في القرن الأول الهجري على يد الجعد بن درهم، الذي قال بأن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، فضحى به القسري (خالد بن عبدالله) في يوم أضحى.	غلاة المرجئة الإيمان: مجرد المعرفة القلبية.	١- نفي جميع الأسماء والصفات ما عدا مالا يصح عندهم إطلاقه على المخلوق، فرارًا من التشبيه. ٢- القول بأنَّ الله في كل مكان. ٣- القول بأنَّ القرآن مخلوق.	١- نفي العلم السابق ٢- القول بالجبر.	القول بفناء الجنة والنار.	١- ذابت في بقية الفرق الكلامية الأخرى. ٢- ليس لهم كتب موجودة الآن. ٣- من الكتب عنهم: - الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد. - والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي. - مقالات الجهم بن صفوان وأثره في الفرق الإسلامية، د ياسر قاضي. - مقالة التعطيل والجعد بن درهم، د محمد بن خليفة التميمي.

المبحث الثاني: فرقة المعتزلة

سبب التسمية والنشأة:

سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم هو: اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين طرحت عليه مسألة الحكم علىٰ مرتكب الكبيرة؛ هل هو كافر أم مؤمن، فتقدم واصل علىٰ الحسن في الكلام، وقال: أمَّا أنا فأقول إنَّه لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين - أي: منزلة الإيمان ومنزلة الكفر -، ثم قام إلىٰ أسطوانة في آخر المسجد، وتبعه عمرو بن عبيد وآخرون، فجلس هناك يقرر مذهبه؛ فقال الحسن البصري: اعتزلنا واصل، اعتزلنا واصل؛ فسموا المعتزلة لذلك، وافتخروا هم بهذا اللقب؛ لأنهم يرون أنهم اعتزلوا الباطل.

فأهل السنة والجماعة يطلقون عليهم هذا اللقب: بسبب اعتزالهم قول المسلمين الحق في مرتكب الكبيرة.

وهم يفتخرون بهذا اللقب؛ لأنه معناه عندهم: اعتزال الباطل إلىٰ الحق.

وأمَّا من يذكر بأن المعتزلة سموا بذلك لاعتزالهم الناس وبقائهم في منازلهم ومساجدهم منشغلين بالعبادة والعلم، فهم الذين اعتزلوا الفتنة التي كانت بين الصحابة. أو هم الذين اعتزلوا الناس حين تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فهذا كلام مرفوض لا دليل عليه سوىٰ تزكية المعتزلة بأنهم امتداد لبعض الصحابة.

والصواب أنهم امتداد لفرقة القدرية في نفيهم القدر السابق، إلاَّ أنهم خالفوهم فأثبتوا العلم والكتابة، ووافقوهم في إنكار المشيئة والخلق.

أبرز أعلام الفرقة:

١) واصل بن عطاء:

أ- كان واصل بن عطاء غزَّالًا، ولذا لقب بهذا اللقب، وهذا الغالب علىٰ أئمة المعتزلة أنهم يتلقبون بمهنهم؛ كالعلاَّف والنظام والشحام والإسكافي.

ب- لقد حذر السلف من واصل أشدَّ التحذير، وقد ذكر الذهبي بأنه كان يُمتحن بأشياء في الرَّاء، لكونه ينطقها لامًا؛ فكان يتحيل علىٰ ذلك، فقيل له اقرأ أول سورة براءة، فقال: «عهد من الله ونبيه إلىٰ الذين عاهدتهم من الفاسقين، فسيحوا في البسيطة هلالين هلالين»؛ فهذا إن صح عنه فإنه يدل علىٰ جرأة عظيمة علىٰ كتاب الله تعالىٰ.

ج- لقد كان يتوقف في عدالة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعدالة عائشة وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويقول: «لو شهد عندي علي وعائشة وطلحة علىٰ باقة بقل لم أحكم بشاهدتهم»؛ فهذا الذي يجوز الفسق علىٰ هؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كيف يوصف بمحبة الإسلام، والدفاع عنه - كما يذكر بعض الكُتَّاب - نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

٢) عمرو بن عبيد:

أ- مولىٰ من الموالي، من أصل فارسي، رأس في الاعتزال، وتنسب إليه المعتزلة بقدر نسبتها لواصل بن عطاء.

ب- مما قال عنه ابن حبان: أنه كان يشتم أصحاب رسول الله ﷺ، ويكذب مع ذلك في الحديث تعمدًا لا وهمًا.

٣) أبو الهذيل العلّاف:

أ- أعظم المعتزلة فلسفة، وينسب إلىٰ مهنته جمع العلف وبيعه.

ب- يصفه ابن قتيبة: بالكذاب الأفاك.

ج- من فلسفته: القول بفناء الجنة والنار.

٤) النظّام:

أ- لقب بهذا اللقب لمهنته؛ وهي نظم الخرز في سوق البصرة.

ب- ذكر ابن قتيبة وابن حجر وغيرهما عنه: أنه كان يقع في أهل الحديث، ويطعن في الصحابة.

ج- وقد ذكر عنه أنه كان فاسقًا ملحدًا في الباطن.

د- من نظرياته:

- **نظرية الظهور والكمون**: ومفادها: بأن الله خلق العالم جميعه دفعة واحدة، ولم يتقدم خلق مخلوق علىٰ مخلوق آخر؛ لكن الله أكمن بعض الموجودات في بعض، فإذا جاء وقت ظهورها ظهرت.

- **نظرية الجزأ الذي لا يتجزأ**: أي: ما من جزء إلا وله جزء إلىٰ مالا نهاية.

- **نظرية الطفرة**: وهي إذا كانت الأجزاء تنقسم إلىٰ مالا نهاية، فكيف يمكن قطعها، فقال: بالطفرة؛ فالنملة عندما تمشي علىٰ صخرة فتقطعها من طرف إلىٰ طرف، فتكون بهذا قد قطعت مكانًا لا نهاية له، فأجاب: بأن

بعض ما قطعت كان بالمشي، وبعضها كان بالطفرة: أي الانتقال من مكان إلىٰ آخر من غير مضي بالأمكنة المتوسطة، وهذه هي طفرة النظَّام التي تذكر بأنها مما لا يعقل مع أحوال أبي هاشم وكسب الأشعري.

أبرز الانحرافات العقدية:

١- في التوحيد:

أ- التوحيد عندهم قائم علىٰ نفي الصفات عن الله تعالىٰ؛ فيثبتون الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، لأن في إثبات الصفات القول بتعدد القدماء، فالتوحيد - عندهم - لا يكون إلا بنفي الصفات القديمة فيقولون: بأن الله حي عليم قدير سميع بصير؛ لكن بلا حياة ولا علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر.

ب- ينكرون رؤية الله تعالىٰ يوم القيامة.

ج- يقولون بخلق القرآن.

٢- في القدر:

إثبات عدل الله تعالىٰ لا يكون - عندهم - إلاَّ بنفي خلق الله تعالىٰ لأفعال العباد، ومشيئته وإرادته لها؛ فالله منزه عن الظلم، ومن الظلم - عندهم - أن يريد الله ما يصدر من العباد من أفعال الشرور والقبائح، وهو قد أمرهم بخلاف ذلك.

وهذا كله بسبب عدم تفريقهم بين الإرادة الشرعية والكونية؛ فالله أراد أن يكون في كونه الخير والشر والحسن والقبيح، ابتلاء لعباده واختبارًا، وأراد أن يكون الخير والتوحيد شريعة لنا؛ فهذه إرادة شرعية محبوبة عند

الله، وأما الإرادة الكونية فلا يلزم منها المحبة والرضا، والعباد يفعلون باختيارهم وإرادتهم الخير أم الشر، والله ﷻ خالقهم وخالق أفعالهم بما خلق فيهم من القدرة والإرادة، فالعباد فاعلون باختيارهم وارادتهم، وأفعالهم تنسب إليهم، ويثابون ويعاقبون عليها، والله خالقهم وخالق أفعالهم؛ فتنسب أفعال العباد إلىٰ الله خلقًا وإيجادًا، وتنسب للعباد فعلًا واكتسابًا.

٣- في اليوم الآخر:

أ- الوعد عند المعتزلة: يرون أن الله واجب عليه عقلًا الوفاء بوعده الطائعين بالثواب؛ لأن الثواب حق لهم مقابل طاعاتهم.

مما لا شك فيه أن الله أكرم الأكرمين، وأصدق القائلين، وأعظم الوافين بوعدهم؛ فهو سبحانه وعد بالثواب للطائعين، وسيعطيهم ما وعدهم به ﷻ، لأنه أوجب علىٰ نفسه ذلك، لكن ليس استحقاقًا عقليًا، فإن الله سبحانه أعظم أن يوجب عليه أحد شيئًا، ولو عبد الإنسان ربه منذ أن خلقه إلىٰ أن يتوفاه ما أدىٰ نعمة واحدة من نعم الله، ولا أدىٰ نعمة البصر مثلًا.

ب- الوعيد عند المعتزلة: يرون أن الله واجب عليه عقلًا الوفاء بوعيده العصاة فيعاقبهم يوم القيامة، وأن من دخل النار منهم فلا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها، وأن من ارتكب كبيرة ومات عليها فقد أحبطت جميع أعماله الصالحة.

وهذا الكلام مرفوض؛ لأن الوعيد يختلف عن الوعد، فتخلف الوعيد كرم ورحمة لا مذمة فيه، ولأن الله توعدهم، ووعد بالمغفرة من شاء، ممَّن لم يشرك؛ فليس فيه إخلاف للوعيد لكونه مشروط بالمشيئة، فعصاة الموحدين تحت مشيئة الله؛ فمن شاء عذبه ومن شاء غفر له، ومن عذبه منهم

فإنه لا يخلد في النار، وليس في النصوص ما يدل علىٰ أن الكبيرة من محبطات الأعمال؛ بل دلت النصوص علىٰ بقاء مطلق الإيمان لمرتكب الكبيرة.

٤- في الإيمان:

يعتقد المعتزلة أن الإيمان قول وعمل، لكنه شيء واحد لا يتجزأ؛ فإذا ذهب بعضه ذهب كله، لذا فمن ارتكب كبيرة، فلا يصح - عندهم - أن يقال له مؤمن، ولا يقال له كافر، فقالوا: هو في منزلة بين المنزلتين، ويعامل في الدنيا معاملة المسلمين، أما في الآخرة فهو خالد في النار، وعذابه أخف من الكافر.

٥- في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ترىٰ المعتزلة أن هذا الأصل من فروض الكفايات، وأن المعروف يتفاضل؛ فمنه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب، بخلاف المنكر، ويدرجون ضمن المنكر مخالفتهم في الاعتقاد، ويرون وجوب إنكار المنكر متدرجًا من الأسهل إلىٰ الأصعب؛ وهو استخدام السيف حتىٰ لغير الولاة في مثل: شرب الخمر والسرقة والزنا ونحو ذلك، بخلاف إقامة الحدود وسد الثغور؛ فهذا من اختصاص ولاة الأمر.

معلومات متفرقة عن المعتزلة:

١- لا يوجد في عصرنا الحاضر فرقة تسمىٰ بالمعتزلة؛ فقد ذاب كيانها منذ القرن السادس الهجري تقريبًا، وانتشرت عقائدها في فرق أخرىٰ: كالزيدية والرافضة والخوارج والإباضية.

٢- توجد اتجاهات في عصرنا الحاضر تحمل فكر المعتزلة، وتدعو

إلىٰ إحيائه، ونشر كتبه، وتصف نفسها بالعصرانية، والعقلانية، والتنوير والتجديد والتحرير؛ ونحو ذلك.

سبب التسمية والمؤسس	النشأة وأبرز الأعلام	أبرز الانحرافات العقدية: الإيمان	الأسماء والصفات	القدر	اليوم الآخر	معلومات متفرقة
سبب اعتزال واصل بن عطاء (ت131هـ) مجلس الحسن البصري لمخالفته إياه في حكم مرتكب الكبيرة واصل بن عطاء هو مؤسس فرقة المعتزلة	- نشأت في القرن الثاني الهجري، تقول بالمنزلة بين المنزلتين في حق مرتكب الكبيرة أي: لا مؤمن ولا كافر بل فاسق، وفي الآخرة مخلد في النار. - أبرز الأعلام: عمرو بن عبيد والنظّام والعلاّف والمريسي.	١- قول وعمل لكن حقيقة مفردة فإذا ذهب بعضه ذهب كله. ٢- مرتكب الكبيرة في الدنيا لا مؤمن ولا كافر وفي الآخرة مخلد في النار.	١- نفي الصفات مع إثبات الأسماء. ٢- القول بخلق القرآن. ٣- نفي رؤية الله مطلقًا.	١- إثبات العلم والكتابة ونفي المشيئة والخلق. ٢- القول بأن الإنسان خالق لفعله.	١- نفي الشفاعة عن مرتكبي الكبائر في الآخرة ٢- تأويل الصراط والميزان	١- استقر أمرهم علىٰ خمسة أصول، من لم يقل بها فليس بمعتزلي: أ- التوحيد = نفي الصفات. ب- العدل = نفي القدر. ج- الوعد والوعيد = نفي الشفاعة عن أهل الكبائر. د- المنزلة بين المنزلتين. هـ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الخروج علىٰ الولاة الحق بالسيف إذا جاروا. ٢- من أبرز كتبهم: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ٣- ذابت في الشيعة والزيدية والأباضية، وأخذ العصرانيون بكثير من أصولهم العقلية وكذلك الأشاعرة.

المبحث الثالث: فرقة الكُلَّابية

سبب التسمية والنشأة:

تنسب فرقة الكُلَّابية إلىٰ عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، المتوفىٰ بعد عام ٢٤٠هـ، فهو ابن كُلَّاب نسبة لجده، ويُلقب أيضًا بالكُلَّاب؛ لقوته في المناظرة، فكان يجر خصمه إلىٰ نفسه ببيانه وبلاغته، فلقبت هذه الفرقة المتابعة له بالكُلَّابية نسبة إليه، وقد نشأت مخالفة للمعتزلة في نفي الصفات؛ فأثبتت البعض دون البعض.

سبب التسمية والمؤسس	النشأة وأبرز الأعلام	أبرز الانحرافات العقدية				معلومات متفرقة
		الإيمان	الأسماء والصفات	القدر	اليوم الآخر	
نسبة إلى «ابن كُلَّاب» عبدالله بن سعيد القطان (٢٤٠هـ) وهو مؤسس فرقة الكلابية.	- نشأت مخالفة للمعتزلة في نفيها جميع الصفات في القرن الثالث الهجري، وقالت بنفي الصفات الفعلية فحسب. - أبرز الأعلام: الحارث المحاسبي وأبو العباس القلانسي.	يخرجون العمل عن مسمىٰ الإيمان. ويقولون: قول باللسان وتصديق بالقلب. ومرتكب الكبيرة: مؤمن في الدنيا، وتحت المشيئة في الآخرة.	١- إثبات الأسماء. ٢- نفي الصفات الفعلية والاختيارية فرارًا من القول بحلول الحوادث بذات الله. ٣- نفي خلق القرآن، والقول بالكلام النفسي، وأن القرآن حكاية عن كلام الله.	إثبات القدر	منهج أهل السنة والجماعة	١- ذابت في الأشاعرة والماتريدية. ٢- من الكتب عنهم آراء الكلابية العقدية هدىٰ الشلالي.

أبرز الأعلام:

(١) عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب:

أ- يعتبر ابن كُلَّاب المؤسس الحقيقي لفرقة الكُلَّابية، ومن تلاها من الأشعرية والماتريدية.

ب- وقد وصفه ابن تيمية: بأنَّه أكثر مخالفة لجهم، وأقرب إلىٰ السلف من أبي الحسن الأشعري.

ج- ليس صحيحًا وصفه بالفساد في الباطن، وأنه كان علىٰ النصرانية، أو أنه أظهر الإسلام لإفساده.

أبرز الانحرافات العقدية:

١- في الأسماء والصفات:

يثبتون الأسماء وبعض الصفات دون الصفات الاختيارية؛ منعًا لقيام الحوادث بذات الله، ويجعلون ما يثبتونه من الصفات الفعلية؛ كالمحبة والإرادة من صفات الذات لا من صفات الفعل، فمن أحبه الله فهو محبوب عنده؛ لأن الله علم أنه سيموت مؤمنًا، ولو كان أكثر عمره كان كافرًا.

وكذلك يثبتون صفة الاستواء علىٰ العرش؛ لكن علىٰ أنها صفة قديمة لا تتعلق بمشيئته وقدرته، وإنما بمعنىٰ العلو والفوقية.

ومعتقدهم في صفة الكلام لله تعالىٰ: لا يثبتونها كما يثبتها أهل السنة والجماعة، وإنَّما بمعنىٰ «الكلام النفسي»، بلا حرف ولا صوت، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته؛ بل كلامه كله قديم، لا ينقسم ولا يتجزأ، وهو معنىٰ واحد قائم بذات الله؛ فإنه عُبِّر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عُبِّر عنه بالعبرية كان توراة.

ومعتقدهم في القرآن: أنه كلام الله، قديم، غير مخلوق، لكن المتلو العربي، عبارة عن كلام الله.

٢- في الإيمان:

منهجهم فيه: القول بأن الإيمان عبارة عن: إقرار باللسان وتصديق

بالقلب، ومرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، وهو تحت مشيئة الله يوم القيامة.

٣- في القضاء والقدر:

يقول ابن كُلَّاب في القضاء والقدر بقول أهل السنة والجماعة؛ ولم يثبت عنه ما يخالف ذلك، ولم يثبت عنه أنه كان يقول بالكسب الأشعري.

المبحث الرابع: فرقة الأشعرية

سبب التسمية والنشأة:

١- تنسب الأشعرية إلىٰ أبي الحسن الأشعري (المتوفىٰ عام ٣٣٠هـ)، بعد خروجه من المذهب المعتزلي، واعتناقه مذهب ابن كُلَّاب.

٢- نشأت هذه الفرقة في القرن الرابع الهجري، مضادة للمذهب المعتزلي في نفي صفات الله جميعها؛ فأثبتت بعض الصفات ونفت البعض الآخر، وهي الصفات الاختيارية؛ بدعوىٰ مخالفتها للعقل الذي ينفي حلول الحوادث بذات الله تعالىٰ.

أبرز الأعلام:

أبو الحسن الأشعري (المتوفىٰ ٣٣٠هـ):

وهو علي بن إسماعيل بن أبي بشر؛ الذي ينتهي نسبه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو مؤسس هذه الفرقة، ولد عام (٢٦٠هـ)، وكانت وفاته علىٰ الراجح (٣٣٠هـ).

وقد مرَّ أبو الحسن بثلاثة أطوار فكرية في حياته:

- **الطور الأول: مرحلة الاعتزال**؛ وقد بقي في هذا الطور مدة طويلة من عمره، وقد تتلمذ فيها علىٰ زوج أمه، أبو علي الجبائي المعتزلي.

- **الطور الثاني: المرحلة الكُلَّابية**؛ وهي المرحلة التي خرج فيها عن

الاعتزال، واعتنق أراء ابن كُلَّاب؛ وأضاف إليها القول بالكسب، وهذه هي المرحلة التي ينتسب إليه الأشاعرة فيها.

- **الطور الثالث: المرحلة السلفية**؛ وفي هذه المرحلة ألَّف كتاب «الإبانة على أصول الديانة»، وأعلن أنه يقول بما يقوله إمام أهل السنة والجماعة؛ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن مع هذا فقد بقيت عليه بقايا من مذهب المعتزلة ومذهب الكُلَّابية؛ وذلك لضعف معرفته بمذهب أهل السنة والجماعة تفصيلا، وإتقانه لمذهب المتكلمين.

أبرز الانحرافات العقدية:

(١) في التوحيد:

أ- جمهور الأشاعرة يفسرون التوحيد بالربوبية والأسماء والصفات؛ على ملحوظات عليهم في ذلك، دون توحيد الألوهية؛ لذلك دخل فيهم التصوف، وتعظيم قبور الموتى؛ بالبناء عليها، والصلاة عندها، والاستغاثة بهم.

ب- نفي جميع الصفات الفعلية؛ بدعوى مخالفتها للعقل، الذي ينكر قيام الحوادث بذات الله تعالى.

ج- القول بأن القرآن عبارة عن كلام الله؛ لأنهم يعتقدون أن كلام الله نفسي، غير مسموع، ولا يكون بحرف ولا صوت.

سبب التسمية والمؤسس	النشأة وأبرز الأعلام	أبرز الانحرافات العقدية: الإيمان	الأسماء والصفات	القدر	اليوم الآخر	معلومات متفرقة
- نسبة إلىٰ «الأشعري» أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٣٣هـ)، كان معتزليًا ثم كلابيًا ثم سلفيًا مع بقايا اعتزال في كلامه. - وهو مؤسس فرقة الأشاعرة.	- نشأت في بداية القرن الرابع الهجري، موافقة للكلابية فيما جاءت به من إثبات بعض الصفات ونفي البعض الآخر. - أبرز الأعلام: الباقلاني والجويني والرازي والغزالي.	التصديق بالقلب ومرتكب الكبيرة مؤمن في الدنيا تحت المشيئة في الآخرة.	١- مثل الكلابية في الأسماء والصفات ٢- استقر رأيهم علىٰ إثبات سبع صفات: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. ٣- القول بالكلام النفسي، والقرآن عبارة عن كلام الله.	القول بالكسب وأن أعمال العباد والأسباب علامة علىٰ حصول أقدار الله وغير مؤثرة في حصول الفعل.	أقوالهم موافقة لأهل السنة والجماعة	١- لها وجود قوي في عصرنا الحاضر. ٢- لهم كتب كثيرة منها: الإنصاف للباقلاني والإرشاد للجويني.

(٢) في القضاء والقدر:

يثبت الأشاعرة مراتب القدر الأربعة، ويقولون بأن الله خالق أفعال العباد؛ لكنهم يخالفون أهل السنة والجماعة في مفهوم ذلك، وفي مفهوم

حقيقة الأسباب وأفعال العباد إنما هي مجرد علامات لحصول المقدر، لا تأثير حقيقي لها في ذلك.

(٣) في الإيمان:

جمهور الأشاعرة؛ علىٰ أن الإيمان إنما هو التصديق بالقلب فحسب.

معلومات عامة عن فرقة الأشعرية:

١- يزعم كثير من الأشعرية بأنهم أهل السُنة مع الماتريدية، وأحيانًا يدخلون معهم السلف؛ ووصفهم بذلك عليه عدة ملحوظات:

أ- يصح وصف الأشعرية بأنهم من أهل السنة والجماعة؛ إذا اختاروا ما في كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري، مع دعوتهم بترك الانتساب له؛ لما فيه من إيهام بأنهم علىٰ معتقده في المرحلة الكُلَّابية.

ب- يصح إدخالهم في وصف السنة دون ذكر الجماعة؛ إذا أريد بالسُنة ما يُقابل الرافضة، فكونهم يتثبتون خلافة من تقدم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فإنهم يسمون سُنة، بخلاف الرافضة الذين ينكرون ذلك.

ج- يصح أن يُقال عنهم أنهم أقرب الفرق الكلامية إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة.

د- يصح أن يُقال عنهم أنهم وافقوا أهل السنة والجماعة في مسائل عديدة؛ مثل: الإمامة، والصحابة، واليوم الآخر، وبعض الصفات؛ وهذا من أجل دعوتهم إلىٰ إتمام الموافقة في بقية المعتقدات.

هـ- لا يصح إطلاقًا أن يوصفوا بأنهم أهل السنة والجماعة؛ لمخالفتهم إيَّاهم في أصول عقدية؛ مثل: طريقة التلقي، ومفهوم التوحيد، وتوحيد الصفات، والإيمان، والقضاء والقدر.

المبحث الخامس: فرقة الماتريدية

سبب التسمية والنشأة:

١- سمِّيت الماتريدية بهذا الاسم نسبة إلىٰ مؤسسها: أبو المنصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، والماتريدية نسبة إلىٰ محلة تدعىٰ (ماتريد) قرب سمر قند.

٢- نشأة الماتريدية في القرن الرابع الهجري، مواكبة لنشأة المذهب الأشعري، وكان لها شهرة في بداية الأمر إلاَّ أنها أقل من شهرة المذهب الأشعري، حتىٰ قام سلاطين الدولة العثمانية بمناصرتها؛ فانتشرت في الأحناف الأعاجم في شرق الأرض وغربها.

أبرز الأعلام:

(١) **المؤسس: محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (المتوفىٰ عام ٣٣٣هـ)**؛ من أهم مؤلفاته:

أ- «كتاب التوحيد»؛ وهو أهم مصدر للتعرف علىٰ العقيدة الماتريدية.

ب- كتاب «تأويلات القرآن» أو «تأويلات أهل السنة»؛ وهو كتاب في التفسير.

أبرز الانحرافات العقدية:

١- في التوحيد:

التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ علىٰ

طريقة المتكلمين، ولا يتحدثون عن توحيد الألوهية إلا نادرا؛ لذا فقد دخلهم التصوف.

وطريقتهم في إثبات الصفات كطريقة الكلابية؛ ينفون الصفات الفعلية، ويثبتون صفة الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، ويضيفون صفة ثامنة وهي صفة التكوين، ويأولون الصفات الفعلية المتعدية؛ كالإحياء والإماتة والتخليق بالتكوين.

تعطل الماتريدية: صفة الوجه واليدين، ويقولون بالكلام النفسي.

٢- في الإيمان:

بعض الماتريدية علىٰ مذهب مرجئة الفقهاء؛ بأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان، إلاَّ أن أكثرهم علىٰ أنه تصديق بالقلب فحسب، وهذا هو مذهب المؤسس وجمهور أتباعه، ويعدون مرتكب الكبيرة فاسقًا، إلا أنَّ فسقه غير مؤثر في إيمانه.

٣- في القضاء والقدر:

تثبت الماتريدية مراتب القدر الأربعة؛ موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة، وهم مع موافقتهم لأهل السنة والجماعة في القول بأن أفعال العباد مخلوقة لله، إلاَّ أنهم يثبتون للعبد إرادة غير مخلوقة هي مبدأ الفعل، والله يخلق أفعالهم تبعًا لإرادتهم غير المخلوقة؛ فخالفوا الحق في هذا الجانب، ولا يعني أن تكون إرادة العبد مخلوقة لله نفي الاختيار عن العبد، بل العبد يفعل بإرادته، والله خالقه وخالق إرادته.

الواقع الحالي:

تنتشر الماتريدية حاليًا في الهند وباكستان وأفغانستان، وتتبنىٰ المدارس الديوبندية، والندوية، والبريلوية، والكوثرية؛ المذهب الماتريدية، ويعتبر محمد زاهد الكوثري (المتوفىٰ ١٣٧١هـ) من أبرز أعلامهم؛ الذين كان لهم دور كبير في نشر المذهب الماتريدي في العصر الحاضر وتقريبه من المذهب الأشعري، وهو من أشد الماتريدية معاداة لمذهب أهل السنة والجماعة وأئمتهم، ويعد كثير من كتب أهل السنة والجماعة بأنها كتب وثنية وتجسيم وتشبيه.

سبب التسمية والمؤسس	النشأة وأبرز الأعلام	أبرز الانحرافات العقدية: الإيمان	الأسماء والصفات	القدر	اليوم الآخر	معلومات متفرقة
- نسبة إلىٰ الماتريدي محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (٣٣٣هـ). - وهو مؤسس هذه الفرقة.	- نشأت في القرن الرابع الهجري أيضًا موافقة للكلابية - أبرز الأعلام: أبو المعين النسفي والتفتازاني والمعاصر محمد زاهد الكوثري.	مثل الأشاعرة.	مثل الأشاعرة وأضافوا صفة التكوين: إخراج المعدوم من العدم إلىٰ الإيجاد وهذه صفة أزلية، يؤولون جميع الصفات الفعلية المتعدية إليها.	القول بالكسب	منهج أهل السنة والجماعة	١- لها وجود في الأعاجم الأحناف، في تركيا وأفغانستان وباكستان. ٢- من كتبهم: التوحيد للماتريدي. ٣- عنهم: الماتريدية لشمس الأفغاني. والماتريدية لأحمد الحربي. ومنهج الماتريدية لمحمد الخميس.

المبحث السادس: فرقة الكرّامية

سبب التسمية:

تنسب فرقة الكرامية إلىٰ محمد بن كرَّام، واشتهرت بقولها بأن الله جسم لا كالأجسام، وأن الإيمان هو التصديق باللسان، وأن المنافق مؤمن في الدنيا، مخلد في النار في الآخرة.

أبرز الأعلام:

محمد بن الهيصم؛ - شيخ الكرَّامية في زمانه - وإليه تنسب فرقة الهيصمية من الكرامية.

أبرز الانحرافات العقدية:

١- تقول الكرَّامية بأن الله جسم لا كالأجسام؛ وهذا القول مبتدع، وإن أرادوا به معنىٰ صحيحًا بأنه قائم بذاته.

٢- تثبت الكرَّامية صفة الاستواء علىٰ العرش لله تعالىٰ، ولكنهم وقعوا في التكييف؛ تارة بذكر المماسة والملاقاة، وتارة بالقول بالبعد المتناهي والبعد اللا متناهي عند بعضهم، والواجب الاقتصار علىٰ إثبات الاستواء من غير تمثيل أو تكييف.

٣- تثبت الكرَّامية صفات الله الذاتية بدون تمثيل.

٤- اضطربت الكرَّامية في إثبات صفات الله الفعلية؛ فقد جمعوا بين النصوص وبين علم الكلام؛ فأثبتوا الصفات الفعلية بناءً علىٰ النصوص،

وقالوا بأن جنس الصفات الفعلية حادث في ذات الله؛ فالله تعالىٰ - عندهم - كان جسمًا خاليًا من الحوادث - لا كبقية الأجسام -، ثم حدثت فيه بقدرته القديمة الصفات الفعلية؛ من الخلق والرزق والإنعام والرحمة.

٥- تقول الكرَّامية - بناءً علىٰ مذهبهم المضطرب في صفات الله الفعلية - بأنَّ الله صار متكلمًا بعد أن لم يكن، ويسمون صفة الكلام بالقول، ويمنعون تجدد آحاد القول؛ منعًا لتعاقب الحوادث في ذات الله.

٦- للكرَّامية قول غريب في التفريق بين الرسول والمرسل؛ يقولون بأنَّ الرسول نبي ورسول قبل أن يوحىٰ إليه، وإذا أوحي إليه صار مُرسلًا، يعني: إضافة إلىٰ كونه رسولًا، فإذا مات لم يعد مُرسلًا، وبقي رسولًا فحسب.

٧- جمعت الكرَّامية في مسائل القدر بين موافقة الأشعرية بالقول بالكسب، وبين المعتزلة في القول بالتحسين والتقبيح العقليين، وترتيب الثواب والعقاب عليهما.

٨- قول الكرَّامية في الإيمان مبتدع وشاذ؛ فقالوا: بأنه الإقرار باللسان، دون القلب والجوارح، ويقولون بأن المنافقين مؤمنون في الدنيا علىٰ وجه الحقيقة، ولكنهم في الآخرة مخلدون في نار جهنم.

٩- تقول الكرَّامية بأنَّ الإمامة لا تثبت إلا بالإجماع، ويجوز عقد البيعة لإمامين في قطرين.

معلومات عامة عن فرقة الكرامية:

١- لا صلة البتة بين مذهب السلف - سواءً المتقدمين أو المتأخرين - وبين مذهب الكرَّامية في الصفات، فموافقة الكرَّامية للسلف في إثبات

الوارد؛ يُمدحون عليه، وإثباتهم لغير الوارد، أو الوقوع في التكييف والتمثيل؛ يُذمون عليه.

٢- لا صلة البتة بين شناعة الكرَّامية في التفريق بين الرسول والمُرسل، وبين مذهب السلف في عدم شدِّ الرحال لزيارة القبور عمومًا، ومنها قبر النبي ﷺ، وكل المسائل الممنوعة في الشرع: كدعاء النبي ﷺ، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة به بعد موته؛ إنما مُنعت لحكم الشرع، لا لاعتقاد زوال الرسالة عن رسولنا ﷺ بعد موته، فكل هذه التهم إنَّما من أجل التنفير عن المذهب الحق - والله المستعان -.

سبب التسمية والمؤسس	النشأة وأبرز الأعلام	أبرز الانحرافات العقدية				معلومات متفرقة
		الإيمان	الأسماء والصفات	القدر	اليوم الآخر	
نسبة إلىٰ محمد بن كرَّام. وكانت وفاته عام (٢٥٥هـ	١- نشأت بسبب محاولة محمد بن كرَّام؛ التوفيق بين علم الكلام وبين الأحاديث الموضوعة. ٢- أبرز الأعلام: محمد بن الهيصم؛ - شيخ الكرَّامية في زمانه - قرَّب مقالات الكرَّامية إلىٰ الأشعرية في باب الصفات.	الإيمان هو الإقرار باللسان. ويقولون بأن المنافقين مؤمنون في الدنيا علىٰ وجه الحقيقة، ولكنهم في الآخرة مخلدون في نار جهنم.	١- تقول بأن الله جسم لا كالأجسام. ٢- يثبتون صفة الاستواء علىٰ العرش لله تعالىٰ، ولكنهم وقعوا في التكييف. ٣- تقول بأنَّ الله صار متكلمًا بعد أن لم يكن.	لم يُذكر عنهم أقوال مخالفة لأهل السُنة والجماعة في مسائل القدر	لم يُذكر عنهم أقوال مخالفة لأهل السُنة والجماعة في مسائل القدر	لا وجود لهم في العصر الحاضر، واتهام السلف بأنهم متابعون لهم في الصفات قول باطل.

القسم الرابع
فرق التشيع، والفرق الباطنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فرق التشيع:

- **تمهيد**: تعريف التشيع ونشأته وتعداد فرقه.
- **المطلب الأول**: الشيعة الاثنا عشرية: النشأة والعقائد.
- **المطلب الثاني**: فِرقة الزيدية (أبرز العقائد - براءة زيد - فرق الزيدية).

المبحث الثاني: الفرق الباطنية:

- **المطلب الأول**: فرقة السبأية.
- **المطلب الثاني**: فرقة المختارية أو الكيسانية.
- **المطلب الثالث**: فرقة الخطابية.
- **المطلب الرابع**: فرقة الإسماعيلية.
- **المطلب الخامس**: فرقة النصيرية.
- **المطلب السادس**: فرقة الدروز.
- **المطلب السابع**: فرقة البابية.
- **المطلب الثامن**: فرقة البهائية.
- **المطلب التاسع**: فرقة القاديانية.
- **المطلب العاشر**: الفكر الباطني الحديث.

المبحث الأول
فرق التشيع

تمهيد: تعريف التشيع ونشأته وتعداد فرقه

أولًا: تعريف التشيع:

١- التشيع لقب عام، يختلف مدلوله بحسب الزمان والأعيان.

ففي العصر الأول أطلق التشيع علىٰ كل من يقدم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، وأمَّا بعد ذلك فصار هذا اللقب شعارًا، تتستر به كثير من الفرق، وتخفي تحته أنواعًا من العقائد الغالية.

وكانوا يعتبرون من زاد علىٰ مسألة التفضيل بطعن يذمونه فيصفونه بالغلو.

ففي العصر الأول أطلق التشيع علىٰ كل من يقدم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، وأمَّا فيما بعد فتحول لقب الشيعة من معناه اللغوي الدال علىٰ التفضيل والمناصرة إلىٰ معنىٰ اصطلاحي؛ فيه بعد عن المعنىٰ اللغوي.

فصارت الشيعة بالمعنىٰ الاصطلاحي تطلق علىٰ كل من يقول: بأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَّ عَلَىٰ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه الإمام بعده بلا فصل، لأنه أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ الإطلاق.

فالقول بتقديم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ في الفضل والخلافة، هو الجامع بين فرق التشيع، ثم تتميز كل فرقة فيما بعد بمعتقدات خاصة بها، فصار من يثبت خلافة الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يسمىٰ سنيًا، والمخالف شيعيًا(١).

---

(١) انظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٣/ ٣٥٦).

ومن أفضل من عرَّف الشيعة اصطلاحا: الشهرستاني فقد حددهم بقوله:

«الشيعة هم الذين شايعوا عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إمَّا جليًا وإمَّا خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولًا وفعلًا وعقدًا إلاَّ في حال التقية.

ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف: مقالة ومذهب وخبط»[١].

وهذا تعريف دقيق جدا فقد ذكر فيه عدة ضوابط لتعريف التشيع الذي استقر عليه وهي:

١- الاعتقاد بأن الإمامة ركن من أركان العقيدة، لا يصح إيمان الإنسان إلا بالإيمان بها.

٢- الاعتقاد بأن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، تكون بالنص والتعيين عليه من قبل الله، ليست بالاكتساب ولا باختيار الناس؛ وهذا التعيين يرونه واجبا وجوبا عقليا على الله، ومن ثم على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٤٦)، وانظر تعريفات أخرى ومناقشتها: الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير (١٣ - ٤٤).

٣- الاعتقاد بحصر الإمامة في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي ذريته من بعده.

٤- الاعتقاد بعصمة الإمام.

٥- الاعتقاد بجواز التقية للإمام.

٦- الاعتقاد بوجوب عقد الولاء والبراء على هذا المعتقد، وإعلانه والعمل به.

ولا شك أن معتقد الشيعة يدور حول ما ذكر، وأما بقية معتقداتهم في التوحيد والقرآن والصحابة والسنة النبوية وغيرها فهي لوازم وتوابع لمعتقدهم في الإمامة والإمام.

ثانيًا: تحديد نشأة الشيعة:

ترتبط بداية التشيع بالمعنى الاصطلاحي بشخصية عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي ظهر في أواخر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن مصطلح الشيعة ظهرت أصوله في تلك الفترة مرتبطة به؛ فهو أول من قال بأنَّ الخلافة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثابتة له بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا فصل بالنص والتعيين، وهذه العقيدة هي أعظم مميز لفرقة الشيعة عن غيرها من الفرق، ولهذا يترجح القول بأن بداية الشيعة اصطلاحا كانت بظهور ابن سبأ، وانتظمت في جماعة ذات قيادة وقوة بعد مقتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بظهور حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ثم تفرقت فيما بعد بحسب عقائدها المختلفة، ودخل علم الكلام للفرقة الإمامية في عهد القول بإمامة جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهناك من الباحثين من يرى أن واقعة كربلاء شكّلت نقطة تحوّل مهمة في التاريخ الشيعي، إذ تحوَّل التشيّع من اتجاه سياسي إلى عقيدة

دينية راسخة وتحوّل الشيعة من مجرّد أنصار لآل البيت لا تجمعهم عقيدة مميّزة ولا تنظيم حزبي إلىٰ فرقة لها تنظيمها الهرمي وعقيدتها الكلامية التي تميّزها عن جمهور المسلمين.

إذن يمكننا القول: بأن بداية التشيع الاصطلاحي ارتبط بظهور عبد الله بن سبأ، وأما الانتظام الحزبي فقد كان بظهور المختار بن أبي عبيد الثقفي.[1]

ثالثًا: تعداد فرق الشيعة:

١- يقسم أبو الحسن الأشعري الشيعة إلىٰ ثلاثة أصناف: غالية، ورافضة، وزيدية[2].

وهو تقسيم رائع لفرق الشيعة، وهو المعمول به عند كثير من دارسي الفرق، إلا إنه يوهم براءة الرافضة والزيدية من الغلو؛ وفي الحقيقة فإن لقب التشيع بالمعنىٰ الاصطلاحي يطلق علىٰ فرق كلِّها غالية، ويدخل في ذلك الزيدية والرافضة، والباطنية بلا شك هم غلاة الغلاة.

(١) انظر: مروج الذهب (١/ ٣٨٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٦، ٨٨، ١٣٦).

المطلب الأول: الشيعة الاثنا عشرية: النشأة والعقائد

تحديد نشأة الشيعة الاثنا عشرية:

١- من ينظر إلىٰ الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من ناحية الاسم، فسيحكم عليها بأنها نشأت متأخرة، عام ٢٦٠هـ؛ حيث ظهر هذا الاسم بعد وفاة الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عندهم، والقول بإمامة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، الذي ولد عام ٢٥٥هـ أو ٢٥٦هـ، وهو المهدي المنتظر، وآخر الأئمة عندهم، ومن هنا سميت بالشيعة الاثنا عشرية.

ومن ينظر إليها من ناحية العقائد الأساسية في الإمامة والإمام فيحكم عليها بأنها هي الشيعة التي نشأت بظهور ابن سبأ، وانتظمت بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاعلة الإمامة في ابنه علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ، وحصرها في ذريته من بعده، وليس هناك فرق سوىٰ إضافة اسم جديد لها، بسبب قولها بانقطاع الإمامة عند الإمام الثاني عشر، فكما أطلق عليهم الشيعة، ثم أطلق عليهم الشيعة الإمامية، ثم أطلق عليهم الرافضة، فكذلك أطلق عليهم الشيعة الاثنا عشرية، أو الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، فكلها أسماء لفرقة واحدة.

فالقول بأن الشيعة الاثنا عشرية نشأت بعد اختفاء الإمام الثاني عشر، صحيح من ناحية اللقب، فلا شك أن الشيعة الإمامية لم يطلق عليها هذا الاسم إلا بعد القول بأن الإمام الثاني عشر هو آخر الأئمة، ولم تكن لديهم هذه العقيدة من قبل - أي: عقيدة حصر الأئمة في اثني عشر إماما -؛ ولذلك فلم يطلق عليهم هذا اللقب إلاَّ في وقت متأخر، لكن عقائدها الأساسية

في الإمامة والإمام ظهرت على الراجح في أواخر خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بظهور حركة السبأية، وأخذت ملامحها الواضحة على أيدي الشيعة الإمامية التي ظهرت في عهد القول بإمامة جعفر الصادق، ثم اكتملت صورتها النهائية على أيدي الشيعة المتأخرين من أئمة الشيعة الاثنا عشرية، ولذا فإن بعض كتاب الشيعة لا يسميها إلاَّ بالشيعة الإمامية فحسب.

وبهذا يتبين أن لقب الشيعة الاثنا عشرية أطلق على الشيعة الإمامية متأخرًا، ولكن لا فرق بينهما، فهما فرقة واحدة، مع إضافة اسم جديد لها لم يكن يطلق عليها من قبل.

٢- لقد حصل تطور عقدي للشيعة الإمامية الاثنا عشرية في باب الأسماء والصفات.

فقد انتشر فيهم التمثيل على يد هشام بن الحكم والجواليقي وشيطان الطاق[١].

وأما المرحلة الأخيرة للشيعة الاثنا عشرية فهي المرحلة المعتزلية، فتخلوا عن التمثيل والتجسيم، وقالوا بالتعطيل، وبأصول المعتزلة الأخرى.

لذا يمكننا أن نقول بأن الشيعة الإمامية لم يكن لها قضية في بداية نشأتها سوى الكلام عن الإمامة والإمام، وإذا اعتبرنا أن الهشامية كانت ممثلة للإمامية في مرحلة من المراحل، فنقول بأنها كانت في الصفات مجسمة ممثلة، ثم تركت ذلك في المرحلة الأخيرة متأثرة بالمعتزلة وقالت بالتعطيل، ولا يعني ذلك تخليها التام عنه، لكنه صار هو التوجه العام للفرقة، ثم أخذت ببعض أصول المعتزلة الأخرى، فهي ثلاث مراحل

(١) الفرق بين الفرق (٦٥).

بالنظر إلىٰ معتقدهم في الأسماء والصفات، والله أعلم.

المرحلة الأولىٰ: ليس لهم قول خاص في الصفات، وإنما الذي يعنيهم هو موضوع الإمامة.

المرحلة الثانية: القول بالتمثيل في الصفات.

المرحلة الثالثة: القول بالتعطيل.

يقول أبو الحسن الأشعري: «والفرقة السادسة من الرافضة: يزعمون أن ربهم ليس بجسم، ولا بصورة ولا يشبه الأشياء، ولا يتحرك ولا يسكن، ولا يماس، وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج. وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه»[(١)].

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٩).

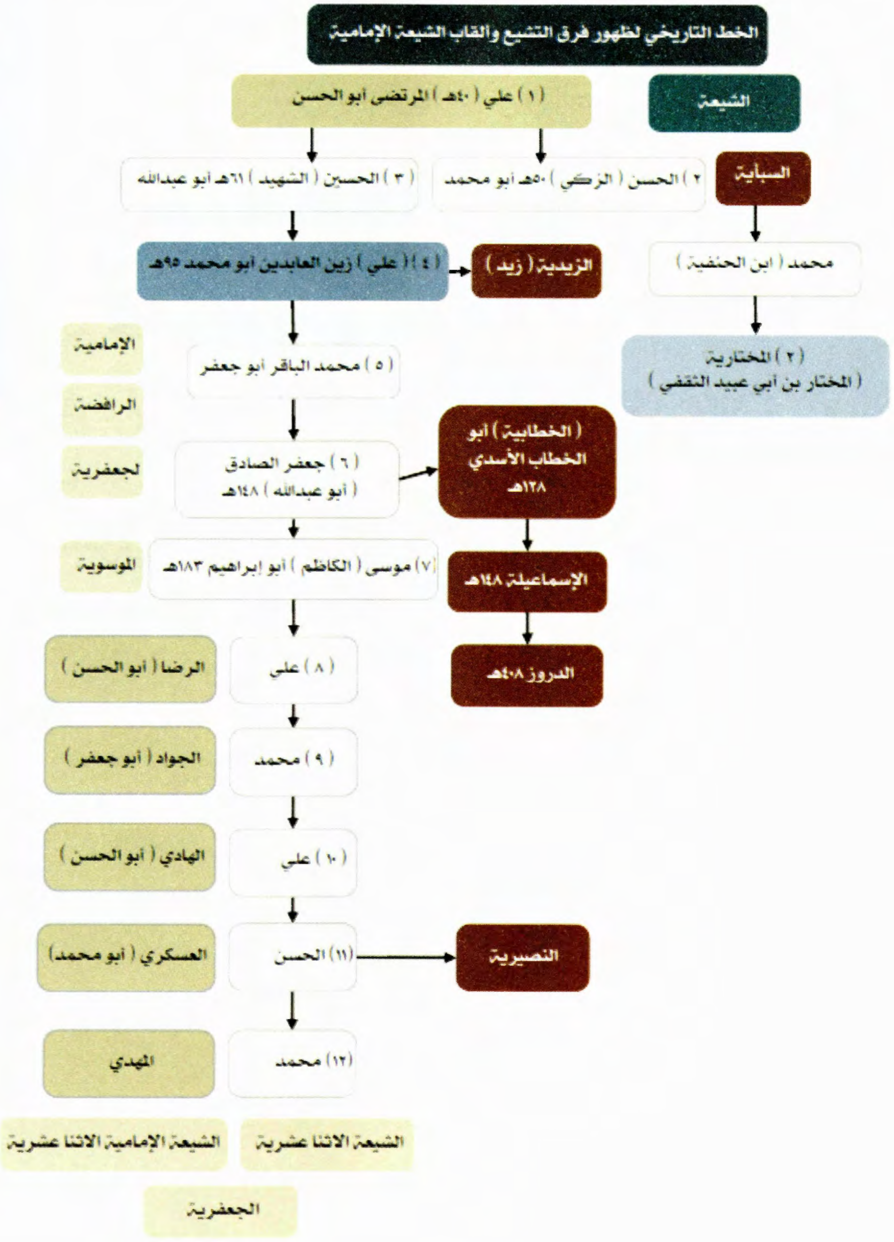
الخط التاريخي لظهور فرق التشيع وألقاب الشيعة الإمامية
الشيعة
(١) علي (٤٠هـ) المرتضى أبو الحسن
السبأية
٢) الحسن (الزكي) ٥٠هـ أبو محمد
(٣) الحسين (الشهيد) ٦١هـ أبو عبدالله
محمد (ابن الحنفية)
الزيدية (زيد)
(٤) (علي) زين العابدين أبو محمد ٩٥هـ
(٢) المختارية
(المختار بن أبي عبيد الثقفي)
الإمامية
الرافضة
لجعفرية
(٥) محمد الباقر أبو جعفر
(٦) جعفر الصادق
(أبو عبدالله) ١٤٨هـ
(الخطابية) أبو الخطاب الأسدي ١٢٨هـ
الموسوية
(٧) موسى (الكاظم) أبو إبراهيم ١٨٣هـ
الإسماعيلية ١٤٨هـ
الرضا (أبو الحسن)
(٨) علي
الدروز ٤٠٨هـ
الجواد (أبو جعفر)
(٩) محمد
الهادي (أبو الحسن)
(١٠) علي
العسكري (أبو محمد)
(١١) الحسن
النصيرية
المهدي
(١٢) محمد
الشيعة الإمامية الاثنا عشرية
الشيعة الاثنا عشرية
الجعفرية

أبرز عقائد فرقة الشيعة الاثنا عشرية:

أولًا: عقائد الشيعة الاثنا عشرية في الإمامة والإمام:

١- العقائد في الإمامة:

أ- تعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الإمامة منصب إلهي؛ كالنبوة، لا تكون إلا بالنص والتعيين الإلهيين، وليست بالشورى بين البشر، وأن النبي ﷺ قد نص نصًا جليًا على أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمام بعده.

هذا المعتقد في الإمامة هو الذي استطاع به الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الرافضة إضلال أتباعهم من العوام، وهو أصل جميع عقائدهم، ومع هذا هو أوضحها فسادا وبطلانا، ويكفي في رده أن تسأل أين هذا النص؟، وأن تسأل من أول من قال بهذا المقالة، فلا وجود للنص، وأول من قال بهذه المقالة هو: عبد الله بن سبأ في أواخر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال بأن الخليفة لا يكون إلا بالنص والتعيين، وأن النبي ﷺ قد نص على أن الإمام بعده هو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلا فصل.

ويقول ابن تيمية: «إن أول من ابتدع الرفض، والقول بالنص على علي وعصمته كان منافقًا زنديقًا أراد إفساد دين الإسلام»[(١)].

أضف إلى ذلك، أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يخبر الناس بهذا الأمر، فلم يقل لهم بأن هناك نص أو وصية تنص على أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل، وأن هذا أمر الله، فكيف يُخفي على الناس أمرًا عظيمًا كهذا، وكيف يخفى مثل هذا الأمر على جميع الصحابة - رضوان الله عليهم؟ - فهذا

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٦١).

يبطل القول بأن هناك نص وتعيين علىٰ من هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

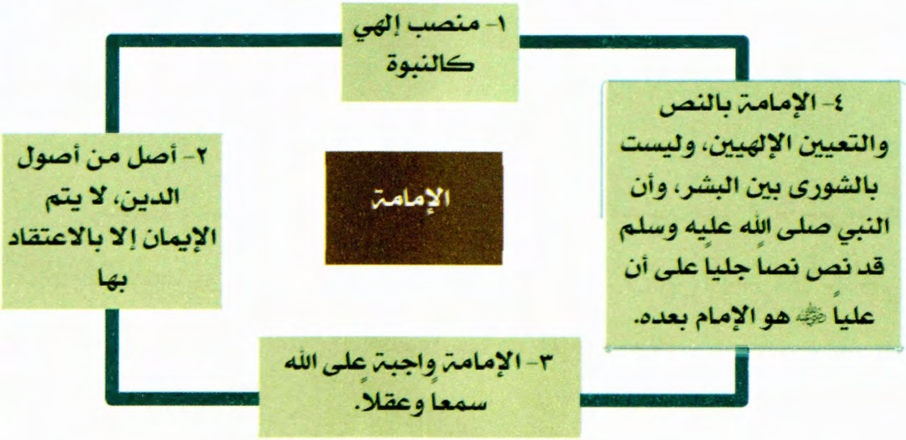

٢- العقائد في الإمام.

أبرز عقائد الشيعة في الإمام ما يلي:

أ- القول بعصمة الإمام.

يرون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، ويعتقدون وظائف للإمام لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، مثل كونه حافظ الشريعة، والقائم عليها، والمفسر لها، والمانع عنها التحريف والتزييف، وهو في الوقت ذاته لديه من الصفات العظيمة، كعلم الغيب، ومعرفة حقائق الأشياء ونحو ذلك، مما يجعله معصومًا عن الخطأ والزلل بالكلية.

وذكر د. ناصر القفاري، آثارًا سيئة لهذه العقيدة علىٰ الشيعة الاثنا عشرية إلىٰ اليوم ومنها:

- أنهم يعملون بما يؤثر عن الأئمة عندهم كما يعمل أهل السنة بالقرآن والسنة.
- وأنهم يغلون في قبورهم وأضرحتهم بسبب مغالاتهم في العصمة

حتىٰ وصفوهم بصفات لا تليق إلا بالله.

« وكذلك فهم يعتبرون مجتهديهم في العصر الحاضر لهم مكانة مثل مكانة الإمام، ولذلك فهم لا يردون عليهم أبدًا، ويطيعونهم طاعة مطلقة[1].

ب- القول بأن الإمام يعلم الغيب:

من عقائد الشيعة في الإمام: علم الغيب، فهي من لوازم قولهم بعصمة الإمام عن الخطأ، فكل ما يخبر به سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل كله حق وصدق، وذلك عن طريق الإلهام أو الرؤىٰ أو الكتب الخاصة أو حتىٰ مكالمة الملك له دون رؤية.

ولا تستحق هذه العقيدة عند الشيعة إلىٰ رد لوضوح بطلانها فهي مخالفة لنصوص الكتاب والسنة ولكلام علماء الأمة، ومنهم علي بن أبي طالب وذريته، في أنه لا يعلم الغيب إلا الله[2].

جـ- القول بأن للإمام سلطة تشريعية:

هذه العقيدة عند الشيعة من لوازم قولهم بعصمة الإمام، ومصادر العلم المتنوعة التي تمده به، فلا بد أن يكون كل ما يقوله تشريع لهم، وقياسه كله حق، فهو عندهم قائم مقام النبي.

ولا شك في بطلان هذه العقيدة، فالتشريع ملك لله وحده لا شريك، ومن خصائص ربوبيته، قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية (٨٠٠).

(٢) انظر: دراسة عن الفرق (٢٠٣).

ومن أطاع في تحليل ما حرمه الله، وتحريم ما أحله الله أحدًا من البشر معتقدًا حلَّ ذلك فقد أشرك في الألوهية إضافة إلىٰ الشرك في الربوبية.

يقول تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١].

ومع أن الشيعة تعتقد أن للأئمة حق التشريع، فهم يرون أن للأئمة حق كتمان بيان الحلال والحرام، بل حق إضلال الناس في إعطائهم غير الحقيقة، والناس يجب أن يكونوا عبيدًا للأئمة، يطيعونهم في جميع أقوالهم.

د- القول بأن للإمام سلطة كونية:

من عقائد الشيعة في الإمام أنه يتصرف في الأرض وفي السماء وفي أمور الدنيا وأمور الآخرة كيف يشاء، وذلك لأن الله أعطاه هذه السلطة.

هـ- الغيبة والرجعة للإمام الثاني عشر.

لقد نسج الشيعة الاثنا عشرية حول إمامهم الأخير أنواعًا من الخرافات والأساطير، رغم أن هناك من يثبت أن الحسن العسكري مات ولم يعقب ولدًا.

ولكن الشيعة ترىٰ أن الحسن العسكري قد تزوج سرًا بإحدىٰ الجواري، وهي مليكة حفيدة ملك الروم، بعد قصة خيالية غرامية، وفيها أن الرسول خطبها للحسن العسكري من المسيح ووصيه سمعون الذي تعتبر مليكة من نسله، فوهبها المسيح زوجة للحسن، وقد أنجبت له محمد المهدي[(١)].

وتعتقد الشيعة أنه غاب غيبة صغرىٰ بعد أيام من وفاة والده عام ٢٦٠هـ، وكان خلالها يلتقي بالوسطاء، ثم غاب الغيبة الكبرىٰ، عام ٣٢٩هـ، ولم

(١) انظر: عقائد الشيعة في الميزان (١٢٢ - ١٢٦).

يظهر إلىٰ اليوم وهم ينتظرون رجعته وظهوره مرة أخرىٰ، ويعتقدون أنه هو المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلًا ونورًا، بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا[1].

وقد حاول موسىٰ الموسوي في تصحيحه، أن يثبت الغيبة الصغرىٰ فحسب، وأنه مازال بالإمكان الاتصال مباشرة لبعض الأشخاص بالمهدي المختفي، ويعتبر القول بالغيبة الكبرىٰ مؤامرة لضرب الشيعة في عقائدها وعباداتها، من أجل ابتداع القول بولاية الفقيه، وأن له الطاعة المطلقة، ويعطىٰ الخمس، ويرىٰ القول بأن الولاية الروحية والخلافة السياسية منصب واحد قول وضع من أجل التفريق بين السنة والشيعة.

أو يكون التصحيح عنده بالاعتقاد بالغيبة الكبرىٰ دون أن تلحق بها أي شيء من البدع، وينتظر خروجه فحسب، ويكون للفقهاء حق الاجتهاد في الأحكام، وليس لهم خمس من أموال المسلمين، وليسوا في منصب إلهي؛ لأن المهدي المختفي لم يفقد سلطته بسبب غيبته[2].

(١) انظر: الشيعة والتصحيح. موسىٰ الموسوي (٦١).

(٢) انظر: المتآمرون علىٰ المسلمين الشيعة - من معاوية إلىٰ ولاة الفقه. وهذا الكتاب يوضح فكرة التصحيح عن الموسوي تمامًا. وانظر: الشيعة والتصحيح (٦١ - ٧٨).

ثانيًا: عقائد الشيعة الاثنا عشرية في الإيمان والتوحيد:

أ- عقيدة الشيعة الاثنا عشرية في الإيمان:

ذكر الأشعري عن جمهور الرافضة أنهم يزعمون: «أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسوله وبالإمام وبجميع ما جاء من عندهم، فأمَّا المعرفة بذلك فضرورة عندهم، فإذا أقر وعرف فهو مؤمن مسلم، وإذا أقر ولم يعرف فهو مسلم وليس بمؤمن»[(١)].

وذكر أنهم يرون وجوب معرفة الأئمة، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، واختلفوا في وجوب الشرائع، ففرقة أوجبتها، وفرقة ترىٰ أن معرفة الإمام تكفي عن الفرائض والشرائع.[(٢)] ومن هنا يتضح فكر الشيعة الحقيقي فهي تطمح في دين بلا شريعة، ويكون فيه إمكانية لتفريق المسلمين من داخل الإسلام.

٢- لا يقتصر الشيعة الاثنا عشرية علىٰ إدخال أصل مبتدع ضمن أصول الدين والعقيدة، بل يبالغون فيه حتىٰ يجعلونه أهم أصل وأهم ركن من أركان الدين والإيمان، وأن الإيمان به يغني عن العمل بشرائع الإسلام، ولذلك فإن الشيعة الاثنا عشرية مهدوا للفرق الغالية من القرامطة والإسماعيلية الطريق إلىٰ إسقاط التكاليف الشرعية.

٣- يرىٰ الشيعة الاثنا عشرية أن الإيمان بالإمام لا يتم إلاَّ بإظهار معاداة من عادىٰ الإمام، وهم من تقدموا عليه في الإمامة، ابتداء من أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن وافقهم علىٰ ذلك إلىٰ عصرنا الحاضر، فلذلك فإن من

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ١٢١، ١٢٢).

أصول دينهم سب الشيخين، وهذا من أفضل الأذكار عندهم، فهذا يشبه إلىٰ حد كبير الشهادة عند أهل السنة والجماعة، فإن إلا الله لا تصح حتىٰ يقول الإنسان قبلها إلا الله، فمن قال أنا أعبد الله، وتجوز عبادة غير الله، فإننا لا نحكم له بصحة إسلامه حتىٰ يبرأ إلىٰ الله من جميع ما عبد من دون الله، وهم عندهم لا ينفع أن تقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة بعد رسول الله ﷺ حتىٰ تبرأ إلىٰ الله من كل من تقدمه في الخلافة، وكما نحن عندنا من أفضل الأذكار هو قول لا إله إلا الله، فهم عندهم أفضل الأذكار سب الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولذلك يتعبدون الله سبحانه بعد كل صلاة بلعن الخلفاء الثلاثة وغيرهم من فضلاء الصحابة، وبعض أمهات المؤمنين - رضوان الله عليهم أجمعين.[1]

٤- لا أدري كيف يقنع الشيعة الاثنا عشرية أتباعهم بهذا الأصل المبتدع الذي لا أثر له في كلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا غيره من أئمة أهل البيت، ولا أحد من علماء الإسلام، فلو كان علي يعرف أن هذا الأمر لا يتم الإيمان إلا به فكيف لا يبينه للناس، ولا يقاتل من أجل إظهاره، وكيف يمكن أن يقبل لنفسه عقيدة ناقصة أو يقبلها لأهل الإسلام؟

ولا يمكن أن يقال بأنه سكت عن ذلك تقية، فشجاعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبطولاته لا يمكن أن تجعله يخاف من إظهار أصل من أعظم أصول الدين، من لم يعرفه فهو خالد في نار جهنم.

ب- عقيدة الشيعة الاثنا عشرية في التوحيد:

١- توحيد الربوبية:

توجد عقائد عند الشيعة الاثنا عشرية في الإمام تنقض توحيد الربوبية مثل:

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٣٠).

أ- اعتقادهم أن الإمام شريك لله في تدبير الكون.

لكنَّهم يجعلون هذه السلطة منحة منحهم الله إياها.

ب- أن الإمام له حق التشريع.

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية في الإمام أن له سلطة شرعية، فله حق التحليل والتحريم، ولكنهم يقولون بأن ذلك فيما لم يرد فيه نص، فلأنه لا اجتهاد ولا قياس، فإن الإمام المعصوم يحكم في تلك الجزئيات، وأمَّا نسخ الشريعة فليس لهم، بل هم حفاظ الشريعة، والقائمون عليها، وقد ذكر الأشعري أن هناك فرقة منهم ترىٰ جواز النسخ للأئمة(١).

ج- ادعاء علم الغيب للأئمة:

الإمام هو مصدر التشريع بعد القرآن والسنة المؤكدة عن طريق أهل البيت، فلا يقبل الشيعة إسنادًا إلاَّ عن طريقهم، فالإمام وارث العلم النبوي، وإنما يعلو علىٰ البشر باتصاله الدائم بالعلم الإلهي، ولم يصل إلىٰ هذا عن اكتساب واعتماد دليل، بل ينقدح العلم في نفسه انقداحًا(٢).

٢- توحيد الألوهية:

١- جعلت الشيعة معرفة الإمام شرطًا لقبول الله الأعمال الصالحة، والله عَزَّوَجَلَّ قد جعل شرط قبول العمل الصالح أن يكون خالصًا لوجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكل عمل مشروع متقبل عند الله بشرط الإخلاص.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٢٣).

وقد أولوا الآيات الآمرة بإفراد الله بالعبادة إلىٰ إفراد أئمتهم بالولاية، وجعلوا الشرك هو عدم الإقرار باختصاص أئمتهم بالولاية، واعتقاد أئمة معهم[1] وقد تقدم أنهم جعلوا الإمامة متممة للتوحيد، وجزءًا من الإيمان.

يقول النشار: «وإذا كان الإمام مصدر المعرفة ومصدر الوجود، فلا يقبل الله أعمال العباد إلاَّ بمعرفته»[2].

٢- ترىٰ الشيعة جواز الانتفاع بالأئمة حتىٰ في حال غيبتهم، ويكون ذلك بإنزال الحوائج بهم، والاستغاثة بهم عند الشدائد، لذلك فالشيعة تعتبر أول من أحدث الشرك وعبادة القبور في الأمة المحمدية.

٣- توحيد الأسماء والصفات:

أ- مسألة الجسمية:

١- هناك فرق بين الشيعة الإمامية المتقدمين والشيعة الإمامية (المتأخرين) الاثنا عشرية في مسألة الجسمية. فالشيعة الإمامية أصدق ممثل لها هو هشام بن الحكم وتلامذته، وهؤلاء كانوا مجسمة ممثلة، وأمَّا الشيعة بعد اختفاء الإمام الثاني عشر فقد توجهوا إلىٰ المعتزلة وأخذوا بأصل التوحيد عندهم، وهو القائم علىٰ نفي الصفات وإنكار الجسمية، وهؤلاء هم الشيعة الاثنا عشرية.

ب- مسألة الصفات.

١- إن المشهور عن هشام بن الحكم بأنه مشبه لله تعالىٰ هو وتلامذته.

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٤٣٧ - ٤٤٠).

(٢) نشأة الفكر (٢/ ٢٢٥).

٢- أمَّا متأخرو الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، فهؤلاء من القرن الرابع الهجري، أخذوا بأصل المعتزلة في التوحيد.

ثانيًا: عقائد الشيعة الاثنا عشرية في العدل:

ذكر شيخ الإسلام أن متقدمي الشيعة كانوا يثبتون القدر، وأما مذهب الاثنا عشرية في القدر فهو مذهب المعتزلة تمامًا.

يقول: «غالب الشيعة الأولىٰ كانوا مثبتين للقدر، وإنما ظهر إنكاره في متأخريهم كإنكار الصفات»[1].

ثالثًا: عقائد الشيعة الاثنا عشرية في الأنبياء:

مذهب متأخري الشيعة الإمامية في عصمة الأنبياء، يقولون بأنهم معصومون عن الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها، وأمَّا المتقدمون منهم فإنهم لا يقولون بعصمة الأنبياء، ويقولون بعصمة الأئمة.

٣- في نزول الوحي علىٰ الأئمة خلاف بين الشيعة، فبعضهم يجزم بذلك، وبعضهم يجزم بمنعه شرعًا، ويقول بجوازه عقلًا.

٤- من الشيعة الإمامية أيضًا من يرىٰ أن الأئمة أفضل من الأنبياء، ويؤكد ذلك أنهم يرونهم معصومين بخلاف الأنبياء.

٥- يرون أن الأئمة واجبة طاعتهم في كل ما يقولونه كالأنبياء.

رابعًا: عقائد الشيعة الاثنا عشرية في القرآن وسائر الكتب المنزلة:

١- مسألة القول بتحريف القرآن عند الشيعة الاثنا عشرية من المسائل التي لا يستطيع الإنسان الجزم بقولهم فيها، فتارة يقولون بالتحريف، وتارة

(١) منهاج السنة (٣/ ٩).

ينفون ذلك، وتارة يقولون بالتحريف بمعنىٰ النسخ، وتارة يقولونه بمعنىٰ حذف المعاني، وهكذا لا تجد لهم قولًا واحدًا صريحًا في هذه المسألة، ولعلَّ الراجح، أن نقول إن جمهور الشيعة الاثنا عشرية ينفون التحريف، وبعضهم يثبته، كما يثبت التحريف غلاة الشيعة.

وقد قام علماء الرافضة المعاصرون ببحوث عديدة، يثبتون فيها براءة الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من القول بتحريف القرآن.

ومن أهل السنة والجماعة، قام د. ناصر القفاري ببحث هذه المسألة، وقد خرج بالأمور التالية:

١- أن القول بتحريف القرآن نشأ عند الشيعة من القرن الثاني الهجري علىٰ أيدي غلاة الشيعة.

٢- أن أكثر كتب الشيعة المعتمدة قد روت هذا الكفر.

٣- أن لديهم روايات أخرىٰ تنفي هذا الباطل.

٤- أن هذه الأسطورة حملت بذاتها باطلها[(١)].

٥- أن بعضهم يعني بالقول بالتحريف تحريف القراءات أو التأويل ونحو ذلك فيقول: «فما دام هذه نهاية الذين أثاروا تلك العقائد الكفرية، فلماذا أثاروا تلك المفتريات وتناقلوها، والجواب واضح من خلال ما سبق أن عرضناه وهو إقناع قومهم وأتباعهم بصحة ما هم عليه من معتقدات، وأن آيات من القرآن قد حذفها الصحابة تشهد لمذهبهم، ولهذا لاحظنا أنهم أيضًا ادعوا نزول كتب إلهية غير القرآن، وفزعوا إلىٰ التفسير الباطني، كل ذلك لإثبات شذوذهم. فإذن تحولت تلك الدعاوىٰ إلىٰ مجرد محاولات

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية (١/ ٢٩٩ - ٣٠٣).

للتخلص من الإلزامات الواردة عليهم بخلو كتاب الله مما يثبت عقائدهم، ولكن تلك الروايات كان لها آثارها علىٰ فرق الشيعة، بل علىٰ الاثنا عشرية نفسها، فإن الإخباريين منهم يقدمون أخبارهم علىٰ كتاب الله كما سلف، حتىٰ أشيع بأن الاثنا عشرية لهم مصحف خاص بهم»[١].

٣- يؤمن الشيعة الاثنا عشرية بكتب سرية كالجفر وأشباهه.

فالشيعة تؤمن بأربعة جفار عند الأئمة عليهم السلام وهي: كتاب الجفر، والجفر الأبيض وهو وعاء من جلد شاة يحتوي علىٰ كتب مقدسة، والجفر الأحمر وهو وعاء من جلد شاة يحتوي علىٰ سلاح رسول الله، وجلد الثور وهو وعاء كبير يحتوي علىٰ الجفرين الأبيض والأحمر[٢].

٢- أن كتاب الجفر أملاه النبي علىٰ علي بن أبي طالب من الوحي الذي نزل عليه، فكتب علي في جلد شاة، بمداد ودواة نزلت به الملائكة من السماء، كل ما أملاه عليه من علم ما كان وما يكون إلىٰ يوم القيامة[٣].

٣- أن الجفر لم ينظر فيه إلا صاحب المنصب الإلهي نبيًا كان أو إمامًا؛ لأن فيه علومًا لا طاقة لغير نبي أو وصي علىٰ تحملها، وقد صيغ بطريقة رمزية لتتسع مساحة الجلد لتلك العلوم كلها[٤].

٤- أن الجفر الأبيض عبارة عن وعاء من جلد شاة، يحتوي علىٰ جملة من الكتب المقدسة وهي:

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية (١/ ٣٠١، ٣٠٢).

(٢) انظر: حقيقة الجفر عند الشيعة (٥٢، ٥٣).

(٣) انظر: حقيقة الجفر عند الشيعة (٥٧ – ٦٥).

(٤) انظر: حقيقة الجفر عند الشيعة (٦٩ – ٨٠).

أ- زبور داود.

ب- توراة موسىٰ.

جـ- إنجيل عيسىٰ.

د- صحف إبراهيم.

هـ- كتب الله الأولىٰ.

و- مصحف فاطمة.

ز- كتاب الجامعة. وفيه علم الحلال والحرام، وما يحتاج الناس فيه إلىٰ المعصومين[(١)].

٥- أن الجفر الأحمر يحتوي علىٰ سلاح تعود نسبته إلىٰ رسول الله، يفتحه الإمام المهدي للقتل، ولذا سمِّي بالأحمر رمزًا للدم، كما سمِّي الأبيض بذلك رمزًا للكف[(٢)].

٦- أن الجفر الرابع هو الجفر المفسر بجلد الثور، وهو عبارة عن وعاء كبير يحتوي الجفرين الأبيض والأحمر[(٣)].

وأما مصحف فاطمة عند الشيعة، فيعتقدون فيه ما يلي:

١- أنَّ مصحف فاطمة عبارة عن كتاب مجلد منسوب إلىٰ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليس قرآنًا، ولا يشتمل علىٰ أي آية من القرآن ولا علىٰ أحكام الحلال والحرام، وإنما يحتوي علىٰ مقام النبي الأعظم محمد، ومستقبل ذرية

(١) انظر: المرجع السابق (٨١ - ٩٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (٩٩ - ١٠١).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٠١).

الزهراء، وعلم الحوادث، وأسماء الأنبياء والأوصياء، وأسماء الملوك وآبائهم، ووصية كتبتها فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢- أن مصحف فاطمة، أملاه عليها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، تسلية لها بعد وفاة أبيها، وأن الذي كتبه هو علي بن أبي طالب الذي كان حاضرًا وقت الإملاء، ويبلغ حجمه مثل القرآن ثلاث مرات[١].

الشيعة يقعون في طوام عظيمة منها:

١- القول باستمرار نزول الوحي بعد رسول الله.

٢- القول بوجود كتب موحاة من الله تعالىٰ غير القرآن، أوحىٰ بها إلىٰ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكاتب الوحي هو علي بن أبي طالب.

٣- القول بأن هناك أمورًا لم يبلغها رسول الله للناس، واختص بها أهل بيته، والناس في أشد الحاجة إليها.

٤- القول بأن في تلك الكتب علومًا غيبية، وفيها أسماء الأئمة، وأخبار الحوادث، ولكن العجيب أنهم لم يستفيدوا منها في أمور حياتهم.

وغير ذلك من الطوام العظيمة، والتي يبرأ من القول بها أي مسلم فضلًا عن أن يكون من علماء أهل البيت، والذين تبرأوا في غير ما مناسبة من القول بأن لديهم كتبًا سرية، أو القول بأن الرسول أختصهم بشيء من الوحي، وإنما لديهم ما لدىٰ جميع المسلمين: كتاب الله وسنة نبيه.

---

(١) انظر: حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة (٤١ - ١١١).

الخلاصة:

١- التشيع لقب عام، يختلف مدلوله بحسب الزمان والأعيان، ففي العصر الأول أطلق التشيع على كل من يقدم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، وأمَّا بعد ذلك فصار هذا اللقب شعارًا، تتستر به كثير من الفرق، وتخفي تحته أنواعًا من العقائد الغالية، يطلق على كل من يقدم عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على سائر الصحابة في الفضل والإمامة بلا فصل، بالنص والتعيين.

٢- ترتبط بداية التشيع بالمعنىٰ الاصطلاحي بشخصية عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي ظهر في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، فإن مصطلح الشيعة ظهرت أصوله في تلك الفترة مرتبطة به؛ فهو أول من قال بأنَّ الخلافة لعلي رضي الله عنه ثابتة له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فصل بالنص والتعيين، وهذه العقيدة هي أعظم مميز لفرقة الشيعة عن غيرها من الفرق، ولهذا يترجح القول بأن بداية الشيعة اصطلاحا كانت بظهور ابن سبأ، وانتظمت في جماعة ذات قيادة وقوة بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه بظهور حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ثم تفرقت فيما بعد بحسب عقائدها المختلفة، ودخل علم الكلام للفرقة الإمامية في عهد القول بإمامة جعفر الصادق رحمه الله.

٣- عقائد الشيعة الاثنا عشرية الأساسية في الإمامة والإمام ظهرت علىٰ الراجح في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بظهور حركة السبأية، وأخذت ملامحها الواضحة علىٰ أيدي الشيعة الإمامية التي ظهرت في عهد القول بإمامة جعفر الصادق، ثم اكتملت صورتها النهائية علىٰ أيدي الشيعة المتأخرين من أئمة الشيعة الاثنا عشرية.

٤- ترىٰ الشيعة الاثنا عشرية أن الإمامة بالنص والتعيين الإلهيين، وليست بالشورىٰ بين البشر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نص نصًا جليًا علىٰ أن عليًا رضي الله عنه هو الإمام بعده.

٥- يعتقدون وظائف للإمام لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، مثل كونه حافظ الشريعة، والقائم عليها، والمفسر لها، والمانع عنها التحريف والتزييف، وهو في الوقت ذاته لديه من الصفات العظيمة، كعلم الغيب، ومعرفة حقائق الأشياء ونحو ذلك، مما يجعله معصومًا عن الخطأ والزلل بالكلية.

٦- يرون وجوب معرفة الأئمة، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، واختلفوا في وجوب الشرائع، ففرقة أوجبتها، وفرقة ترىٰ أن معرفة الإمام تكفي عن الفرائض والشرائع. ومن هنا يتضح فكر الشيعة الحقيقي فهي تطمح في دين بلا شريعة، ويكون فيه إمكانية لتفريق المسلمين من داخل الإسلام.

٧- يرىٰ الشيعة الاثنا عشرية أن الإيمان بالإمام لا يتم إلاَّ بإظهار معاداة من عادىٰ الإمام، وهم من تقدموا عليه في الإمامة، ابتداء من أبي بكر وعمر وعثمان، ومن وافقهم علىٰ ذلك إلىٰ عصرنا الحاضر، فلذلك فإن من أصول دينهم سب الشيخين، وهذا من أفضل الأذكار عندهم.

٨- ترتب علىٰ عقيدتهم في الإمامة والإمام انحرافات خطيرة في توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وفي الموقف من القرآن والسنة، والصحابة، وفي الموقف من الأنبياء، والعمل بشرائع الإسلام، وموالاة أعداء المسلمين، وبغض أهل الإسلام ومعاداتهم وحربهم.

المطلب الثاني: فِرقة الزيدية
(أبرز العقائد -براءة زيد- فرق الزيدية)

تمهيد: التعريف بفرقة الزيدية:

١- الزيدية فرقة من فرق الشيعة، تدور عقائدها الأساسية حول الإمامة والإمام، ثم أضافت إليها عقائدها في الأصول الخمسة المتعلقة بالتوحيد والعدل، والإيمان، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- سميت الزيدية بهذا الاسم نسبة إلىٰ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مقابل الشيعة الإمامية الرافضة، التي رفضت إمامته، لعدم رفضه لأبي بكر الصديق، ولعمر بن الخطاب، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

٣- توافق الزيدية الرافضة في سوق الإمامة حتىٰ الإمام الرابع علي بن الحسين، رَحِمَهُ اللهُ، ثم يحصل الافتراق، فالزيدية تعد الإمام الخامس هو زيد بن علي، رَحِمَهُ اللهُ، والرافضة لرفضهم زيد، تسوق الإمامة إلىٰ أخيه محمد بن علي، ومن هنا ظهرت عندنا فرقة الزيدية، وفرقة الرافضة.

٤- تختلف الزيدية عن الرافضة في القول بأن خلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنص الخفي لا الجلي، وبالقول بجواز خلافة من تقدم عليا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وبالقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وبالقول بأن الإمامة في البطنين: الحسن والحسين، لا بالوراثة، وإنما بالاستحقاق، وذلك بالخروج بالسيف علىٰ أئمة الجور.

٥- ترىٰ فرقة الزيدية بأنها الفرقة الناجية المقصودة في حديث

رسول الله ﷺ: «وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». فأضافوا عبارة مكذوبة وهي: قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم معتزلة الشيعة، وشيعة المعتزلة». ولذلك علماء الزيدية يصرحون بأن الفرقة الناجية هي: فرقة الزيدية[1].

٦- مصدر التلقي، ومنهج الاستدلال عند الزيدية هو المنهج الكلامي: فأكثر الزيدية متكلمة، أي يجعلون علم الكلام ميزانًا لما يقبل وما لا يقبل من الوحي الإلهي، ولا يرون الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة[2].

٧- يتابع الزيدية المعتزلة في القول بأن عقائدهم سندهم فيها إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.

أبرز عقائد فرقة الزيدية:

أولًا: عقائد الزيدية في الإمامة:

١- يقوم معتقد الزيدية في الإمامة علىٰ الأمور التالية:

أ- وجود نص خفي علىٰ أن الإمام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ب- علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو أفضل الصحابة علىٰ الإطلاق فهو عندهم أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ج- يرون صحة خلافة من تقدم عليا رضي الله عنه، لقولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل.

(١) انظر: الفرق الإسلامية، وأصولها الإيمانية، د. عبدالفتاح أحمد فؤاد (٢/ ٢٨٧).

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه (٢/ ٣٠٧، ٣٠٨).

د- يرون أن الخلافة محصورة في البطنين من أبناء فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: في الحسن والحسين، وفي ذريتهما من بعدهما.

ه- يشترطون في الإمام العدالة والخروج لدفع الظلم.

و- يخالفون الرافضة في معتقدهم في الإمامة بأنها منصب إلهي كالنبوة، وبالقول بالنص الجلي، وبقية المعتقدات الغالية المترتبة على هذا المعتقد، كالقول بتحريف القرآن، أو تأويله التأويل الباطني، للبحث عن النص الجلي، وكذلك تكفير الخلفاء وغيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكذلك القول: بعصمة الإمام، والتقية، والغيبة والرجعة، ونحو ذلك من معتقدات الرافضة في الإمام.

ثانيًا: عقائد الزيدية في التوحيد:

يمكن تلخيص مذهب الزيدية في التوحيد في الأمور التالية:

١- يثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ الأسماء وينفون الصفات، فنفي الصفات هو خلاف مذهب السلف.

٢- يقولون ان القران كلام الله وهو مخلوق محدث.

٣- يؤولون الصفات الخبرية ولا يثبتونها لله عَزَّ وَجَلَّ.

٤- لا يثبتون العرش والكرسي لله عَزَّ وَجَلَّ.

٥- ينفون رؤية المؤمنين لله عَزَّ وَجَلَّ.

فهذا معتقد الزيدية في التوحيد غايته نفي الصفات، كما تقوله المعتزلة، حذو القذة بالقذة، ولا يوجد فيه توحيد الألوهية، ولا تعظيم الله بإثبات أسمائه وصفاته، على الوجه اللائق به.

ثالثًا: عقائد الزيدية في العدل:

١- يريد الزيدية بهذا الأصل العقدي: أن الله عدل حكيم لا يفعل القبيح وأن كل أفعاله توصف بالعدل، وحقيقة العدل عندهم: هو الذي لا يفعل القبيح كالظلم والعبث والكذب وما أشبه ذلك ولا يخل بالواجب وأفعاله كلها حسنة.

وهم يرون أن قبح الأشياء يدرك بواسطة العقل لا بواسطة الشرع فالقبيح هو كون ذلك الشيء ظلمًا أو كذبًا أو مفسدة، وان قبح ما نهىٰ عنه الشرع هو كذلك عقلي كقبح الزنا وترك الصلاة وهو كونه مفسدة[1].

ويبني الزيدية علىٰ قاعدتهم السابقة وهي أن الله سبحانه لا يفعل القبيح يبنون عليها ان الله لا يكلف أحدًا من عباده ما لا يطيقه.

رابعًا: عقائد الزيدية في الوعد والوعيد:

١- لقد تابعت الزيدية أصل الوعد والوعيد عند المعتزلة، وهو يتضمن الأمرين التاليين:

١- أنَّ الله تعالىٰ واجب عليه عقلًا الوفاء بوعده للطائعين بالثواب؛ لأن الثواب حق لهم مقابل طاعاتهم.

٢- أنَّ الله تعالىٰ واجب عليه عقلًا الوفاء بوعيده للعصاة بالعقوبة، وأنَّ من دخل النار فإنه لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بعمل صالح؛ لأن الشفاعة لا تكون إلا لمن مات تائبًا؛ ولأن الأعمال الصالحة قد حبطت بالكبائر التي لم يتب منها.

---

(١) البحر الزخار (١/ ٥٩). نقلا عن رسالة الإمام زيد بن علي (٢٨٦).

فقالت الزيدية: يجب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يثيب المؤمنين متىٰ ماتوا علىٰ إيمانهم، وواجب علىٰ الله إدخالهم الجنة وتخليدهم فيها.

وقالت: يجب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يعاقب الكفار والعصاة متىٰ كانوا مصرين علىٰ كفرهم، ووجب علىٰ الله إدخالهم النار وتخليدهم فيها(١).

ويرون أن صاحب الكبيرة مخلد في النار متىٰ مات علىٰ معصيته من غير توبة(٢)، ويسمونه فاسقًا، وحقيقة الفاسق عندهم هو فاعل الكبيرة الذي يستحق دوام العذاب والعقاب، فإنه مات مصرًا علىٰ فسقه فلذا يرون بأنه يدخل النار ويخلد فيها خلودًا دائمًا، وهم يستدلون علىٰ أن صاحب الكبيرة مخلد في النار بأدلة كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

والزيدية تنكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، إن لم يتوبوا، ولكنهم لا ينكرون الشفاعة أصلًا بل يثبتونها للمؤمنين، حيث أن الرسول ﷺ يشفع للمؤمنين لتزداد مكانتهم عند الله وليزداد سرورهم ويثبتونها أيضًا لأهل الكبائر الذين تابوا من المؤمنين.

خامسًا: عقائد الزيدية في المنزلة بين المنزلتين:

الزيدية - كما تقدم في المطلب السابق - تحكم علىٰ مرتكب الكبيرة بالخلود في النار، وتنكر شفاعته ﷺ لهم وهم يرون أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ولهم حكم بين الحكمين، فهم ليسوا كفارًا ولا

(١) رسائل العدل والتوحيد (٧٢)، الوعد والوعيد للقاسم الرسي نقلاً عن تاريخ الفرقة الزيدية (٣٢٧).

(٢) رسائل العدل والتوحيد (٧٣)، الفرق بين الفرق (٣٤)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٩).

مؤمنين، فهم ليسوا كفارًا كما يقول الخوارج، وذلك لأنهم يدفنون في مقابر المسلمين وتجوز مناكحتهم ولقوله تعالىٰ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾، والعطف يقتضي التغاير، وليس مرتكب الكبيرة منافقًا أيضًا، لأن إجماع الصحابة علىٰ أن المنافق من أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ولا يسمىٰ كافر نعمة وذلك لأن الشكر الاعتراف مع التعظيم والفسق لا ينافيه، وليسوا مؤمنين أن المؤمن يجب مدحه وتعظيمه، وأما هؤلاء فلا يجوز مدحهم ولا تعظيمهم ولأن مرتكب الكبيرة قد غلب عليه اسم الفسق والفجور والظلم والعدوان والضلال.

سادسًا: عقائد الزيدية في الأ

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الأصول المعتمدة عند الزيدية فهم يرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علىٰ كل مكلف متىٰ قدر علىٰ ذلك.

وقد وقعوا في خطأين في قولهم بجواز الخروج وقيامهم بذلك فعلًا، الخطأ الأول: أنهم يعتقدون آراء هي خاطئة، ويدعون إليها ويقاتلون الناس عليها، بل يكفرون من خالفهم. والخطأ الثاني: في قتالهم لمخالفيهم.

براءة الإمام زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من البدع:

أولًا: براءة زيد بن علي من الرافضة:

١- الإمام زيد هو: أبو الحسين؛ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، اختلف في سنة ولادته؛ فقيل: سنة (٧٥هـ)، وقيل: (٨٠هـ)، وقد رجَّح الأول مؤلف كتاب «أعلام المؤلفين الزيدية»[١]، ورجَّح الثاني

(١) انظر: ص (٤٣٩).

أبو زهرة، بناءً علىٰ ما أجمع عليه المؤرخون بأنه كان عمره عند وفاته (٤٢) سنة[١]، وكانت ولادته بالمدينة، وأما وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ فقد كانت في اليوم الثاني من صفر من عام اثنتين وعشرين ومائة[٢].

٢- براءة زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ من الشيعة الرافضة، والتي سميت فيما بعد بالشيعة الاثنا عشرية واضحة جدا، ومن أوضح الأدلة عليها هي أسباب تخلي الشيعة عن زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ، وسبب تسميتهم بالرافضة، وهو يتبرأ منهم ومن معتقداتهم في الصحابة وفي الإمامة وفي الإمام وفي القرآن والسنة وهم كذلك يتبرؤون منه، ويرفضونه، ويرفضون إمامته.

إن سبب خذلان الشيعة لزيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ، هو توليه لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعدم تبريه منهما.

يقول أبو الحسن الأشعري: «فلمَّا ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه، سمع من بعضهم الطعن علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأنكر ذلك علىٰ من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: رفضتموني، فيُقال: إنهم سمُّوا الرافضة لقول زيد لهم: رفضتموني، وبقي في شرذمة»[٣].

ومن الثابت في كتب التاريخ أن زيدًا خرج في الموعد المحدد بينه وبين الناس ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين بعد المائة، وانتصر علىٰ يوسف بن عمر في عدة معارك، ووصل إلىٰ المسجد الذي قيل إنهم محصورون فيه، فجعل أصحابه يقولون: يا أهل المسجد

---

(١) انظر: الإمام زيد؛ لمحمد أبو زهرة (٢٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (٥/ ٣٩٠).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٧).

اخرجوا، ولكن الشيعة خذلوه لمَّا عرفوا رأيه في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حتىٰ جاءه سهم ليلًا فأصاب جبهته، وثبت في دماغه رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قام ابنه يحيىٰ بدفنه، وأخفىٰ قبره، ولكن القوم عرفوا مكانه، فنبشوا قبره، وقطعوا رأسه، وأرسلوا به إلىٰ هشام، وصلب في المدينة عدة أشهر»[١].

٣- لم يكن خروج زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ بني أمية عملًا بأصل من أصول الشيعة، إذ لم يكن يعتقد أن الإمامة في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبنائه، ولم يكن في خروجه مطالبًا بحق إلهي له في الخلافة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإنَّ زيد بن علي بن الحسين لما خرج في خلافة هشام، وطلب الأمر لنفسه، كان ممن يتولىٰ أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلم يكن قتاله علىٰ قاعدة من قواعد الإمامة التي يقولها الرافضة»[٢].

٤- أثنىٰ زيد بن علي علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعد البراءة منهما براءة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتبرأ زيد ممن تبرأ منهما، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أبو بكر الصديق إمام الشاكرين»، ثم قرأ: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٣].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٧/ ١٨٠ - ١٨٨)، ومروج الذهب للمسعودي (٣/ ٢٢٨ - ٢٣١)، والإفادة في تاريخ أئمة الزيدية (٦٥ - ٦٧)، وتاريخ اليعقوبي (٢/ ٥٦)، ومقاتل الطالبيين (١٢٩ - ١٣٧)، والمنتظم لابن الجوزي (٧/ ٢١٠ - ٢١٢)، والإمام زيد بن علي المفترىٰ عليه (١٢٩ - ١٣٦)، والإمام زيد لأبي زهرة (٦٠ - ٦٩).

(٢) منهاج السنة (٦/ ٣٤١).

(٣) سورة آل عمران (١٤٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبو القاسم اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان (٧/ ١٣٠٢)، رقم ٢٤٦٨، ط١ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ.

ثانيًا: براءة زيد بن علي من الزيدية:

١- ينسب الشهرستاني الأصلين التاليين لزيد في الإمامة: جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، والإمامة يشترط فيها: الفاطمية والخروج[(١)].

وهذا النص عليه ملحوظات كثيرة أبرزها:

أ- أن الشهرستاني توصل إلىٰ آراء زيد في الإمامة بطريقة غير مقبولة علميًا، وهي نسبة آراء الأتباع للمتبوع دون حُجة، سوىٰ أنهم ينتسبون إليه، ولو كان العكس لكان الأمر مقبولًا إلىٰ حد ما، فلو أن هذه الآراء ثابتة عن زيد، فقلنا هذه آراء لفرقة الزيدية لصح ذلك، وأمَّا آراء الفرقة بعد وفاة متبوعها فلا يصح بحال أن ننسبها إليه إلاَّ بدليل، والعجيب في الأمر أن الزيدية لا ينسبون هذه الآراء إلىٰ زيد، ومن مذهبهم جواز الاجتهاد؛ فهم لا يرون وجوب تقليد الإمام زيد لا في الأصول ولا في الفروع[(٢)]، فإذا كان الأمر كذلك؛ فلا يجوز بحال أن نتتبع آراء الفرق الزيدية، ثم نقول لما كانت تنتسب إلىٰ زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذه الآراء لابد أن يكون قد قال بها.

ب- لم يثبت عن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يقول بأن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل من أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنقل الثابت عن جميع أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي، وولد الحسن، وغيرهما؛ أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وكانوا يفضلونهما علىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والنقول عنهم ثابتة متواترة»[(٣)].

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٥).

(٢) انظر: الزيدية؛ عبد الله بن محمد بن إسماعيل حميد الدين (١٩، ٢٠).

(٣) منهاج السنة (٧/ ٣٩٦).

جـ- لم يثبت أن زيدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشترط في الإمام الفاطمية والخروج، ولم يكن خروجه على أي قاعدة من قواعد الشيعة في الإمامة، والتي أبرزها حصر الإمامة في علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأبنائه؛ بل خرج كما تقدم على رأي كان موجودًا عند أهل السنة والجماعة، وهو جواز الخروج على الإمام الظالم عند المكنة من ذلك، واستبداله بالإمام المسلم العادل القادر على تحقيق الأهداف من الإمامة ونحو ذلك.

لم يكن سبب خروج زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الانتصار للنفس بسبب ما وقع عليه من الظلم في نفسه، بل ما رآه من الظلم الواقع على الأمة عامة، وعلى آل البيت خاصة.

٢- نسب أتباع زيد بن علي إليه عدة كتب ورسائل من أشهرها «مسند زيد» المعروف أيضا بـ«المجموع الفقهي لزيد بن علي» وهذا المسند أو المجموع لا يصح نسبته إلى زيد بن علي[١].

ثالثًا: براءة زيد بن علي من المعتزلة:

١- تجعل المعتزلة زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطبقة الثالثة من طبقات سندها في عقائدها، والذي تعود به إلى الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة[٢]، وقد وافق الشهرستاني المعتزلة على ذلك، وقال بأن زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلقى الأصول العقدية من واصل بن عطاء[٣]، وهذا الكلام غير صحيح من عدة وجوه:

---

(١) انظر: بحث براءة زيد بن علي من مذهبي الرفض والاعتزال، د محمد خضي، المنشور في مجلة الدراسات العقدية (١٦/ ٣٧١).

(٢) انظر: فرق وطبقات المعتزلة، تحقيق النشار (٣٢).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٥، ١٥٦).

أ- أنَّ المعتزلة تضع واصل بن عطاء في الطبقة الرابعة من طبقاتها، وهذا يدل دلالة صريحة أنها لا تقول بالتلمذة، فلا تضع زيد دون واصل، بل أعلىٰ منه، وقد ذكر المعتزلة سبب وضعهم لزيد في سندهم، أنَّه قال: «أبرأ إلىٰ الله من القدرية الذين حملوا ذنوبهم علىٰ الله، ومن المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله»[1]. فهذه هي حجتهم الوحيدة في كون زيد من المعتزلة؛ وهي براءته من الجبر والإرجاء، فهل هذا يعني أنه يقول بقول المعتزلة في القدر؟

إنَّ النص واضح صريح في براءته من القدرية والمرجئة وهو يدعو إلىٰ السنة، والتمسك بها؛ فهو باقٍ علىٰ الأصل، وهو منهج أهل السنة والجماعة؛ في أن الإنسان المكلَّف مسؤول عن فعله، وسيجازىٰ علىٰ أعماله من خير وشر، ومطلوب منه أن يعمل الخيرات ويجتنب المعاصي والمنكرات، وله قدرة علىٰ ذلك واختيار؛ ولذلك صح ثوابه وعقابه، مع اليقين بأن كل شيء في هذا الكون مخلوق لله تعالىٰ.

ب- عدم ثبوت قول زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ بأي من أصول المعتزلة الخمسة، فأهم ما يتميز به المعتزلة، هو القول بالمنزلة بين المنزلتين، ولم يكن زيد يقول به[2]، ولم يكن يقول بخلق القرآن[3]، وعند المقارنة التفصيلية بين عقائد المعتزلة وعقائد زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ، يتبين أنه لم يكن يقول بأي أصل من أصولهم[4].

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ١٣٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٣٤).

(٤) انظر: الإمام زيد بن علي المفترىٰ عليه (٥٦ - ٦٤).

ج- أن الثابت في كتب التاريخ أن زيدًا لم يذهب للبصرة إلاَّ في آخر حياته، ولم يبق فيها إلاَّ مدة قصيرة لا تزيد عن الشهرين، كان منشغلًا خلالها بالتجهيز للخروج علىٰ هشام بن عبد الملك[1]، وقد كان في تلك الفترة في أوج نضوجه واكتمال علمه، فكيف يمكن القول بأنه ذهب من أجل أن يحصل أصول العقيدة، وعلىٰ يد من؛ علىٰ يد واصل بن عطاء، والذي هو دونه في السن وفي العلم بمراتب، ولم يكن معروفًا بالسنة ومحاربة البدعة، والتي كانت من أبرز مميزات زيد[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالقول بالتلمذة لزيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ واصل بن عطاء؛ إنما هو ترويج لعقائد المعتزلة في صفوف الزيدية، ولا يصح إطلاقًا، والله أعلم.

٢- لقد اعتنقت الزيدية -فيما بعد- أصول المعتزلة الخمسة، هذا الأمر ثابت في كُتب الفِرق، وتعترف به فِرقة الزيدية، بل وتفتخر بانتسابها إلىٰ أئمة المعتزلة أكثر من انتسابها إلىٰ أئمة أهل البيت.

إن التلاقي بين الزيدية والمعتزلة في عهد زيد مستحيل؛ لاختلافهم في أهم مسألة وهي الموقف من علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فواصل بن عطاء موقفه من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في غاية السوء، ثم إن المذهب الذي تميز به واصل واشتهر هو القول بالمنزلة بين المنزلتين، وزيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اشتهر عنه أنه لا يكفر الظلمة، ولا يقول فيهم بآراء واصل، ولا يحكم عليهم بالخلود في النار، وكان محاربًا للمبتدعة كمحاربته للظلمة؛ فلا صلة البتة بين زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وواصل في العقائد، ولكن يمكن أن يقال: إن المعتزلة في رؤيتها جواز

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٧/ ١٧١)، وشذرات الذهب (١/ ٢٧٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨٩).

الخروج علىٰ الإمام الظالم تميل إلىٰ الزيدية؛ لأنهم يطبقون هذا الأصل من أصولهم فعليًا.

وقد قام بعض الباحثين بدراسة بداية الصلة بين الزيدية والمعتزلة، وأثبت - بما لا يدع مجالًا للشك - أنها كانت متأخرة عن زمن زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

٣- كان زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ منهج أهل السنة والجماعة؛ في جميع أبواب العقيدة، وفي التوحيد والصفات، وفي القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهذا ما يثبته كل من ترجم لزيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء الجرح والتعديل، وقد وصفوه بالسُنة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالىٰ، ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ويقولون إنَّ الله يرىٰ في الآخرة؛ هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم»[2].

٤- لم يكن خروج زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بناء علىٰ الأصل الخامس من أصول المعتزلة، فالخروج علىٰ أئمة الجور بالسيف ذهبت إليه طائفة من أهل السنة والجماعة، فهذا الرأي موجود قبل واصل بن عطاء، وقد يكون واصل والمعتزلة بعده قالوا بهذا الأصل بناء علىٰ فعل زيد، لا أن زيدًا قام بالخروج بناء علىٰ أصلهم.

وبناء علىٰ ما تقدم؛ فالقول بأن زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خرج بناء علىٰ أصل

(١) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة؛ لعبد اللطيف الحفظي (٤٠١ - ٤١٨).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٥٧).

معتزلي؛ قول خاطئ، فهو كما أنه لم يخرج بناءً علىٰ أصل من أصول الرافضة أو الخوارج، لم يخرج بناءً علىٰ أصل من أصول المعتزلة؛ وإنما خرج بناء علىٰ رأي عند أهل السنة والجماعة؛ وهو جواز الخروج علىٰ الإمام الظالم إذا كان لدىٰ الخارج القدرة علىٰ ذلك[1]، وهو قد بايعه ما يقارب خمسة عشر ألف من أهل الكوفة، فرأىٰ أنَّ بإمكانه إزالة الظلم، فخذل، فقتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فِرق الزيدية والجماعة الحوثية:

١- فرق الزيدية:

أولًا: فرقة الصالحية:

المؤسس:

١- تنتسب فرقة الصالحية إلىٰ الحسن بن صالح بن حي الهمذاني الكوفي؛ الذي ولد عام مائة من الهجرة، وكانت وفاته عام (١٦٨هـ)، وكان فقيهًا عابدًا.

٢- وقد ذُكر عنه ثلاثة أمور:

الأمر الأول: نُسب إليه الخوض في علم الكلام.

وبالبحث في سيرة الحسن بن صالح - في كتب التراجم والتواريخ -، وجد أن الحسن بن صالح كان عابدًا فقيهًا زاهدًا محدثًا؛ لكنَّه لم يخض في علم الكلام البتة، ولم ينقل عنه في هذا العلم شيئًا، ولم يَنْسِبُ إليه ذلك إلا

---

(١) انظر بحث هذه المسألة مفصلاً، في «الإمامة العظمىٰ» د. عبد الله الدميجي (٤٩٠ - وما بعدها).

ابن النديم في الفهرست[1]؛ ولم يذكر دليلاً علىٰ ذلك.

يقول عنه الإمام أبو حاتم: «كان من المتقنين، وأهل الفضل في الدين»[2].

وقال عنه أبو زرعة - فيما ذكر ابن حجر -: «اجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد»[3].

وقد ذكر الذهبي طرفًا من عبادته وزهده - في السير وفي العبر -[4].

الأمر الثاني: نُسب إليه أنه يرىٰ الخروج بالسيف، وقد خرج مع زيد، ونظَّم الخروج لعيسىٰ بن زيد. والتحقيق: أن الحسن بن صالح كان يرىٰ جواز الخروج علىٰ أمراء زمانه؛ لظلمهم وجورهم، وكان لا يرىٰ الجمعة خلف الفاسق، ومن هنا انتسبت إليه طائفة من الزيدية، وعابه أهل العلم بذلك؛ كسفيان الثوري وغيره.

ومن هنا أيضًا؛ أخطأ من اتهم الحسن بن صالح بآراء الزيدية، ونسب إليه التوقف في أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل ذلك ليس بثابت عنه.

وقد تقدم مرارًا: أنَّه ليس كل من رأىٰ من السلف جواز الخروج بالسيف علىٰ الإمام الظالم أنه من الزيدية أو من المعتزلة أو من الخوارج، بل هذا رأي كان عند السلف، وإن كان استقر أمرهم علىٰ خلافه.

يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقولهم - أي: عن الحسن بن صالح -: كان

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٢) مشاهير علماء الأمصار (٢٠١).

(٣) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٨٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦٩)، والعبر (١/ ١٩١)، وانظر: شذرات الذهب (١/ ٤٢٦).

يرىٰ السيف، يعني: كان يرىٰ الخروج بالسيف علىٰ أئمة الجور، وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر علىٰ ترك ذلك لما رأوه قد أفضىٰ إلىٰ أشد منه، ففي وقعة الحرَّة، ووقعة ابن الأشعث وغيرهما عظة لمن تدبر، وبمثل هذا الرأي لا يقدح في رجل قد ثبتت عدالته، واشتهر بالحفظ والإتقان والورع التام، والحسن مع ذلك لم يخرج علىٰ أحد.

وأما ترك الجمعة؛ ففي جملة رأيه ذلك: ألا يصلىٰ خلف فاسق، ولا يصحح ولاية الإمام الفاسق، فهذا مما يعتذر به عن الحسن، وإن كان الصواب خلافه؛ فهو إمام مجتهد»[1].

قال عنه الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو من أئمة الإسلام، لولا تلبسه ببدعة»[2].

وقال عنه: «كان يترك الجمعة، ولا يراها خلف أئمة الجور، بزعمه»[3].

وقال عن وجه الشبه بين الحسن بن صالح وسعيد بن جبير: «بينهما قدر مشترك؛ وهو العلم والعبادة، والخروج علىٰ الظلمة تدينًا»[4]. وقال عنه: «كان يرىٰ الخروج علىٰ أمراء زمانه؛ لظلمهم وجورهم، ولكن ما قاتل أبدًا، وكان لا يرىٰ الجمعة خلف الفاسق»[5].

الأمر الثالث: تهمة التشيع؛ فقد نُسب إليه أنه يرىٰ أن عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة، وأولاهم بالخلافة، لكن لتنازله عنها صحت خلافة من سبقه،

---

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦١).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٦٣).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٦٧).

(٥) المصدر السابق (٧/ ٣٧١).

ويتوقف في أمر عثمان فلا يحكم له بإسلام ولا بكفر.

والتحقيق: أنه لو ثبتت عليه تهمة التشيع، فهي من نوع التشيع الأول الذي فيه ترجيح علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علىٰ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الفضل، وأما أنه يرىٰ عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل الصحابة وأولاهم بالخلافة بإطلاق فهذا غير صحيح.

قال عنه الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «صدوق، عابد، متشيع»[1].

أورد ابن العماد قول ابن قتيبة عنه: «وكان يتشيع، وزوَّج عيسىٰ بن زيد بن علي ابنته، واستخفىٰ معه في مكان واحد حتىٰ مات عيسىٰ بن زيد، وكان طلبهما المهدي فلم يقدر عليهما، ومات الحسن بعد عيسىٰ بستة أشهر»[2].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «قال وكيع: حسن بن صالح عندي إمام. فقيل له: إنه لا يترحم علىٰ عثمان. فقال: أفترحم أنت علىٰ الحجاج؟. قلت (الذهبي): لا بارك الله في هذا المثال، ومراده: أن ترك الترحم سكوت، والساكت لا ينسب إليه قول، ولكن من سكت عن ترحم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإن فيه شيئًا من تشيع، فمن نطق فيه ببُغضٍ وتنقص فهو شيعي جلد؛ يؤدب.

وإن ترقىٰ إلىٰ الشيخين بذم فهو رافضي خبيث، وكذا من تعرض للإمام علي بذم فهو ناصبي؛ يُعزر، فإن كفَّره فهو خارجي مارق، بل سبيلنا أن نستغفر للكل ونحبهم، ونكف عما شجر بينهم»[3].

---

(١) الكاشف (١/ ١٦٢).

(٢) شذرات الذهب (١/ ٤٢٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٠).

وأختم الكلام عن الحسن بن صالح، برأي شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه؛ يقول:

«وقد اتهم بمذهب الزيدية الحسن بن صالح بن حي، وكان فقيهًا صالحًا زاهدًا، وقيل: إن ذلك كذب عليه، ولم ينقل أحد عنه أنه طعن في أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فضلًا عن أن يشك في إمامتهما، واتهم طائفة من الشيعة الأولىٰ بتفضيل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم يتهم أحد من الشيعة الأولىٰ بتفضيل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بل كانت عامة الشيعة الأولىٰ الذين يحبون عليًا يفضلون عليه أبا بكر وعمر، لكن فيهم طائفة ترجحه علىٰ عثمان، وكان الناس في الفتنة صاروا شيعتين، شيعة عثمانية، وشيعة علوية، وليس كل من قاتل مع علي كان يفضله علىٰ عثمان، بل كان كثير منهم يفضل عثمان عليه، كما هو قول سائر أهل السنة»[1].

أبرز شخصيات هذه الفرقة:

أبو إسماعيل كثير بن إسماعيل بن نافع النواء، الملقب بالأبتر؛ لذلك فإن من أسماء هذه الفرقة البترية، نسبة إليه.

وقد حاول بعض الزيدية أن ينسب لفرقتهم الصالحية بعض علماء الحديث مثل: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والشافعي، ومالك، وغيرهم[2]؛ وهذه النسبة باطلة تمامًا؛ فإن المعروف عن هؤلاء الأئمة؛ محاربتهم للطوائف المبتدعة، من زيدية ورافضة وخوارج وأهل كلام، وأقوال هؤلاء جميعًا معروفة في الصحابة، وأنهم يترضون عنهم جميعًا،

(١) منهاج السنة (٤/ ١٣١، ١٣٢)، وانظر (٧/ ٢٨٦).

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ١٥٠ - ١٥٢).

ويرتبون الخلفاء في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ولكن الشيعة الزيدية المعتزلة يضعون ضمن أسانيدهم هؤلاء الأئمة، بناءً علىٰ أقوالهم في القدر، فلأنهم ينكرون مذهب الجبرية يجعلونهم معتزلة، وهذه طريقة منحرفة في التصنيف؛ فمن لم يكن جبريًا فليس بالضرورة أن يكون قدريًا، بل يكون علىٰ منهج أهل السنة والجماعة.

أبرز الآراء والعقائد:

١- العقائد في الإمامة:

أ- يرون جواز إمامة المفضول وتأخير الفاضل، والأفضل أن يكون الفاضل راضيًا.

ب- يثبتون الإمامة لمن شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان عالمًا زاهدًا شجاعًا.

جـ- لا يكون الإمام إمامًا مع قعوده، أو يفتي تقية[1].

٢- العقائد في الصحابة:

أ- يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

ب- يتوقفون في عثمان رضي الله عنه، فلا يمدحونه ولا يذمونه.

يقول أبو الحسن الأشعري: «البُتْرية؛ أصحاب الحسن بن صالح بن حي وأصحاب كثير النَّواء، وإنما سموا بترية لأن «كُثيرًا» كان يُلقب بالأبتر. يزعمون أن عليًا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليست بخطأ؛ لأن عليًا ترك ذلك لهما،

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٥٢).

ويقفون في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي قتلته، ولا يقدمون عليه بإكفار، وينكرون رجعة الأموات إلىٰ الدنيا، ولا يرون لعلي - كرَّم الله وجهه - إمامة إلا حين بُويع.

وقد حُكي أن الحسن بن صالح بن حي كان يتبرأ من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد الأحداث التي نُقمت عليه»[1].

يقول البغدادي - في الفرق بين الفِرق عن الصالحية -: «غير أنهم توقفوا في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يقدموا علىٰ ذمه ولا علىٰ مدحه، وهؤلاء أحسن حالًا عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير»[2].

لكن البغدادي لم يذكر عنهم أنهم يتوقفون في الحكم عليه بالإسلام أو الكفر؛ فلا يصح نسبة ذلك إليهم.

تطور الفرقة:

١- هذه الفرقة تقول بالعدل والتوحيد؛ فهي فرقة زيدية اعتزلت، وهناك فرقة من المعتزلة - وهم معتزلة بغداد - صاروا زيدية في الإمامة، ومن هنا بدأ الاختلاط بين الزيدية والمعتزلة[3].

وقد أخذت بأصول المعتزلة الخمسة، وكذلك ذاب كثير من المعتزلة في الزيدية، وقد ذكر قريبًا من هذا الكلام الشهرستاني في الملل والنحل[4].

٢- يذكر القاضي إسماعيل الأكوع أن فرقة الصالحية هي أقرب الفرق الزيدية إلىٰ ما كان عليه زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك إلىٰ حد ما «الجريرية»،

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) (٣٣، ٣٤).

(٣) انظر: نشأة الفكر (٢/ ١٥٥ - ١٥٦).

(٤) انظر: (١/ ١٦٢).

وأما سائر الفرق الزيدية الأخرىٰ فهي مخالفة لما عليه زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصول والفروع، وقد استشهد بقول المؤرخ الزيدي يحيىٰ بن الحسين: «فالذي كان من قبل - أي من قبل المائتين - هم الصالحية والجريرية، وهو الذي كان عليه زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأما سائر الفرق فإنما حدثت بعد ذلك، وخالفت زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصوله وفروعه، ولم يوفقوا إلاَّ في النزر اليسير»[(١)].

ثانيًا: فرقة السليمانية:

المؤسس:

مؤسس فرقة السليمانية هو سليمان بن جرير الرقي، وإليه تُنسب، ظهر أيام المنصور، كان إماميًا في أول أمره؛ لأنه كوَّن فرقته بعد انفصاله عن جعفر الصادق[(٢)].

ولم أظفر بمعلومات موثقة عنه، سوىٰ ما ورد في مقاتل الطالبيين، فقد ذكر الأصبهاني أنه كان من متكلمي الزيدية البترية[(٣)]، ومن أولي الرئاسة فيهم، وأنه كان في زمن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والذي خرج علىٰ هارون الرشيد.

والعجيب في الأمر أن الأصبهاني يذكر أن الذي قتل إدريس بن عبدالله هو سليمان بن جرير حيث سقاه سمًا، أو دسه له في طعام، وقد كانت هذه الخيانة من سليمان نتيجة للإغراء والترغيب له من هارون الرشيد، وقد ذكر

(١) الزيدية، نشأتها ومعتقداتها (٢٨).

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ١٥٢، ١٥٣).

(٣) البترية، تطلق أحيانًا، ويراد بها فرقة السليمانية والصالحية، وفي الغالب تكون اسمًا آخر للصالحية، انظر: المنية والأمل (٩٧).

أن سليمان كان يجلس في المجالس يحتج للزيدية، ويدعو إلىٰ أهل البيت[١].

أبرز الآراء والعقائد:

١- العقائد في الإمامة:

أ- يرىٰ سليمان؛ أن الإمامة شورىٰ فيما بين الخلق، ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل[٢].

ب- ينكر علىٰ الأئمة القول بالبداء وإجازة التقية؛ لأنه بسبب ذلك لا يعرف الحق من الباطل. وهذا سبب انفصاله عن الإمامية[٣].

٢- العقائد في الصحابة:

أ- يتولىٰ أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإمامتهما حق باختيار الأمة.

ب- يكفر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ للأحداث التي أحدثها، ويكفر أصحاب الجمل لقتالهم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

يقول أبو الحسن الأشعري - مبينًا عقائد السليمانية -: «يزعمون أنَّ الإمامة شورىٰ، وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنَّها قد تصلح في المفضول؛ وإن كان الفاضل أفضل في كل حال، ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) انظر: (٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٣)، والفرق بين الفرق (٣٢)، والملل والنحل (١/ ١٥٩)، والتبصير في الدين (٢٥).

(٣) انظر: نشأة الفكر (٢/ ١٥٣، ١٥٤).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٥٣).

وحكىٰ «زرقان» عن سليمان بن جرير أنه كان يزعم أن بيعة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل، وأنَّ الأمة قد تركت الأصلح في بيعتهم إياهما.

وكان سليمان بن جرير يُقْدِم علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويكفره عند الأحداث التي نقمت عليه، ويزعم أنه قد ثبت عنده أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يضل، ولا تقوم عليه شهادة عادلة بضلالة، ولا يوجب علم هذه النكتة من طريق الروايات الصحيحة عنده»[(١)].

تطور الفرقة:

١- آخر تطورات فرقة السليمانية أو الجريرية في أصول العقيدة؛ هي مزيج من عقائد المعتزلة والأشاعرة، وإن كانت إلىٰ الاعتزال أميل.

ذكر أبو الحسن الأشعري جملة من عقائد الزيدية في التوحيد، وفي العدل، وفي الوعد والوعيد، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي حكم مرتكب الكبيرة[(٢)]، وبمجرد النظر إلىٰ عقائدهم في تلك القضايا يجزم الناظر أنهم معتزلة، سوىٰ اختلافات يسيرة؛ يقتربون بها أحيانًا إلىٰ مذهب الأشاعرة[(٣)].

فهذه الفرقة تتردد بين المعتزلة في الغالب وبين الأشاعرة[(٤)]

لقد انقرضت الفرق الزيدية عامة في كل مكان إلاَّ في اليمن، والتي في

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٣).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٦ - ١٥٠).

(٣) انظر: زيد بن علي الإمام المفترىٰ عليه (٢٧٠ - ٣٠٨)، الفرق الإسلامية؛ لعبدالفتاح فؤاد (٣٢١ - ٤٢٠).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٥٥ - ١٥٧).

اليمن قد قطعت صلتها تقريبا بالمذهب الزيدي الحقيقي، وتأثرت بعقائد الإمامية أشد ما يكون التأثر[1].

ثالثًا: فرقة الجارودية:

المؤسس:

١- مؤسس فرقة الجارودية هو أبو الجارود، وإليه تنسب، ويكنىٰ بأبي النجم؛ واسمه زياد بن المنذر الهمذاني الخراساني العبدي، ويُقال له أحيانًا: النهدي والثقفي الكوفي، كانت وفاته ما بين عام (١٥٠هـ) و(١٦٠هـ).

ويذكر أن محمد الباقر تبرأ منه، ولقبه سرحوبًا، والسرحوب: شيطان أعمىٰ يسكن البحر، كما بينه الباقر؛ لذلك فإن من أسماء هذه الفرقة «السرحوبية».

وكذلك تبرأ منه جعفر الصادق ولعنه، وقال عنه: أعمىٰ القلب وأعمىٰ البصر، واعتبره أهل السنة رافضيًا يضع الحديث في مثالب الصحابة.

وقد شارك مع زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ في المعركة بالرغم من عماه، وثبت معه في حين تخلىٰ عنه شيعة الكوفة[2].

٢- قال علماء أهل السنة والجماعة عن أبي الجارود؛ بأنه رافضي كذاب وضَّاع.

يقول ابن حبان عنه: «كان رافضيًا يضع الحديث في مثالب أصحاب النبي ﷺ، ويروي في فضائل أهل البيت أشياء ما لها أصول، لا تحل كتابة حديثه.

---

(١) انظر: نشأة الفكر (٢/ ١٥٧).

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ١٤٧).

قال يحيىٰ: زياد بن المنذر، أبو الجارود، كذاب، عدو الله، ليس يساوي فلسًا.

وقال أحمد: أبو الجارود، متروك الحديث.

وقال البخاري: رماه ابن معين،..»[1].

ويقول عنه الذهبي: «رافضي، متهم، له أتباع؛ وهم الجارودية»[2].

ويقول عنه ابن حجر: «رافضي، كذَّبه يحيىٰ بن معين»[3].

وأمَّا الزيدية؛ فيرونه عالمًا، محدثًا، مفسرًا، مجاهدًا، متحامل عليه من قبل الإمامية وغيرهم[4].

أبرز الآراء والعقائد:

١- العقائد في الإمامة والإمام:

أ- الإمامة قد صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين، وليست في أولاد الحسين خاصة.

ب- لا يكون الإمام إمامًا حتىٰ يخرج داعيًا إلىٰ نفسه، ومن تخلف عنه فهو كافر، ومن ادعىٰ الإمامة وهو قاعد فهو كافر مشرك، وكذلك من وافقه علىٰ ذلك.

جـ- الأئمة علمهم فطري؛ يُلقىٰ العلم في نفوسهم دون حاجة للتعلم،

(١) كتاب المجروحين (١/ ٣٠٢).

(٢) الكاشف (١/ ٢٦٢).

(٣) تقريب التهذيب (٢٢١).

(٤) انظر: أعلام المؤلفين الزيدية (٤٣٦).

وعندهم جميع ما جاء به النبي ﷺ؛ فالحلال ما أحلوه، والحرام ما حرموه.

د- علي رضي الله عنه علم ما علمه رسول الله ﷺ من علوم الدنيا والآخرة، وزاد عليه.

هـ- إمامة علي رضي الله عنه بالنص؛ لكنها بالوصف لا بالتسمية.

و- إمامة الحسن والحسين رضي الله عنهما بالنص؛ سواء من النبي ﷺ أو من علي رضي الله عنه.

٢- العقائد في الصحابة والتابعين:

أ- يرىٰ أبو الجارود كفر الشيخين رضي الله عنهما، والصحابة جميعًا؛ لأنهم قصروا في التعرف علىٰ الوصف، ولم يطلبوا الموصوف.

ب- ويرىٰ كفر الناس بتركهم الاقتداء بالحسن والحسين رضي الله عنهما؛ لأنه قد نص علىٰ إمامتهما.

يقول الملقب بالمفيد - في أوائل المقالات -:

«اختصاص الجارودية بصحة الاتسام بسمة التشيع من جهة أنهم:

- يقدمون أمير المؤمنين عليه السلام، ويقولون أنه أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ.

- وأن الإمامة كانت له عليه السلام، ولم يكن يجوز لأحد أن يقوم مقامه، ومن دفعه عن ذلك المقام فهو مخطئ هالك.

- ويرون أن النص عليه بالإمامة كان بالوصف دون التسمية؛ بمعنىٰ أن النبي ﷺ وإن لم يصرح باسمه إلا إنه نص عليه بأوصاف واضحة، لم

تكن توجد إلا في شخصه، ويجعلون ذلك بمنزلة النص عليه باسمه.

- وأن الأمة قصروا؛ حيث لم يتعرضوا للوصف، ولم يطلبوا الموصوف»[1].

ويقول أبو الحسن الأشعري - مبينًا عقائد الجارودية -: «يزعمون أن النبي ﷺ نص علىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالوصف لا بالتسمية؛ فكان هو الإمام من بعده، وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد الرسول ﷺ، ثم الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بعد علي هو الإمام، ثم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمام من بعد الحسين.

وافترقت الجارودية فرقتين:

فرقة زعمت أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نص علىٰ إمامة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نص علىٰ إمامة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم هي شورىٰ في ولد الحسن وولد الحسين؛ فمن خرج منهم يدعو إلىٰ سبيل ربه، وكان عالمًا فاضلًا؛ فهو الإمام.

وفرقة زعمت أن النبي ﷺ نص علىٰ الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلىٰ الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ ليقوم واحد بعد واحد.

وافترقت الجارودية في نوع آخر ثلاث فرق:

فزعمت فرقة أن محمد بن عبد الله بن الحسن لم يمت وأنه يخرج ويغلب.

وفرقة أخرىٰ زعمت أن محمد بن القاسم صاحب الطالقان حي لم يمت وأنه يخرج ويغلب.

(١) (٨٤، ٨٥).

وفرقة قالت مثل ذلك في يحيىٰ بن عمر صاحب الكوفة»[1].

- يتبين لنا مما سبق أن الجارودية فرقة شيعية غالية وزيدية، أو رافضة وزيدية، وهذا وصف دقيق لهم؛ فهم زيدية بالانتساب، وبالقول بأن عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو الإمام بالوصف لا بالتعيين، وبالقول بأن الإمامة في أولاد الحسنين بشرط الخروج، وأمَّا ما عدا ذلك فعقائد الجارودية عقائد غالية؛ تخرج بها ليس من دائرة التشيع فحسب، بل من دائرة الإسلام.

ومن أمثلة العقائد الكفرية التي عند الجارودية: تكفير الشيخين وسائر الصحابة، بل والتابعين أيضًا، والقول بالعلم اللدني للأئمة، والقول بأنهم يعلمون الغيب، والقول بأن للأئمة حق التشريع؛ فهذه عقائد كفرية بالكتاب والسُنة والإجماع.

لذا؛ فقد ذكر البغدادي كفر هذه الفرقة، فقال:

«فهذا قول الجارودية، وتكفيرهم واجب؛ لتكفيرهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

ويقول: «هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية؛ لإقرار الجارودية علىٰ تكفير أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والجارودية يكفرون السليمانية والبترية؛ لتركهما تكفير أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا»[3].

تطور الفرقة:

تطورت الجارودية حتىٰ صارت شيعة غالية، أو رافضة، وقد أدخلت

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١٤١، ١٤٢).

(٢) الفرق بين الفرق (٣٢).

(٣) المصدر السابق (٣٤).

ضمن عقائدها عقيدة المهدية؛ فاعتقد كثير منهم أن المهدي هو محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، وأنه لم يقتل، وأنه سيخرج ويملأ الأرض عدلًا.

وقد ذُكر عنهم القول بالتناسخ؛ وهذا أمر عظيم مستبعد لولا أنه مثبت في كتب الفِرق عنهم، مثل التنبيه والرد للملطي(١)، وقد ذكر الملطي أنهم لا يفصحون بالغلو، ولا يوجد في عقائدهم ما يمنع من أن يعتقدوا مثل هذه العقائد الكفرية، عياذًا بالله من ذلك.

وقد انقسمت فرقة الجارودية فيما بعد إلىٰ ثلاث فرق: مطرفية وحسينية ومخترعة.

فالمطرفية؛ نسبة إلىٰ مطرّف بن شهاب، وهم في الفروع علىٰ مذهب الهادي يحيىٰ بن الحسين (هادوية في الفروع)، وفي الأصول علىٰ مذهب المعتزلة، متابعين أبا القاسم البلخي(٢).

ولكنهم مالوا في بعض أقوالهم إلىٰ كلام الفلاسفة الدهرية؛ إذ قالوا إن الله تعالىٰ خلق العناصر الطبيعية، وهي فيما بعد تفاعلت مع بعضها ونتج عنها الكون(٣).

والحسينية؛ نسبة إلىٰ الحسين بن القاسم بن علي العِياني، دعا إلىٰ

---

(١) انظر: (٢٣).

(٢) انظر: الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، للقاضي إسماعيل الأكوع (٧٧).

(٣) انظر: مقدمة مقاود الإنصاف في مسائل الخلاف، للإمام حنفي عبدالله (١٧)، وهذا المرجع فيه نبذة جيدة عن هذه الفرقة، مقاود الإنصاف عبارة عن رد علىٰ هذه الفرقة للقاضي جعفر بن أحمد (ت ٥٧٣هـ).

نفسه بالإمامة سنة (٣٩٣هـ)، وزعم أنه المهدي المنتظر، وأنه أفضل من النبي ﷺ، وكلامه ومصنفاته أفضل من القرآن، وقد مات مقتولًا عام (٤٠٤هـ)، ولكن أتباعه يزعمون أنه حي لم يمت، وأنه سيعود ليملأ الأرض عدلًا، وقد ذكر بعض الباحثين أن هذه الفرقة استمرت إلىٰ المائة الثامنة للهجرة ثم تلاشت[1].

والمخترعة؛ نسبة إلىٰ قولهم باختراع الله الأعراض في الأجسام، وأنها لا تحصل بطبائعها كما تقول المطرفية، ورئيسها علي بن شهر، وهم معتزلة في الأصول، هادوية في الفروع، ويقولون بأن عليًا رضي الله عنه إمام بالنص، ويخطئون المشايخ بالتقدم عليه، ويتوقفون في تفسيقهم[2].

وهذه الفرقة هي ما عليه «هادوية اليمن» حتىٰ اليوم، وقد نُسب إليهم العقائد التالية:

١- اعتقادهم أن النبي ﷺ لا يشفع لعصاة الأمة.

٢- اعتقادهم أن الإنسان لا يدخل الجنة إلا بعمله؛ أي: استحقاقًا لا سببًا.

٣- اعتقادهم كفر المخالف لهم في العقيدة، ويجاهدونه كما يُجاهد المشركون.

وهم في المسائل الفقهية: يخالفون زيد بن علي رحمه الله في أكثرها، ويزعمون أنهم أخذوا بفروع أتباعه، أويكثر فيهم الوسواس في الوضوء، والصلاة، والعقيدة»[3].

---

(١) انظر: الزيدية، نشأتها ومعتقداتها (٧٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (٧٨).

(٣) انظر: الزيدية، نشأتها ومعتقداتها (٧٩ - ٨١).

ويقول أيضًا: «لذلك فلا غرابة ولا استنكار إذا أخذ زيدية اليمن يفتحون صدورهم لمن يَفِدُ عليهم من الشيعة الإمامية، ويرحبون بهم، وينزلونه منزلًا كريمًا»[١].

ويقول أيضًا: «لهذا ولما تقدم بيانه، فإن المذهب الإمامي (الجعفري) لا يختلف كثيرًا عن المذهب الزيدي الهادوي في اليمن؛ إلا في أنه حصر الأئمة في اثني عشر إمامًا فقط، وفي أن أئمته معصومون كالأنبياء، فاستوجب ذلك أن حكم عليه بما حكم علىٰ المذهب الإمامي»[٢].

٢- الجماعة الحوثية في اليمن:

أولًا: التعريف بالجماعة الحوثية:

١- الحوثية هم من طائفة الجارودية، والجارودية أقرب فِرق الزيدية للشيعة الاثنا عشرية - كما تقدم -، ولذا فالحوثية يعلنون الانتماء للزيدية في الظاهر، ويتبنون بعض عقائد الشيعة الاثنا عشرية، ويمارسون أعمالًا هي من خصائص الرافضة واحتفالاتهم؛ حتىٰ رأىٰ بعض الدارسين للفكر الحوثي بأنه قد انتقلت الحوثية من الجارودية للمذهب الاثنا عشري عقب سفر حسين الحوثي لإيران عام (١٩٩٧م)، وأنهم يعلنون الانتماء للمذهب الزيدي في اليمن ليكون مستندًا لهم في التعبئة ضد النظام، وضد أهل السنة، وضد الزيدية المخالفين للحوثي في منهجه، وإلا فلو تبرأ الحوثي من المذهب الزيدي علانية؛ فلن تكون له قاعدة شعبية بين أتباعه من الزيدية المغرر بهم[٣].

---

(١) الزيدية، نشأتها ومعتقداتها (٤٩).

(٢) المصدر السابق (٥٠).

(٣) انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين؛ لعلي الصادق (٢٣ - ٢٥).

٢- الحوثية: إطلاق شعبي، ولكنهم في الأوساط السياسية والفكرية، والدوائر الأمنية؛ يعرفون بـ «جماعة الشباب المؤمن»[١]؛ وهم جماعة معارضة للمذهب الزيدي وعلمائه المعاصرين في منهجهم الداعي للتقارب مع السُنة، وأعلنوا عن ميولهم للشيعة الرافضة؛ فأظهروا سب الصحابة، وأمهات المؤمنين، وقالوا بعصمة الأئمة، وعودة المهدي، وأظهروا السخرية بكتب السنة ورجالها وعلماء الحديث[٢]، وقد وصفوا جماعتهم بأنها حركة ثقافية لمواجهة المد السلفي[٣].

٣- جماعة الحوثي، أو جماعة الشباب المؤمن - كما يحبون أن يدعون - يدعون للتقارب مع الإمامية الجعفرية، وأعلنوا العداء مع السنة؛ لأنهم - كما يصفون - الأعداء الأصليون لولاية الفقيه، وللأئمة المعصومين، وبسبب الدعوة التقاربية مع الرافضة تحول كثير من جماعة الحوثي للمذهب الاثنا عشري[٤].

٤- تتميز جماعة الحوثي بأنها تنظيم حركي استطاع النفوذ إلىٰ أتباع المذهب الزيدي، فكون له قاعدة من الأتباع والجماهير الموالية له، وجعل منهم جنودًا مؤيدين له، وداعمين له؛ فاجتمع لحركة الحوثي البعد الفكري والتنظيمي، والدعم المالي، والسند الاجتماعي، والتحالف مع جهات داخلية وخارجية.

ثم إضافة لما سبق؛ فقد جعل حسين الحوثي ثورة الخميني، ونشاط

---

(١) انظر: الجماعات الإسلامية في اليمن؛ لعبد السلام السالمي، هامش (١) ص (٢٩٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٠٤، ٣٠٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٠٦).

(٤) انظر: ماذا تعرف عن الحوثيين؛ لعلي الصادق (٣٢٠ - ٣٢٨).

حزب الله اللبناني؛ مصدرًا لشحذ همم أتباعه[1].

ثانيًا: أبرز أفكار ومعتقدات جماعة الشباب المؤمن «الحوثية»

أ- البراءة من الخلفاء الراشدين ممن تقدم عليًا رضي الله عنه، خصوصًا، ومن الصحابة عمومًا، واعتقاد أنهم ضالون مضلون، وأنهم سبب كل بلاء نزل بالعالم الإسلامي، وأن فتوحات الصحابة الإسلامية كانت سبة ولعنة عليهم، وأن عمر رضي الله عنه هو سبب مفارقة الأمة لعلي رضي الله عنه.

ب- اعتقاد النص بالإمامة لعلي رضي الله عنه، وأن الحكم لا يصح إلا في البطينين؛ أحفاد الحسن والحسين رضي الله عنهما.

ج- اعتقاد أن الله كما اختارهم للحكم، فقد اختارهم للعلم؛ فهم علماء دون أن يعلمهم أحد، وأن الله قد اصطفاهم لحمل كتابه، وبيان أحكامه، وأن العلوم الشرعية التي جاءت عن طريق علماء السنة غير صحيحة.

د- يرون عدم شرعية النظام الحاكم في اليمن، ويجب الخروج عليه لاسترداد حق آل البيت في الولاية[2].

الخلاصة:

١- الزيدية فرقة تنتسب إلىٰ زيد بن علي رحمه الله يجمعها: القول بتقديم علي رضي الله عنه علىٰ جميع الصحابة في الفضل والإمامة، ويقولون بالنص الخفي، ويحصرون الإمامة في علي رضي الله عنه ثم الحسن ثم الحسين رضي الله عنهما، ثم في ذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما؛ وتثبت الإمامة بالفضل والطلب لا

---

(١) انظر: الحوثية في اليمن؛ لمجموعة من الباحثين (٢٣ - ٢٥).

(٢) انظر: الجماعات الإسلامية في اليمن؛ لعبد السلام السالمي (٣٣٦ - ٣٤٨).

الوراثة، ويرون جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وقد ضموا لهذه العقيدة في الإمامة أصول المعتزلة الخمسة، فكانوا زيدية معتزلة، أو معتزلة زيدية، ويرون أنهم الفرقة الناجية.

٢- لا صلة بين زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ وبين الرافضة، أو بينه بين الزيدية، أو بينه وبين المعتزلة، ولم يتتلمذ علىٰ واصل بن عطاء.

٣- لم يكن سبب خروج زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ هشام بن عبد الملك علىٰ أي أصل من أصول المبتدعة؛ لا الرافضة ولا المعتزلة ولا الخوارج؛ وإنما كان ذلك علىٰ قول من أقوال أهل السنة والجماعة استقر الأمر علىٰ خلافه، وهو منع الخروج علىٰ الأئمة وإن جاروا.

٤- سبب تخلي الرافضة عن زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ هو توليه لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعدم تبريه منهما، ومن أجل ذلك سموا رافضة، وسمي من تولاه زيدية، وأولئك هم أتباع زيد علىٰ الحقيقة.

٥- لم يكن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ولا يقول باشتراط الفاطمية والخروج في الإمام، فلم يكن علىٰ معتقد من معتقدات الزيدية.

٦- لم يكن زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أي عقيدة من عقائد المعتزلة؛ بل كان في التوحيد والصفات وفي جميع أبواب العقيدة علىٰ منهج أهل السنة والجماعة.

٧- فِرقة الصالحية هي أقرب فِرق الزيدية لأهل السنة والجماعة.

٨- فِرقة السليمانية أو الجريرية تخرج عن الرفض؛ بتجويزها إمامة

أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتتجه للخوارج بتكفيرها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي عصرنا الحاضر تأثرت تأثرًا كبيرًا بعقائد الإمامية.

٩- فِرقة الجارودية فِرقة زيدية بالانتساب، رافضية بالحقيقة؛ فهم يكفرون الشيخين، وسائر الصحابة، ويقولون بعصمة الإمام وعلمه الغيب، والعلم اللدني، ونحو ذلك من عقائد الرافضة في الإمام.

١٠- من أبرز طوائف الجارودية في عصرنا الحاضر: الجماعة الحوثية؛ والتي تحب أن تدعىٰ بجماعة الشباب المؤمن، وهم يتخذون من حزب الله اللبناني قدوة لجماعتهم في اليمن.

المبحث الثاني
الفرق الباطنية

المطلب الأول: فرقة السبأية.

المطلب الثاني: فرقة المختارية أو الكيسانية.

المطلب الثالث: فرقة الخطابية.

المطلب الرابع: فرقة الإسماعيلية.

المطلب الخامس: فرقة النصيرية.

المطلب السادس: فرقة الدروز.

المطلب السابع: فرقة البابية.

المطلب الثامن: فرقة البهائية.

المطلب التاسع: فرقة القاديانية.

المطلب العاشر: الفكر الباطني الحديث.

الفرق الباطنية

هي الفرق التي تنسب للإسلام، مدعية أن للدين ظاهر وباطن، وللقرآن ظاهر وباطن، وأن عامة الناس يعرفون الظاهر دون الباطن، وأن الباطن هو الحقيقة المعنية والحكمة الخفية، ولا يمكن معرفته إلَّا من خلال الخاصة لتميزهم عن العامة بقدراتهم الجسدية ورياضتهم الروحية.

وهم يزعمون أن ظواهر النصوص ما هي إلا إشارات ورموز لا تبطنه من معاني وحكم، يعرف معناها أئمتهم والخاصة منهم عن طريق الكشف والفيض.

وهذه الفرق ترىٰ وجوب التقية والسرية، ولهم كتب يقدسونها في الغالب غير القرآن، ويرون أن الإمامة لا تكون إلا بالنص للأعقاب أو التفويض للدعاة منهم.

هذه الفرق الباطنية تتستر بالتشيع في الظاهر، وهي تسعىٰ لهدم الإسلام في عقيدته وشريعته، وسميت بهذا الاسم لقولهم بأن من توصل لعلم الباطن سقط عنه الظاهر من التكاليف الشرعية.

وأبرز هذه الفرق: السبأية، والخطابية، والإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والبابية، والبهائية، والقاديانية.

المطلب الأول: فرقة السبأية

تمهيد:

السبأية فرقة شيعية غالية، تنسب إلىٰ عبد الله بن سبأ اليمني اليهودي، الملقب بابن السوداء، وهذه الفرقة هي أصل التشيع في معناه الاصطلاحي، كما مرَّ معنا، ولها أقوال عديدة غالية منها:

١- القول بأن النبي ﷺ لم يمت، وإنما رفع كما رفع عيسىٰ عليه السلام.

٢- القول بالوصية والتعيين، أي أن النبي ﷺ وصَّىٰ بالإمامة لعلي رضي الله عنه، فهو النائب والقائم مقام النبي ﷺ، وهو خليفته بالنص الإلهي عليه بعينه، ولذلك فكل من سبقه من الخلفاء يعتبرون مغتصبين لها، فهو أول من أظهر الطعن والسب في الصحابة رضي الله عنهم، لاسيما الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم.

٣- القول بالتوقف والغيبة والرجعة، أي التوقف في موت علي رضي الله عنه وأنه غائب غيبة مؤقتة، وسيرجع للظهور مرة أخرىٰ، مع اختلاف يسير بينهم في تفاصيل ذلك.

٤- القول بألوهية علي رضي الله عنه، وقد تدرجوا في غلوهم هذا، حيث اعتقدوا في البداية أنه وصي، ثم قالوا بنبوته، ثم قالوا بحلول جزء من الألوهية فيه، ثم قالوا بألوهيته[1].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦)، والتنبيه والرد (١٨)، والفرق بين الفرق (٢١)، والملل والنحل (١٧٤)، والتبصير في الدين (١٠٠، ١٠٣، ١٠٤)، والمقالات والفرق (٢٠، ٢١)، وفرق الشيعة (٢٢، ٢٣)، وعبد الله ابن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام.

شخصية عبد الله بن سبأ:

١- إن أقوال المؤرخين عامة، وأقوال مؤرخي الفرق خاصة سواء من السنة أو من الشيعة تكاد تطبق علىٰ وجود شخصية عبد الله بن سبأ.

يقول القمي عن عبد الله بن سبأ: «وكان أول من أظهر الطعن علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعىٰ أن عليًا عليه السلام أمره بذلك،.. وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن ههنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية..»[١].

وقد ذكر الأشعري[٢] والملطي[٣] والشهرستاني[٤] والاسفراييني[٥] عقائد عبد الله بن سبأ وصفاته علىٰ وجه التفصيل، وقام د. سليمان العودة ببحث معاصر حول حقيقة ابن سبأ، فخرج بأنها شخصية تاريخية واقعة تؤكدها الدراسة الموضوعية، ولا يعذر بإنكارها أو التشكيك فيها الباحثون وأصحاب المناهج العلمية[٦].

وقد ذكر النشار أن المصادر السنية وكذلك الشيعية مجمعة علىٰ أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية، فهو يمني يهودي غالي. يقول: «وتجمع المصادر السنية والشيعية أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا يمنيًا فأظهر الإسلام»[٧].

---

(١) المقالات والفرق (٢٠)، وانظر: فرق الشيعة (٢٢).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦).

(٣) انظر: التنبيه والرد (١/ ١٧، ١٨).

(٤) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧٤).

(٥) انظر: التبصير في الدين (١٠٠، ١٠٣، ١٠٤).

(٦) انظر: عبد الله بن سبأ، وأثره في أحداث الفتنة (١١٠).

(٧) نشأة الفكر (٢/ ٣٦).

وذكر أن مؤرخي الشيعة المتقدمون يثبتون حقيقة شخصية ابن سبأ، ولا يشكون فيها. يقول: «أما مؤرخو الشيعة الأقدمين، فقد اعتبروا عبد الله بن سبأ حقيقة تاريخية لا شك فيها»(١).

عقائد السبأية:

١- عقيدتهم في القرآن بأنه ناقص: فالسبأية تعتقد أن القرآن الذي في أيدينا ما هو إلاَّ جزء من تسعة أجزاء القرآن الكامل، والذي علمه عند علي رضي الله عنه.

يقول الحسن بن محمد بن الحنفية في رسالته المشهورة برسالة الإرجاء: «ومن خصومة هذه السبأية التي أدركنا، إذ يقولوا هدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي، ويزعمون أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن، ولو كان الله كاتمًا شيئًا لكتم شأن امرأة زيد ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، وقوله: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤]»(٢).

٢- الوقف في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: فالسبأية تعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت، وإنما رفع، وسينزل في الحياة الدنيا، لذلك فهم يرون أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصىٰ عليًا بالأمة حال غيبته، وعينه خليفة نائبًا عنه بالقول الصريح، فهو مكمل لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

فعقيدة التوقف في الأمة، أول من ابتدعها السبأية، فقالت بالوقف في النبي صلى الله عليه وسلم، ثم في علي، ومما يتبع عقيدة التوقف عقيدة الغيبة والرجعة، أي

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٣٨).

(٢) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة (٢٠٥).

الظهور بعد الاختفاء، أو الحياة بعد الموت، وكل هذه العقائد منشؤها هو ابن سبأ[(١)].

٣- سب الصحابة: يعتبر ابن سبأ وأتباعه أول من أظهر الطعن في الخلفاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأعلن سبهم، وجعل ذلك من القرب التي يتقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ[(٢)].

٤- القول بالبداء: فالسبأية يزعمون أن الله عَزَّوَجَلَّ تبدو له البداوات، أي أنه يقضي بشيء، ثم يبدو له بعد ذلك شيء آخر، فيقضي به[(٣)]، وإن كان هذا القول اشتهر أكثر عن الفرقة التالية للسبأية وهي فرقة المختارية.

٥- الوصية: أي: أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصي للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالإمامة له نصًا»[(٤)].

٦- معراج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الروحي: أي صعود علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ السماء، ولم يقتل، وإنما الذي قتل هو شبيهه، وأنه سينزل وينتقم من أعدائه في الحياة الدنيا.

٧- ألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إله العالمين، لكنه توارىٰ عن خلقه سخطًا عليهم، وسيظهر، فبعضهم يرىٰ أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، ولذلك فإنهم إذا سمعوا صوت الرعد أو رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين[(٥)].

إن الناظر في هذا العقائد يظهر له جليًا أن السبأية هي أصل الشيعة

---

(١) انظر: غلاة الشيعة، فتحي الزغبي (٨٣، ٨٤).

(٢) انظر: المقالات والفرق لسعد القمي (٢٠، ٢١)، وفرق الشيعة للنوبختي (٢٢، ٢٣).

(٣) انظر: التنبيه والرد للملطي (١٩).

(٤) نشأة الفكر (٢/ ٤٠).

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه.

بمعناها الاصطلاحي، فالشيعة الإمامية الاثنا عشرية بداية نشأتها هي فرقة السبأية مع بعض الاختلافات في بعض العقائد، وأما العقائد الرئيسة فقد قبلتها كما هي مثل: القول بالنص والتعيين، والطعن في الصحابة، واعتقاد كتمان شيء من القرآن أو تأويله ليوافق معتقداتهم في الإمامة والإمام، والقول بالوقف والغيبة والرجعة والعصمة، هذه العقائد كلها قد قالت بها السبأية، وتابعها علىٰ ذلك الشيعة الإمامية الاثنا عشرية[1].

المعلومات / الفرقة	سبب التسمية	من أبرز العقائد المميزة لها عن غيرها	من أهم المعلومات عنها حالياً
السبأية	نسبة إلىٰ عبد الله بن سبأ اليهودي.	١- القول بعصمة علي. ٢- القول بالنص علىٰ إمامته. ٣- أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة ﷺ.	فكرها انتقل إلىٰ الشيعة ١٢.

(١) انظر: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة (٢٣٢ - ٢٣٦).

المطلب الثاني: فرقة المختارية أو الكيسانية

تمهيد:

المختارية أو الكيسانية فرقة شيعية غالية، تارة تنسب للمختار بن أبي عبيد الثقفي، وتارة تنسب إلىٰ كيسان أبي عمرة السائب بن مالك صاحب شرطة المختار.

وحلُّ الإشكال في هذه القضية بالقول بأن أصل عقائد هذه الفرقة منسوبة إلىٰ كيسان الذي انضم للمختار، وطوَّر عقائده تحت رعاية المختار وموافقته له، واستمرت هذه العقائد بعد مقتل المختار، ولذلك يطلق عليها الكيسانية، ويطلق عليها أيضًا المختارية.

ومن أبرز عقائد هذه الفرقة المتفرعة إلىٰ فروع كثيرة ما يلي:

١- القول بإمامة محمد ابن الحنفية، والطعن في إمامة الخلفاء الثلاثة.

٢- القول بأن محمد ابن الحنفية هو المهدي المنتظر، والقول بغيبته ورجعته.

٣- القول بجواز البداء علىٰ الله.

٤- القول بالتأويل الباطني لنصوص العقيدة والشريعة.

٥- ميل بعضهم إلىٰ القول بالتناسخ والحلول.

٦- القول بنبوة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ونزول الوحي عليه[1].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٩١- ٩٧)، والتنبيه والرد (٢٣)، والفرق بين الفرق (٣٨ - ٥٣)، والملل والنحل (١/ ١٤٧ - ١٥٠)، والتبصير في الدين (٢٦ - ٣٠)، وعقائد الثلاث وسبعين =

أئمة الكيسانية:

أ- المختار بن أبي عبيد الثقفي:

١- ولد المختار بن أبي عبيد الثقفي عام الهجرة، وليست له صحبة على الراجح، وكان مقتله عام ٦٧هـ، وأبوه من جلة الصحابة، وقد توفي أبوه في معركة الجسر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كان قائد تلك المعركة.

٢- إن المختار ليس له من اسمه نصيب، فقد كان متقلبًا، فهو تارة من الخوارج، وأخرى من أنصار عبد الله بن الزبير، وتارة زيديًا، وتارة من الشيعة الإمامية، وأخيرًا ادعى النبوة، ونزول الوحي عليه[(١)].

٣-هناك فرق بين شخصية المختار وشخصية كيسان، فليسا هما شخصًا واحدًا على الصحيح، بل كيسان جاره وأمين سره، وصاحب شرطته، ولا شك أن بداية تلك العقائد الفاسدة من كيسان، لكن المختار وافقه عليها، وزاد عليها خرافات كثيرة، واستمر كيسان يدعو لتلك العقائد حتى بعد وفاة المختار، فلا يعني إضافة تلك العقائد لكيسان براءة المختار منها[(٢)].

٤- إن كثيرًا من الناس فرحوا بما قام به المختار من تتبع من قتل الحسين رضي الله عنه أو شارك في ذلك، وقتلهم جميعًا، وشكروه لذلك، وشكروا له تخليص ابن عباس رضي الله عنه وابن الحنفية من الحصار في الشعب، عندما حصرهم ابن الزبير رضي الله عنه لامتناعهم عن بيعته.

=فرقة (١/ ٤٧٤ - ٤٧٦)، وفرق الشيعة (٢٦ - ٣٦)، والمقالات والفرق (٢١)، وغلاة الشيعة (٩١ - ١٤٥) دراسة عن الفرق (١٧١ - ١٧٧)، والكيسانية في التاريخ والأدب د. وداد القاضي.

(١) انظر: البداية والنهاية (٨/ ٢٨٩ - ٢٩٢)، والإصابة (٦/ ١٩٨ - ٢٠٠).

(٢) انظر: الكيسانية في الأدب والتاريخ (٥٦ - ٦٧).

ولكنَّهم عندما تبين لهم حقيقة المختار، وأنه ما فعل ذلك إلاَّ طلبًا للملك، وأنه تزين بالتشيع لآل البيت، وأظهر الدعوة لإمامة محمد بن الحنفية، فهو عندما استولىٰ علىٰ الكوفة، جعل إمامة ابن الحنفية صورية، ومنعه إياها، ثم أظهر الطوام والعقائد الفاسدة من ادعاء علم الغيب، والقول بالبداء، وادعاء نزول الوحي عليه، وتكليم جبريل له، وادعاء النبوة، والتعامل بالسحر، وغير ذلك من العقائد[1]، فلم يبق مادح.

يقول ابن كثير عن المختار: «فإنه كان أولًا ناصبيًا، يبغض عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغضًا شديدًا، وكان عند عمه في المدائن، وكان عمه نائبها، فلما دخل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خذله أهل العراق، وهو سائر إلىٰ الشام لقتال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد مقتل أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما أحس منهم بالغدر فر منهم إلىٰ المدائن في جيش قليل، فقال المختار لعمه: لو أخذت الحسن فبعثته إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لاتخذت عنده اليد البيضاء أبدًا. فقال له عمه: بئس ما تأمرني به يا ابن أخي، فما زالت الشيعة تبغضه حتىٰ كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبي طالب ما كان، وكان المختار من الأمراء بالكوفة، فجعل يقول: أما لأنصرنه. فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مائة جلدة، فأرسل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ يزيد بن معاوية يتشفع فيه، فأرسل يزيد إلىٰ ابن زياد فأطلقه، وسيره إلىٰ الحجاز في عباءة»[2].

وذكر ابن كثير أنه بعد ذلك قاتل مع ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم تحول إلىٰ الشيعة وأظهر الأخذ بثأر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم تحول لحرب ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ قتل[3].

---

(١) انظر: غلاة الشيعة (٩٨ - ١٠٦).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٢٩٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٨/ ٢٩٠ - ٢٩٢).

٥- ذكر ابن كثير أن الكذاب الوارد في صحيح مسلم: «إن في ثقيف كذابًا ومبيرًا»[(١)] هو المختار، قال: «وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، وكان يظهر التشيع، ويبطن الكهانة، وأسرَّ إلىٰ أخصائه أنه يوحىٰ إليه، ولكن ما أدري هل كان يدعي النبوة أم لا؟، وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال، ويستر بالحرير، ويحمل علىٰ البغال، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن، ولا شك أنه كان ضالًا مضلًا أراح الله المسلمين منه بعدما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩]»[(٢)].

٦- من الثابت أن الكيسانية ليست سوىٰ امتدادا للسبأية[(٣)]، وأن كثيرًا من السبأية كانوا من رجال المختار، وأنهم أغروه بتلك العقائد، ويكفي دلالة علىٰ ذلك حادثة الكرسي المضحكة المحزنة، وهو لزيات قد اتسخ بالزيت، أخبر المختارَ أحدُ رجاله - وقد كان معدمًا - أن الزيات يرىٰ فيه أثرة من علم، فطلبه المختار وأعطاه اثنا عشر ألفًا، وجمع الناس وأخبرهم أن هذا الكرسي في هذه الأمة، كالتابوت الذي كان في بني إسرائيل، فقامت السبأية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثًا، وكان يخرج بهذا الكرسي معه في حروبه يستنصر به[(٤)].

يقول البغدادي: «ثم إن المختار خدعته السبأية الغلاة من الرافضة فقالوا له: أنت حجة هذا الزمان، وحملوه علىٰ دعوىٰ النبوة، فادعاها عند

---

(١)

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٢٩٢).

(٣) انظر: التنبيه والرد (١٩)، والخوارج والشيعة لفلهوزن (١٦٨).

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٦/ ٨٢ - ٨٥).

خواصه، وزعم أن الوحي ينزل عليه، وسجع بعد ذلك فقال: أما وممشى السحاب، الشديد العقاب، السريع الحساب، العزيز الوهاب، القدير الغلاب لأنبشن قبر ابن شهاب، الكذاب المجرم المرتاب..»[١].

ب- كيسان:

كيسان أبي عمرة السائب بن مالك الأسعدي، جار المختار، وصاحب سره، وصاحب شرطته.

يقول عنه الشيخ المفيد: «وكان أشد إفراطًا في القول والفعل والقتل من المختار»[٢] وقد ذكر عنه عدة عقائد:

١- كان يقول إن المختار وصي محمد ابن الحنفية وعامله.

٢- كان يكفر كل من تقدم عليًا، ويكفر أهل صفين وأهل الجمل.

٣- وكان يزعم أن جبريل يأتي المختار بالوحي من عند الله، فيخبره بذلك ولا يراه[٣].

عقائد الكيسانية:

١- المهدية:

فرق الكيسانية يجمعها القول بإمامة محمد ابن الحنفية، ذكره غير واحد من كتاب الفرق، وقد ذكر أبو الحسن الأشعري أن الكيسانية انقسمت إلىٰ إحدىٰ عشرة فرقة، وذكر أن بعضهم يرىٰ أن الإمام مباشرة

---

(١) الفرق بين الفرق (٤٧، ٤٨).

(٢) المقالات والفرق (٢١).

(٣) انظر: المقالات والفرق (٢٢)، وانظر: فرق الشيعة (٢٣)، وغلاة الشيعة (١١٢ - ١١٨).

بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو محمد ابن الحنفية، وبعضهم يرىٰ أن ابن الحنفية إمام بعد الحسن والحسين[1].

تعتبر الكيسانية محمد ابن الحنفية أول مهدي في الإسلام، وهناك طائفة منهم يعتبرونه الإمام المهدي الوحيد، وأنَّه وصي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس لأحد من أهل البيت أن يخالفه أو يشهر سيفه إلا بإذنه، فهو عندهم الإمام الحقيقي، وصاحب الحق بعد الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة[2].

وقد اختلفوا حول سبب تغييبه في جبال رضوىٰ، فمنهم من يقول غيب لحكمة لا يعلمها إلا الله، ومنهم من يقول غيب لركونه إلىٰ عبد الملك بن مروان ومبايعته له[3].

٢- البداء:

تقول الكيسانية بجواز البداء علىٰ الله سواء في العلم أو في الأمر، ففي العلم أن يظهر لله - تعالىٰ الله - صواب علىٰ خلاف ما أراد وحكم، وفي الأمر أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك[4].

يقول البغدادي: «والثاني: قولهم بجواز البداء علىٰ الله، ولهذه البدعة قال بتكفيرهم كل من لا يجيز البداء علىٰ الله»[5].

وذكر سبب قولهم بهذه العقيدة، أن المختار وعدهم بالنصر علىٰ

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٩١ - ٩٧)، والفرق بين الفرق (٣٩).

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ٥٦).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٩٢، ٩٣)، والفرق بين الفرق (٤١، ٤٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/ ٥٧).

(٥) الفرق بين الفرق (٣٩).

جيش مصعب بن الزبير، فلما انهزموا قالوا له: لقد زعمت أن الوحي قد نزل عليك بالنصر، فقال المختار: إن الله تعالىٰ كان قد وعدني ذلك، لكنه بدا له، واستدل بقول الله: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، فهذا هو سبب قول الكيسانية بالبداء[١].

٣- العلم السري:

يقول الشهرستاني عن عقيدة الكيسانية في محمد بن الحنفية: «يعتقدون فيه اعتقادًا فوق حده ودرجته من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس»[٢]. فكانت الكيسانية تنسب إلىٰ محمد بن الحنفية العلوم السرية[٣].

ولهم عدة عقائد ظهرت بعد عصر محمد بن الحنفية، وهي:

٤- **الدين طاعة رجل.**

٥- **تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها إلىٰ رجال.**

٦- **والتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت**[٤].

يقول الشهرستاني عن العقائد الجامعة لفرقة الكيسانية: «ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتىٰ حملهم ذلك علىٰ تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وغير ذلك علىٰ رجال.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٥١، ٥٢).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٤٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢/ ٥٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/ ٥٩).

فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول، والرجعة بعد الموت، فمن مقتصر على واحد، معتقد أنه لا يموت، ولا يجوز أن يموت حتى يرجع، ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره، ثم متحسر عليه، متحير فيه، ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة، وكلهم حيارى متقطعون.

ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل، ولا رجل له فلا دين له. نعوذ بالله من الحيرة، والحور بعد الكور، رب اهدنا السبيل»[١].

وقد انقسمت الكيسانية إلى عدة فرق، فمنها من قالت بالوقف على محمد ابن الحنفية، ومنها من قالت بوفاته، وأن ابنه أبا هاشم هو وصيه وخليفته من بعده، واستمرت العقائد الغنوصية فيهم وقد تطورت عقائدها وأنشأت مجتمعًا عرف فيما بعد بمجتمع القرامطة، فالقرامطة هم الكيسانية الخلص وليسوا إسماعيلية كما يظن البعض[٢].

وإن كثيرًا من آراء الكيسانية قد انتقلت أيضا إلى عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

يقول النشار: «وكما أخذت الشيعة المعتدلة - فيما بعد - بكل العقائد التي أعلنها الشيعة في محمد بن الحنفية ونسبوها إلى الأئمة الاثني عشر، دخلت أيضًا العقائد الغنوصية بعد عهد أبي هاشم في عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في صورة معتدلة، وفي عقائد الشيعة الإسماعيلية في صورة مغالية»[٣].

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٤٧).

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ٦٣، ٦٤).

(٣) نشأة الفكر (٢/ ٦١).

إن أصل الشيعة الاثنا عشرية ومبدؤها هو السبأية، والكيسانية ليست إلا مرحلة من مراحل السبأية، بل هي السبأية باسم جديد، وقد تقدم بأن كثيرًا من السبأية كانوا من رجال المختار ومعاونيه، وبالنظر والمقارنة إلىٰ عقائد الكيسانية في محمد بن الحنفية، وعقائد الشيعة الاثنا عشرية في الإمام الثاني عشر نجدها متطابقة تمامًا.

المطلب الثالث: فرقة الخطابية

تمهيد:

الخطابية نسبة إلىٰ أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي، المقتول عام ١٣٨هـ، بدأ غلوه بالقول بأن جعفر الصادق يعلم الغيب، وأنه وصيه والإمام بعده، ثم غلا فادعىٰ النبوة، وأحلَّ المحرمات، ثم غلا فادعىٰ الألوهية.

والخطابية فرقة باطنية، امتداد للسبأية، وأصل للإسماعيلية، وقد انقسمت إلىٰ خمس فرق: معمرية وبزيغية وعميرية وسُرِية ومفضلية[١].

أبو الخطاب الأسدي:

١- هو محمد بن مقلاص، أبو زينب الأسدي الكوفي الأجدع الزراد البزاز، ويكنىٰ تارة أبا الخطاب، وأخرىٰ أبا الظبيان، وثالثة أبا إسماعيل»[٢].

٢- لقد كان أبو الخطاب يتدين بالكذب، ويعتبر إنكار جعفر الصادق وتبريه منه ومن عقائده الفاسدة من باب التقية[٣].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٧٦ - ٧٩)، والفرق بين الفرق (٢٣، ٢٢٦، ٢٤٧ - ٢٥٠) والملل والنحل (١/ ١٧٩ - ١٨١)، والتبصير في الدين (١٠٦، ١٠٧)، والمقالات والفرق للقمي (٥٠ - ٥٣، ٨١)، وفرق الشيعة للنوبختي (٤٢ - ٤٣، ٧٠)، وغلاة الشيعة للزغبي (٣١١ - ٣٢١)، وأصول الإسماعيلية للسلومي (١/ ٢٠٩ - ٢٢١)، والإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير (٤٦ - ٥٥)، وأصول الإسماعيلية برنارد لويس (٩٨ - ١٠٦).

(٢) نشأة الفكر (٢/ ٢٣١).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (٢٤٧)، والتبصير في الدين (١٠٦).

وقد ثبت كذبه علىٰ جعفر، حين قال بأن جعفر أخبره: بأنه يعلم الغيب وأنه جعله وصيه والإمام من بعده، وأنه علمه اسم الله الأعظم، فكان جعفر يحلف بالله علىٰ كذبه، ويتبرأ منه ويلعنه[1].

٢- يعتقد بأن الإله حلَّ في جعفر، فعندما تبرأ جعفر منه، زعم بأن الإله حل فيه هو، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ولذلك فإن أتباعه يعبدونه[2].

ذكر د. السلومي أن آراء أبي الخطاب مرت بثلاثة أدوار هي:

الدور الأول: ادعاء النبوة للأئمة، ثم ادعاؤها لنفسه، ثم ادعاؤه الرسالة، وادعاء أنه من الملائكة.

الدور الثاني: ادعىٰ أن روح الله حلَّت في جعفر الصادق، وبعده في نفسه..

الدور الثالث: ادعىٰ الألوهية لنفسه وللأئمة، إلاَّ أنه أعظم منهم جميعًا[3].

أبرز عقائد أبي الخطاب:

١- نسبة علم الغيب إلىٰ جعفر الصادق.

٢- القول بأن الإمام جعفر يعرف الاسم الأعظم، وأنه علمه إياه، وجعله الوصي والقيم من بعده.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧٩، ١٨١)، والمقالات والفرق (٥١، ٥٥).

(٢) انظر: المقالات والفرق (٨١)، وفرق الشيعة (٧٠).

(٣) انظر: أصول الإسماعيلية (١/ ٢١٢، ٢١٣).

٣- ادعىٰ النبوة، ثم ادعىٰ أنه من الملائكة، ثم ادعىٰ الرسالة.

٤- أحلَّ المحارم، وحط التكاليف، وأخبرهم بأن من عرف الرسول النبي الإمام - وهو أبو الخطاب - فليصنع ما أحب.

٥- نادىٰ بنظرية الإمام الناطق، والإمام الصامت، ففي عهد جعفر كان جعفر الناطق وهو الصامت، وبعده كان هو الناطق، كما كان عليًا صامتًا في عهد الرسول ﷺ، والرسول إمامًا ناطقًا، ثم بعد وفاة الرسول صار علي ناطقًا.

٦- زعم أن الأئمة آلهة، ونادىٰ بألوهية جعفر، ثم زعم بألوهية نفسه كما أن جعفر إله، إلا أنه أعظم منه ومن علي(١).

الفرق الخطابية:

نقسمت الخطابية بعد أبي الخطاب إلىٰ خمس فرق وهي: المعمرية والبزيغية والعميرية وفرقة السري والمفضلية.

أ- فرقة المعمرية:

أتباع معمر بن خيثم، وأهم آرائهم ما يلي:

- القول بخلود الدنيا، وأن الجنة والنار هما النعيم والبلاء في الدنيا.

- القول بالتناسخ.

- استحلال المحرمات، وإسقاط الواجبات.

- أن الله نور دخل في أبدان الأوصياء، دخل في جعفر ثم خرج منه، فدخل في أبي الخطاب، وصار جعفر من الملائكة، ثم خرج من أبي

(١) انظر: نشأة الفكر (٢/ ٢٣٢ - ٢٣٥).

الخطاب ودخل في معمر. تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا[1].

ب- البزيغية:

أتباع بزيغ بن موسىٰ، وأهم آرائهم:

- القول بألوهية جعفر.

- القول بنبوة بزيغ بعثه جعفر كما بعث أبا الخطاب.

- كل مؤمن يوحىٰ إليه.

- القول بأن من فرقتهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد[2].

جـ- العميرية أو العجلية:

أتباع عمرو بن بيان العجلي، وأهم آرائهم:

- القول بنبوة الأئمة.

- تأليه جعفر وعبادته، ونصبوا خيمة في كناسة الكوفة يجتمعون فيها علىٰ عبادة جعفر.

يرىٰ أنهم كانوا تلاميذ أمناء لأبي الخطاب، ولذلك فقد أنكرت القول بالتناسخ، والخلود في الدنيا.

ويشك في أن الآراء المذكورة سابقًا لهم، بل يظن أنها زيادة من مؤرخي السنة[3].

(١) انظر: المرجع السابق (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣).

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ٢٤٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢/ ٢٤٣، ٢٤٤).

د- فرقة السري:

أتباع السُّري بن منصور، وأهم آرائهم:

- أن السري رسول مثل أبي الخطاب، أرسله جعفر.
- أن جعفر هو الإسلام، والإسلام هو السلام، وهو الله، وهم أبناء الإسلام، أي: أبناء الله.
- يؤدون الفرائض من صلاة وصيام وحج لجعفر، ويلبون له[1].

هـ- فرقة المفضلية:

أتباع المفضل بن عمر الجعفي، وأهم آرائهم:

- القول بألوهية جعفر.
- القول بالبابية، فهو وابنه الباب الموصل للإمام[2].

الصلة بين الخطابية والإسماعيلية:

قد قام عدة من الباحثين المستشرقين ببحث هذه الصلة، فخرجوا بأن المؤسس الأول للإسماعيلية هو أبو الخطاب.

يقول إحسان الهي ظهير: «وعلىٰ كلٍّ، إنني لأرىٰ رأي ماسينيون وفريد ليندر من الباحثين المستشرقين بأن المؤسس الأول للإسماعيلية هو أبو الخطاب، كما أوافق القمي والنوبختي علىٰ أن الخطابية هي الإسماعيلية الخالصة»[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: نشأة الفكر (٢/ ٢٤٤).

(٣) الإسماعيلية (٥٥).

وقد قام د. السلومي ببحث الصلة بين الفرقتين من ناحية العقائد، ومن ناحية النصوص التاريخية فخرج جازمًا بأن المؤسس الأول لمذهب الإسماعيلية هو أبو الخطاب، وإسماعيل، متعاونين، لكن غلو الأول وافتضاحه أمام الملأ سرعان ما قضىٰ عليه، وحل محله صاحبه إسماعيل بن جعفر، وبالتالي توجه الأتباع والتلاميذ من الخطابية إلىٰ القول بإمامة إسماعيل فأصبح الخطابية هم الإسماعيلية الخالصة[1].

---

(١) انظر: أصول الإسماعيلية (١/ ٢١٤ - ٢٢١).

المطلب الرابع: فرقة الاسماعيلية

تمهيد:

الإسماعيلية فرقة رافضية باطنية، منشقة عن الشيعة الإمامية، بعد وفاة جعفر الصادق عام ١٤٨هـ، وقد اعتبرت إمامها السابع هو إسماعيل بن جعفر أو ابنه محمد بن إسماعيل علىٰ اختلاف بينهم، بخلاف الشيعة الاثنا عشرية فقد ساقت الإمامة إلىٰ موسىٰ بن جعفر.

والإسماعيلية امتداد لفرقة الخطابية، ولها ألقاب عديدة، بحسب المكان الذي تظهر فيه، وبحسب الشخص الذي يقوم بالدعوة إليها، وأحيانًا بحسب أبرز عقيدة تظهرها، ومن تلك الألقاب: الباطنية، والسبعية، والمباركية، والميمونية، والقرامطة، والمزدكية، والملاحدة، والعبيدية، ونحو ذلك.

وقد مرَّت الإسماعيلية بدور الستر، استمر منذ نشأتها، إلىٰ ظهورها في اليمن ثم المغرب والبحرين وتكوين الدولة العبيدية وعاصمتها القاهرة، ثم بعد أن قضىٰ عليهم صلاح الدين الأيوبي في مصر، عادوا في دور الستر مرة أخرىٰ.

وعقائد الإسماعيلية عبارة عن مزيج من فلسفات مختلفة، أبرزها الفلسفة اليونانية، وجميعها تهدف بوضوح إلىٰ هدم الإسلام في عقائده وشرائعه، فيتسلطون علىٰ دين الله بتأويلات باطنية تذهب وتجعله لا قيمة له[1].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٠ - ١٠١)، والتنبيه والرد (٣٢، ٣٣)، والفرق بين الفرق (٦٢ - ٦٤، ٢٨٢ - ٣١٣)، والملل والنحل (١/ ١٩١ - ١٩٨)، والتبصير في الدين (٣٣، ١١٨ - ١٢٤)،=

نشأة الإسماعيلية ومنشؤها:

١- نشأت فرقة الإسماعيلية بعد وفاة جعفر الصادق، بأن ساقت الإمامة إلىٰ إسماعيل بن جعفر أو إلىٰ ابنه محمد بن إسماعيل[1]، بدلا عن موسىٰ بن جعفر، ولكن بذورها قد وضعت علىٰ يد أبي الخطاب، حتىٰ قال بعض المؤرخين إن الإسماعيلية الأولىٰ هي الخطابية، وقال كثير منهم: إن أكثر الخطابية قد انضموا إلىٰ الإسماعيلية، والصواب أن الإسماعيلية قد ظهرت من قبل علىٰ يد أبي الخطاب، فهي الخطابية، ولكن لم يطلق عليها لقب الإسماعيلية إلاَّ بعد وفاة جعفر الصادق.

٢- من أبرز الشخصيات التي كانت لهم دور في نشأتها ثلاثة:

أ- **المبارك الكوفي**: وهو خادم محمد بن إسماعيل، دعا إلىٰ إمامة سيده بعد وفاة جعفر الصادق، وأسس فرقة المباركية، «وهي الفرقة الأولىٰ الموسومة باسم الإسماعيلية»[2].

ب- **أبو الخطاب الأسدي**: مؤسس فرقة الخطابية التي هي أصل الإسماعيلية.

= وعقائد الثلاث والسبعين فرقة (٢/ ٤٧٧ - ٤٨٠، ٤٨٩ - ٧٣٢)، والمقالات والفرق (٨١ - ٨٦)، وفرق الشيعة (٦٧)، ومشكاة الأنوار للإمام يحيىٰ بن حمزة، وقواعد عقائد آل محمد لمحمد بن حسن الديلمي، وأصول الإسماعيلية للسلومي، وأصول الإسماعيلية لبرنارد لويس، والإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير، والحركات الباطنية للخطيب (٥٧ - ١٩٥)، ودراسة عن الفرق لجلي (٢٦٥ - ٣١٠)، وغلاة الشيعة للزغبي (١٤٧ - ١٩٠).

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٠، ١٠١)، والفرق بين الفرق (٦٢، ٦٣)، والملل والنحل (١/ ١٩١).

(٢) نشأة الفكر (٢/ ٢٧٧).

٣- **ميمون القداح، وابنه عبد الله**: ميمون مولىٰ جعفر الصادق، الذي نشر الدعوة لإسماعيل ثم لابنه محمد بن إسماعيل، ثم قام بالدور بعده ابنه عبد الله بن ميمون[١].

أئمة الإسماعيلية:

من أبرز أئمة الإسماعيلية: إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل، وميمون القداح، وعبد الله بن ميمون.

أولًا: إسماعيل بن جعفر:

١- ورد في كتب الشيعة والسنة إثبات وفاة إسماعيل في حياة أبيه، ووافقهم علىٰ ذلك أكثر الإسماعيلية، وأمَّا القول بأن أباه أظهر وفاته، وأشهد علىٰ ذلك، وقام بدفنه تقية وخوفًا عليه، فهو أشبه بالخرافات والأساطير[٢].

يقول د. السلومي: «ومع التتبع للكثير من المصادر التاريخية نجد أن موت إسماعيل في حياة أبيه هو الصحيح، وأن القول بغيبته أو رجوعه حيًا بعد أن مات هو من ألاعيب الإسماعيلية، وضحكهم علىٰ الأغبياء»[٣].

٢- نسب إلىٰ إسماعيل بن جعفر عدم الخضوع للتكاليف الشرعية، وإدمان الخمر، والاتصال بالغلاة.

وأمَّا إحسان إلهي ظهير ود. السلومي والمستشرق برنارد لويس

(١) انظر: المرجع السابق (٢/ ٢٧٩ - ٢٨١).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (٦٣)، والملل والنحل (١/ ١٩١).

(٣) أصول الإسماعيلية (١/ ٢٥٧)، وانظر: الإسماعيلية لظهير (٦٣)، وغلاة الشيعة للزغبي (١٤٩).

فإنهم يثبتون الصلة الوثيقة بين إسماعيل والغلاة[1]، ولكن جميع الأدلة التي ذكروها منقولة من كتب الشيعة الاثنا عشرية، وهم عمومًا ينبغي أخذ رواياتهم بحذر شديد، وفي هذه المسألة علىٰ وجه الخصوص، فهم هنا علىٰ مفرق عقدي مهم، إذ يعتقدون انتقال الإمامة من جعفر إلىٰ ابنه الأصغر موسىٰ، وهذه مشكلة كبيرة عندهم تستوجب الطعن في جميع إخوة موسىٰ لتثبت له الإمامة، والقول بإمامة موسىٰ عندهم من أصول الدين، فينبغي عدم الشك في استحقاقه إياها، وعدم استحقاق أي واحد من إخوانه لها، ولذلك فإن الجزم باعتناق إسماعيل لآراء الخطابية استنادًا علىٰ روايات الشيعة الاثنا عشرية فحسب مغامرة، لاسيما وأن أباه هو الذي تولىٰ دفنه علىٰ الصحيح، مما يعني رضاه عنه، ومحبته له، والله أعلم.

ثانيًا: محمد بن إسماعيل:

١- لا توجد - علىٰ حسب ما وقفت عليه من الكتب - معلومات مفيدة عن حقيقة محمد بن إسماعيل، سوىٰ أنه عاش في الحجاز، ولم يعرف عنه أي عقائد غالية، ولكن كتب الإسماعيلية هي التي تذكر أنه خرج متسترًا طالبًا للإمامة[2]، وهؤلاء قد عرف عنهم الكذب ونسبة عقائدهم الغالية إلىٰ آل البيت، ويكفي في كذبهم القول بأنه خلَّف أبناءً، وهو الذي مات ولم يعقب[3]، وهذا شيء ظاهر ومع هذا كذبوا عليه فيه، فكيف بالكذب عليه

(١) انظر: الإسماعيلية لظهير (٥٦ - ٦٠)، وأصول الإسماعيلية للدكتور السلومي (٢٥٨)، وأصول الإسماعيلية لبرنارد (١١١).

(٢) انظر: عيون الأخبار وفنون الآثار للداعي إدريس عماد الدين (٣٥١ - ٣٥٦).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (٦٤)، واللباب لابن الأثير (١/ ٤٣)، ومجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٢٨ - ١٣٦).

في الأمور الخفية كالعقائد، ولذلك فإن الواجب على الباحث الحذر حين تعامله مع هذه المعلومات في كتب الإسماعيلية سواء عن إسماعيل بن جعفر أو عن ابنه محمد بن إسماعيل.

٢- وفق د. المغربي في رسالته دور اليهود في الفرق الباطنية، حين قرر أن العقائد الباطنية ظهرت من الكوفة لا من المدينة، والكوفة لم يقم فيها محمد بن إسماعيل، فهذا يعني كما يقول: «بكل صراحة أنه لا علاقة لمحمد بن إسماعيل بالدعوة الباطنية الإسماعيلية، بل ربما أمكن القول إنه لا يدري شيئًا عن إمامته والدعوة إليه»[١].

ثالثًا: ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون:

إن وجود ميمون القداح وابنه حقيقة ثابتة عند السنة والشيعة الإمامية والإسماعيلية[٢]، ولم يشذ في ذلك إلاَّ عارف تامر في عصرنا الحاضر[٣] وقد رد مصطفى غالب على عارف تامر ردًا قاسيًا قال فيه: «وهناك أسطورة جديدة طلع بها علينا عارف تامر في كتابه (القرامطة)، تحت عنوان أسطورة ميمون القداح.. ونحن نستغرب أن يطلع علينا التامر بمثل هذه الأسطورة الجديدة لنضيفها إلى الأساطير السابقة، وهو الذي أتى على ذكر ميمون القداح وولده والحسين الأهوازي في كتاباته أكثر من مرة، وسماهم بالدعاة الأفذاذ، والحجج الكبار الذين قامت على عواتقهم الحركة الإسماعيلية في عصورها الأولى، ولا ندري كيف يجيز لنفسه النزاعة إلى إيجاد وخلق الأساطير الوهمية الخيالية، فيحكم على من سماهم بالأمس القريب

(١) نقلا عن أصول الإسماعيلية للدكتور السلومي (٢٦٤).

(٢) انظر: أصول الإسماعيلية، لبرنارد لويس (١٣٣ - ١٦٠).

(٣) انظر: القرامطة له (١٠٨).

علماء وحججًا وأبوابًا بالإعدام ويعتبرهم أشخاصًا خياليين لا وجود لهم في التاريخ - مع أن المصادر الإسماعيلية تجمع علىٰ أنهم تسنموا مراكز قيادية خطيرة في تنظيمات الدعوة السرية - بدون أن يرجع إلىٰ ما كتبه هو نفسه عنهم، أو علىٰ الأقل يدعم اكتشافه هذا بأي نص علمي تاريخي»[1].

وقد أورد د. السلومي عدة نصوص تتحدث عن ميمون القداح وابنه، واستخلص منها عدة حقائق، وكانت الحقيقة الأولىٰ في إثبات وجود هاتين الشخصيتين حقيقة، وليستا عبارة عن اسمين مستعارين لإسماعيل بن جعفر وابنه محمد، واعتبر القول بهذا شذوذ مع مخالفته للأدلة والواقع[2].

وأمَّا بالنسبة للنسب فقد اختلف كتاب الفرق في نسبهم إلىٰ قسمين: منهم من ينسبهما إلىٰ اليهود، ومنهم من ينسبهما إلىٰ المجوس، وهناك شبه إجماع علىٰ أنهم ليسوا من آل البيت، واختلفوا كذلك في عبيد الله المهدي الذي تنسب إليه الدولة العبيدية، هل هو من نسل القداح، فيكون انتسابه إلىٰ محمد بن إسماعيل باطلًا، أم هو من نسل محمد بن إسماعيل حقيقة؟

والفصل في هذه المسألة، ما قرره الجمع الغفير من علماء الأنساب وكتاب التاريخ ومؤرخي الفرق، أن ميمون القداح مولىٰ من الموالي العجم، غير معروف النسب علىٰ وجه الحقيقة، وأن عبيد الله المهدي من نسله، وليس من نسل محمد بن إسماعيل، الذي مات ولم يعقب ولدًا.

ومن المهم أيضًا، إيضاح الفرق بين عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي الإسماعيلي، وبين عبد الله بن ميمون القداحي المكي المحدث

---

(١) نقلا عن الحركات الباطنية في الإسلام (٩٠).

(٢) انظر: أصول الإسماعيلية (١/ ٢٤٣).

عند الشيعة الاثنا عشرية، فبينهما فرق كبير، فالمكي عاش في القرن الثاني الهجري، والأهوازي عاش في القرن الثالث الهجري.

فالمكي كانت وفاته عام١٨٠هـ[١]، والأهوازي ظهرت بدعته سنة عشرين ومائتين[٢].

يقول د. السلومي بعد إجرائه مقارنة بين الشخصيتين من نواحي متعددة: «ومما قدمنا يتضح الفرق بين عبد الله بن ميمون القداح المكي، وبين عبد الله بن ميمون القداحي الأهوازي، سواء من ناحية العقيدة لكل منهما، أو النسبة لمكان كل واحد، أو الزمن الذي عاشه أي منهما، ونتيجة لعدم إدراك هذا الفرق بين المكي والأهوازي حصل خلط كثير بين هاتين الشخصيتين المتفاوتتين عقيدة وأهدافًا وزمنًا ونسبة، وكانت نتيجته وقوع العديد من الكتاب في أحكام خاطئة»[٣].

الفرق الإسماعيلية:

من أبرز فرق الإسماعيلية: الإسماعيلية الأولىٰ، والمباركية، والميمونية أو الإسماعيلية الباطنية.

أولًا: الإسماعيلية الأولىٰ (الخالصة)

الإسماعيلية الأولىٰ، وتسمىٰ أيضًا الخالصة، ترىٰ أن الإمام السابع هو إسماعيل بن جعفر سواء مات في حياة أبيه حقيقة أو تقية، وأن الإمام بعده هو محمد بن إسماعيل.

---

(١) انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٦).

(٢) انظر: اللباب (٢/ ٢٠٠).

(٣) أصول الإسماعيلية (١/ ٢٥٠).

ذكر هذه الفرقة الشهرستاني في الملل والنحل[1]، والنوبختي في فرق الشيعة[2]، ولكن الشهرستاني عرض عقيدة الإسماعيلية عامة، ولم يقصد التمييز بينها بخلاف النوبختي، فالنوبختي بيَّن أن الإسماعيلية الخالصة تجزم بأن إسماعيل بن جعفر لم يمت في حياة أبيه، وقالوا كان ذلك علىٰ جهة التلبيس من أبيه علىٰ الناس؛ لأنه خاف عليه فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتىٰ يملك الأرض، ويقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم؛ لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده[3]..

ثانيًا: الإسماعيلية المباركية (الحديثة)

١- هذه الفرقة تنسب إلىٰ المبارك الكوفي، والمبارك شخصية غامضة، قيل إنه حجازي، وأنه كان خادمًا لمحمد بن إسماعيل، وقيل إنَّه قرمطويه الذي تنسب إليه القرامطة.

٢- معتقد هذه الفرقة أن الإمام السابع هو محمد بن إسماعيل؛ لأن إسماعيل مات في حياة أبيه.

٣- هذه الفرقة حفظ اسمها في التاريخ مختلطًا أحيانًا باسم الإسماعيلية الحديثة، وأحيانًا أخرىٰ باسم الباطنية، وما زال لها أنصار في سلطان جوهر الحالي وأتباعه الإسماعيلية، وهم يسمون أحيانًا بالمباركية[4].

٤- المباركية من فرق الإسماعيلية، ولذلك جزم البغدادي أن

---

(١) انظر: (١/ ١٩١).

(٢) انظر: (٦٩).

(٣) انظر: فرق الشيعة للنوبختي (٦٧، ٦٨)، والمقالات والفرق للقمي (٨٠).

(٤) انظر: نشأة الفكر (٢/ ٢٧٧).

معتقدهم في محمد بن إسماعيل موافق لمعتقد الإسماعيلية الباطنية[1]. لهذا فالصحيح هو الجزم بأن فرق الإسماعيلية كلها غالية سواء الخالصة أو المباركية أو الميمونية.

ثالثًا: الميمونية (الإسماعيلية الباطنية)

١- فرقة الميمونية تنسب إلىٰ ميمون القداح، تقول بإمامة محمد بن إسماعيل بعد جده جعفر الصادق، لوفاة إسماعيل في حياة أبيه، وقد كان الحجة هو ميمون القداح في عهد إمامة محمد بن إسماعيل وجزءٌ من إمامة عبد الله بن محمد بن إسماعيل، ثم بعد وفاته صار الحجة هو ابنه عبد الله بن ميمون بن القداح.

٢- تسمىٰ هذه الفرقة أحيانًا بالإسماعيلية الخطابية، وتارة بالإسماعيلية الباطنية، وتارة بالباطنية القديمة.

٣- هذه الفرقة تطورت في عقيدتها، وأخذت تجمع وتلفق بين مختلف الآراء، حتىٰ خرجت بآراء مخلوطة بالفلسفة اليونانية والغنوصية وغيرهما، وصارت هي العقائد المعتمدة لدىٰ سائر طوائف الإسماعيلية.

وسيكون فيما يلي عرض لأبرز تلك العقائد:

١- عقائد الإسماعيلية في الإمامة والإمام.

٢- عقائد الإسماعيلية في الذات الإلهية.

٣- عقائد الإسماعيلية في النبوة والأنبياء.

٤- عقائد الإسماعيلية في الآخرة.

٥- عقائد الإسماعيلية في التكاليف الشرعية.

---

(١) انظر: المرجع السابق (٦٤).

عقائد الإسماعيلية الباطنية:

أولا: في الإمامة والإمام:

١- معتقدهم في الإمامة بأنها ركن الدين وأساسه، وأنها منصب إلهي، متمم لمنصب النبوة، وأنها تكون بالنص والتعيين، كما تقوله الشيعة الاثنا عشرية تمامًا، إلاَّ أن الفرق بينهما أن الشيعة الاثنا عشرية ترىٰ أنها انقطعت عند الإمام الثاني عشر، وأما الإسماعيلية فترىٰ أنها دائمة مستمرة.

ومن المهم التنبه إلىٰ أن الإمامة يحصرونها بعد الإمام السابع في نسل محمد بن إسماعيل خاصة، وبهذا تميزوا عن سائر فرق الشيعة، ويعتقدون أن الإمامة تنتقل من الوالد لولده، ومع هذا يخالفونها في بعض الأحيان فيحصل عندهم التفرق والانقسام بسبب ذلك.

٢- معتقدهم في الإمام بأنهم يعتقدون عصمته ونورانيته، وأنه يتحكم في الكون، وأن العقل الكلي يتجلىٰ فيه.

أ- القول بعصمة الأئمة، وعلمهم الغيب.

ب- القول بنورانيتهم.

يعتقدون في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب أنهما خلقا من نور واحد وهو نور الله تعالىٰ، ثم اعتقدوا أن هذا النور انتقل في أئمتهم بعد ذلك[1].

جـ- القول بأن لهم سلطة كونية، وأنهم مثل العقل الكلي:

قام د. محمد كامل حسين ببحث هذه القضية فخرج بالنتيجة التالية:

يقول: «إن ما يقوله المسلمون عن الله ﷻ خلعه الإسماعيلية علىٰ

(١) انظر: أصول الإسماعيلية للدكتور السلومي (٢/ ٤٢٧).

العقل الكلي، فهو الإله عند الإسماعيلية، وإذا ذكر الله عند الإسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي. والعقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني، ومعنىٰ هذا عندهم: أن كل الأسماء والصفات الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ تصرف إلىٰ العقل الكلي، ومن ثم هي للإمام؛ لأنه مثل للعقل الكلي، فأسماء الله الحسنىٰ التي قالوا إنها أسماء للعقل الكلي هي أسماء للإمام، فالإمام إذن هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار..»(١).

د- القول بتأليه الأئمة:

١- الاعتقاد بألوهية الأئمة، وإطلاق صفات الله عَزَّوَجَلَّ عليهم.

٢- الخضوع والانحناء والسجود للأئمة، وصرف سائر العبوديات لهم»(٢).

هـ- القول بنبوة محمد بن إسماعيل، ونسخه للشريعة المحمدية:

يقول القمي والنوبختي: «ومعنىٰ القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة، وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد، وأن محمد بن إسماعيل من أولي العزم، وأولو العزم عندهم سبعة: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد وعلي ومحمد بن إسماعيل»(٣).

ويبين د. السلومي معتقداتهم في محمد بن إسماعيل ومنها:

«أنه ناسخ لشريعة الأنبياء والمرسلين من قبله، مع النص منهم علىٰ

---

(١) طائفة الإسماعيلية (١٥٨، ١٥٩).

(٢) أصول الإسماعيلية (٢/ ٤٤٣).

(٣) المقالات والفرق (٨٤)، وفرق الشيعة (٧٣).

نسخه لشريعة نبينا محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - والتي يسمونها بالدور السادس أو شريعة الرسول السادس»[1].

٣- نظرية التبني الروحي، ونظرية الاستقرار والاستيداع، عند الإسماعيلية، ويعتبر د. لويس من أوائل من بحث هذه القضية وآثارها.

يقول: «إن الحركة الباطنية بما لها من ميول غنوصية قوية، وبتعويلها الشديد علىٰ النواحي الباطنية للأشياء دون المادية الظاهرية منها بلغت بسهولة وبشكل طبيعي حدًا اعتبرت فيه العلاقة المادية بين الأب وابنه - وهي التي تتصل بالبدن التافه الزائل وحده - أقل أهمية وحقيقة من العلاقة الروحانية بين المعلم والتلميذ، المنبعثة من النفس الخالدة، وينتج عن هذه العقيدة أن التلميذ أحرىٰ بأن يكون الابن والوارث الحقيقي من النسل الطبيعي للإنسان. حتىٰ لقد ارتأىٰ بعضهم أن كلمتي (أب)، و(ابن) في الأعلام الإسماعيلية إنما استعملتا بهذا المعنىٰ أحيانًا»[2].

وذكر التفريق بين الإمام المستقر والمستودع، وبين أن هذه العقيدة معروفة بين الفرق الغالية قبل الإسماعيلية، وليس لهم دور فيها إلاَّ التنظيم[3].

وبمعرفتنا لهاتين النظريتين تنحل مشكلة النسب العبيدي، وادعاؤهم الإمامة، فهم ينتسبون لمحمد بن إسماعيل روحيًا، وهم أئمة استيداع لا استقرار، وتوارثوها من باب المحافظة عليها، لا أنهم أئمة استقرار، وعلىٰ كل حال، فهم لا يلتزمون حتىٰ بقوانينهم، ويؤولونها بما يوافق رغباتهم.

---

(١) أصول الإسماعيلية (٢/ ٤٤٤).

(٢) أصول الإسماعيلية (١١٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٢٦).

ثانيا: عقائد الإسماعيلية في الذات الإلهية:

١- معتقد الإسماعيلية يؤمنون بالله ظاهريًا؛ لأن الواقف علىٰ مذهبهم يجزم أنهم يحاولون نفي وجود الله تعالىٰ، وأنهم يحتالون بنظرية الفيض الأفلوطينية للتوصل إلىٰ تعطيل الله عن أسمائه وصفاته وأفعاله، وجعل المسئول عن تدبير العالم السفلي هو الإمام، ويخلعون كل أسماء الله وصفاته علىٰ الإمام، وكل ما يستحقه الله من التذلل والعبادة يتوجه به إلىٰ الإمام، فكيف يقال لهؤلاء المعطلة الملاحدة المشركين أنهم مؤمنون بالله تعالىٰ.

فالخالق إذن عند الإسماعيلية تبعًا لهذا الاعتقاد هو العقل الكلي والنفس الكلية، وبمعنىٰ آخر: إن ما يقوله جمهور المسلمين عن الله ﷻ خلعه الإسماعيليون علىٰ العقل الكلي الذي هو الإله عندهم.

وهم لم يذهبوا هذا المذهب في التعريف بالله، ولم يركبوا هذا المركب الصعب عبثًا، بل عمدوا إلىٰ ذلك لإسباغ صفة خاصة علىٰ الإمام الذي قالوا إنه من البشر، فقالوا إن العقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني، وانتهوا من ذلك إلىٰ أن جميع الأسماء والصفات التي خلعت علىٰ العقل الكلي هي أيضًا أسماء وصفات خلعت علىٰ الإمام، لأن الإمام مثل للعقل الكلي، فأسماء الله الحسنىٰ جميعًا هي أسماء للإمام..»[١].

٢- مذهب الإسماعيلية في الصفات الناظر من أول وهلة يفهم أن هؤلاء لا ينزهون الله، بل يذمونه - جل جلاله - ويكذبون رسوله ﷺ، ويصفونه بصفات لا تصدق إلا علىٰ الممتنعات، فكما أن الوصف بالنقيضين ممتنع

(١) إسلام بلا مذاهب (٢٥١).

في بدائه العقول، فكذلك الوصف برفعهما، فالذي لا يجيز وصف الله بأنه موجود ولا معدوم، فهو يصفه بأنه ممتنع الوجود، وهذا مرادهم.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنهم، ويسميهم بغلاة المعطلة: «فغاليتهم، يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل؛ لأنهم - بزعمهم - إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بدائه العقول، وحرفوا ما أنزل الله تعالىٰ من الكتاب، وما جاء به الرسول ﷺ، ووقعوا في شر مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات، إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات»[1].

ويقول: «وإنما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة: النفاة من القرامطة الإسماعيلية الباطنية ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنىٰ، ويقولون: ليس بحي ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز ولا موجود ولا معدوم، فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون له حقيقة، ثم يقول بعضهم: إن هذه الأسماء لبعض المخلوقات، وإنها ليست له حقيقة ولا مجازًا.

وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون: الملاحدة؛ لأنهم ألحدوا في أسماء الله وآياته.. ولهذا كانوا عند المسلمين أكفر من اليهود والنصارىٰ»[2].

٣- الإسماعيلية شابهوا المجوس الثنوية في معتقدهم بوجود خالقين اثنين لهذا العالم أحدهما النور وهو فاعل الخيرات، والآخر الظلمة وهو فاعل الشرور، وأن النور أكمل من الظلمة، وهؤلاء يعتقدون بأن العالم صدر

(١) التدمرية (١٦).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٥/ ١٩٧).

من العقل الأول (السابق)، (القلم)، ومن النفس الفلكية (التالي)، (اللوح)، وأن العقل أكمل من النفس الفلكية، فنفي النشار بشدة أي صلة بينهم وبين المجوس لا ينبغي أن يصدر من عالم مثله بالمذاهب، ولا تهوين هذه الصلة بأنهم إنما استفادوا في بعض الجزئيات من المجوس، بل هم يدعون صلتهم بجميع الأديان، من اليهود والنصارىٰ والمجوس، ويفتخرون بذلك.

فمعتقدهم في الله قائم علىٰ عدة ضلالات، بل كفريات وهي:

أ- الإشراك بالله عَزَّوَجَلَّ، وأن لهذا الكون آلهة متعددة.

ب- تعطيل الله عَزَّوَجَلَّ بنفي أسمائه وصفاته عنه جملة وتفصيلًا.

ت- تأليه الكواكب والموجودات العلوية، ونسبة جميع الأعمال الإلهية إليها[١].

ث- تأليه الأئمة، وإضفاء جميع الصفات الإلهية التي منحوها العقل الكلي علىٰ الإمام، فهو ممثله في العالم السفلي، فكل حد روحاني علوي له ممثول في الصور الجسمانية السفلية، بناء علىٰ نظرية المثل والممثول[٢].

٤- العقيدة الإسماعيلية في الله جل جلاله، وفي خلق العالم لها مصادر عديدة، وليس مصدرًا واحدًا، وأن من أهم مصادرهم الفلسفة الفيثاغورية المحدثة مختلطة بأفلوطينية، فإنهم بلا شك درسوا فلسفات عصرهم، والأديان الموجودة، وجمعوا مزيجًا منها ليخرجوا بهذه العقيدة الإلحادية التي فارقوا بها جميع الأديان، طمعًا في تكوين دين جديد، يصلح لجميع الزنادقة المارقين عن أديانهم.

---

(١) انظر: أصول الإسماعيلية (٥٤٢، ٥٤٣).

(٢) انظرها في: الحركات الباطنية للخطيب (٨٩).

ثالثا: عقائد الإسماعيلية في النبوة والأنبياء:

يعتقدون نبوة محمد بن إسماعيل وإتيانه بشريعة ناسخة للشريعة المحمدية، ويعتقدون نزول الوحي علىٰ قلب القائم بما يفيض عليه من العقل الكلي.

فلهم أربع ضلالات في هذا الباب وهي:

١- اعتبارهم النبوة مكتسبة، يمكن نيلها بالجهد والتعلم والرياضات النفسية.

٢- اعتبارهم مرتبة الولاية والوصاية أعظم قدرًا ومنزلة من رتبة النبوة والرسالة.

٣- أنكروا معجزات الأنبياء والرسل، واعتبروها من باب الشعوذة.

٤- عدم إيمانهم بختم النبوة بمحمد ﷺ[١].

رابعا: عقائد الإسماعيلية في أمور الآخرة.

استعمال الإسماعيلية التأويل الباطني حتىٰ فيما يتعلق بأمور الآخرة من الجنة والنار، وأن المراد بالجنة هي إباحة المحارم وجميع ما خلق الله في هذه الدنيا.

معتقد الإسماعيلية في اليوم الآخر يؤولونه تأويلًا باطنيًا، ليكون ذلك كله في الدنيا، فالجنة عبارة عن إباحة المحرمات، والنار عبارة عن التمسك بالتكاليف الشرعية.

---

(١) انظر: أصول الإسماعيلية (٥٩٦)، وانظر: الإسماعيلية لظهير (٣٢١ - وما بعدها).

فمعتقداتهم في اليوم الآخر، تقوم على الأصلين التاليين:

١- القول بالظاهر والباطن، وبناء على ذلك فقد جعلوا لجميع ما ورد في الكتاب والسنة من الموت وعذاب القبر والجنة والنار باطنًا غير المعروف عند المسلمين.

٢- القائم السابع، حيث اعتبروا ظهوره إيذانًا بقيام القيامة، وخراب الأفلاك، وبدء الحساب والجزاء[١].

خامسا: عقائد الإسماعيلية في التكاليف الشرعية:

معتقد الإسماعيلية في الشرائع، يعتبرون التمسك بها من العذاب الذي توعد الله به عباده، وأن التحلل منها هو السعادة والنجاة المنوطة بمعرفة الإمام.

فمعتقدهم في التكاليف الشرعية مبني على أمرين اثنين هما:

١- القول بالظاهر والباطن، فما من نص ورد عن الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج أو الجهاد إلا وجعلوا له معنيين، المعنى الظاهر وهو ما فهمه المسلمون، والمعنى الباطن وهو ما اكتشفوه واعتبروه من خواص أئمتهم.

٢- الاعتقاد في البعث والجزاء والثواب والعقاب، حيث اعتبروا مزاولة الأعمال الشرعية التكليفية عقابًا وعذابًا لمخالفيهم، وبالمقابل فإن أتباعهم المؤمنين بدعوتهم وصلوا - بزعمهم - إلى مرتبة تحط عنهم فيها جميع التكاليف والأعمال البدنية، وهذا هو خلاصة معنى الثواب والجزاء الذي يؤمنون به[٢].

(١) انظر: أصول الإسماعيلية (٦٢٣)، وانظر: دراسة عن الفرق لجلي (٢٨٣).

(٢) انظر: أصول الإسماعيلية (٦٤٤، ٦٥٠).

المطلب الخامس: فرقة النصيرية

تمهيد: التعريف، وسبب التسمية:

فرقة باطنية، منشقة عن الشيعة الاثنا عشرية، بعد موت إمامها الحادي عشر، حينما أعلن رئيسها محمد بن نصير أنه الباب للإمام الثاني عشر الغائب، وتتميز بتأليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تسمىٰ هذه الفرقة بالنصيرية نسبة إلىٰ ابن نصير، لشهرة إمامها به، فهو محمد بن نصير النميري الفارسي.

وتسمىٰ هذه الرقة أيضًا بالنميرية، نسبة للقب إمامها.

وتسمىٰ بالعلوية، نسبة لأبرز معتقداتها، وهو تأليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهم يقبلون التسمية بالعلويين، ولا يقبلون التسمية بالنصيرية إلَّا إذا كان مقصود صاحبها نسبتهم لجبال النصيرة.

المؤسس وأبرز الشخصيات:

أ- المؤسس هو: محمد بن نصير النميري، ادعىٰ البابية، ثم الرسالة ثم فسَّر أركان الإيمان والإسلام تفسيرًا باطنيًا، ثم قال بمعتقدات الرافضة في الصحابة، ثم قال بالتناسخ، والإباحية، وإجازة عمل قوم لوط.

ب- أبرز الشخصيات:

١- محمد بن جندب الفارسي، الخليفة بعد المؤسس.

٢- عبدالله بن محمد الجنبلاني، الذي نقل الدعوة إلىٰ مصر.

٣- الحسين بن حمدان الخصيبي، أرسىٰ عقائد الفرقة، وألف الكتب فيها.

٤- سرور بن قاسم الطبراني، في عهده انتقلت النصيرية إلىٰ الجبال المعروفة باسمهم اليوم.

عقائد النصيرية:

أولًا: معتقدات النصيرية في الألوهية:

١- تأليه علي رضي الله عنه، وأن الله حلَّ فيه؛ حلول اللاهوت في الناسوت - تعالىٰ الله عن ذلك -، وأنه المستحق للعبادة.

٢- الشهادة عندهم هي الثالوث الخاص بهم: سر عقد (ع. م. س): علي ومحمد وسلمان، ويقولون فيهم ما يقوله النصارىٰ في الأب والابن وروح القدس، بأنهم واحد بثلاثة أقانيم.

فالشهادة عندهم تكون لعلي بأنه المعبود، ولمحمد ﷺ أنه الحجاب، ولسلمان بأنه الباب.

فالثالوث عندهم: معنىٰ واسم وباب.

فالمعنىٰ: الغيب المطلق، وهو الله، المعبود: هذا هو علي رضي الله عنه كما يعتقدون.

والاسم: المعنىٰ الظاهر، وهو الحجاب، وهو محمد ﷺ، وله السجود.

والباب: هو سلمان الفارسي، وله القصد.

فيقولون: للباب قصدت، وللحجاب سجدت، وللمعنىٰ عبدت.

ثم يقولون بأن سلمان خلق الأيتام الخمسة - كما يسمونهم - وهم المقداد، وأبو ذر، وابن رواحة، وعثمان بن مظعون، وقنبر، وهؤلاء الذين يتولون تدبير العالم، كما يقولون.

ثانيًا: معتقدات النصيرية في النبوات:

١- يعتقدون أن أئمة الرافضة أعلىٰ منزلة من الأنبياء.

٢- يعتقدون أن النبي محمدًا ﷺ مجرد اسم، لا حول له ولا قوة، وأن عليًّا هو المعنىٰ المترجم لهذا الاسم، وهو القادر المقتدر.

ثالثًا: معتقدات النصيرية في اليوم الآخر:

١- لا تعتقد النصيرية بدار أخرىٰ غير دار الدنيا، فلا تؤمن باليوم الآخر.

٢- تؤمن بالتناسخ، وتجعله أربعة أنواع: نسخ ومسخ وفسخ ورسخ.

- فالنسخ: انتقال الروح من جسد آدمي إلىٰ جسد آدمي آخر. وهذا خاص بالنصيرية، حتىٰ ينتهي بهم الأمر كما يزعمون إلىٰ الصعود للسماء وتستقر نفوسهم في الكواكب والنجوم.

- وأمَّا المسخ: انتقال الروح من جسد آدمي إلىٰ جسد حيوان أو طير.

- والفسخ: من جسد آدمي إلىٰ حشرات الأرض وهوامها.

- والرسخ: من جسد آدمي إلىٰ شجر وحجر ونبات.

فهذه الأنواع الثلاثة لمن هو ليس بنصيري.

موقف النصيرية من التكاليف الشرعية:

يقولون بإسقاط التكاليف الشرعية، وذلك بمجرد معرفة معانيها الباطنية.

التكليف الشرعي	المعنىٰ الباطني
الطهارة	معاداة أضدادهم، وهم الصحابة.
الصلاة	معرفة خمسة أسماء: - محمد: ينوب عن صلاة الظهر، أربعة حروف. - فاطم: صلاة العصر، أربعة حروف. - حسن: صلاة المغرب، ثلاثة حروف. - حسين: صلاة العشاء، أربعة حروف. - محسن: صلاة الفجر، لكونه مات سقطًا كما يدعون، حرفان.
الزكاة	معرفة سلمان الفارسي، ويدفعون خمس أموالهم ضرائب إلىٰ مشايخهم.
الحج	باطل، ويلعنون الحجاج، ويقومون بتأويل أركانه تأويلًا باطنيًا.
الجهاد	كتمان أسرارهم، ولعن أعدائهم.

الخلاصة:

النصيرية فرقة رافضية، تُكفِّر الصحابة، وباطنية لا تؤمن بمعتقدات المسلمين وشرائعهم، ومجوسية تبيح المحرمات، وتسقط الواجبات، ووثنية: تقدس الكواكب والنجوم[١].

ولذا قال عنهم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْمُسَمَّوْنَ بِالنُّصَيْرِيَّةِ هُمْ وَسَائِرُ أَصْنَافِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ؛ بَلْ وَأَكْفَرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

(١) انظر: دراسة منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية (١٢٩ - ١٥٤).

وَضَرَرُهُمْ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ الْكُفَّارِ الْمُحَارِبِينَ مِثْل كُفَّارِ التَّتَارِ والفرنج وَغَيْرِهِمْ.

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَتَظَاهَرُونَ عِنْدَ جُهَّالِ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّشَيُّعِ وَمُوَالَاةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ:

- لَا يُؤْمِنُونَ: بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ وَلَا بِكِتَابِهِ.
- وَلَا بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ.
- وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ.
- وَلَا بِأَحَدٍ مِنْ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ.
- وَلَا بِمِلَّةٍ مِنْ الْمِلَلِ السَّالِفَةِ.»[١].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٤٩).

المطلب السادس: فرقة الدروز

تمهيد: التعريف، وسبب التسمية:

فرقة باطنية، منشقة عن الإسماعيلية، في عصرها العبيدي، تتميز عن الفرق الباطنية بتأليه الحاكم بأمر الله العبيدي.

وتسمىٰ هذه الفرقة بالدروز نسبة إلىٰ القائد العسكري أنو شتكين الدُّرْزي، أحد القادة عند الحاكم بأمر الله العبيدي.

وأمَّا أول من أظهر الدعوة إلىٰ تأليه الحاكم فهو محمد بن إسماعيل «نوشتكين» الدَّرزي.

والدروز لا يحبون التسمية بالدروز، ويحبون التسمية بالموحدين، لكونهم يوحدون الحاكم بأمر الله العبيدي بالعبادة.

أبرز الشخصيات:

١- حمزة بن علي الزوزني، وفد مصر عام ٤٠٥هـ، وتعلم في دور الحكمة الإسماعيلية علوم الباطن، وكان مقربًا للحاكم بأمر الله العبيدي.

٢- محمد بن إسماعيل «نوشتكين الدرزي»، هو أول من أعلن دعوة الدروز، وقال بألوهية الحاكم، وتوجه إلىٰ قصره حاجًا، ومعه خمسمائة من أتباعه.

٣- حمزة بن علي، وقد ألف مؤلفًا في تقرير ألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي.

عقائد الدروز:

أولًا: معتقدات الدروز في الألوهية:

١- عند الدروز أن معتقد الإسماعيلية في الله صيرته عدمًا، ولا يجوز عبادة المعدوم، فاخترعوا القول باحتجاب اللاهوت في الناسوت، وهو الحاكم بأمر الله العبيدي.

٢- فالحاكم له طبيعتان في معتقدهم: لاهوتية خفية احتجب فيها الإله، وناسوتية ظاهرة، من أجل أن يتوجه الناس له بالعبادة في صورة ظاهرة لا خفية معدومة.

ثانيًا: معتقدات الدروز في النبوات:

١- يعتقدون أن الأنبياء يدعون لتوحيد المعدوم، بخلافهم يدعون لعبادة الإله الموجود، وهو الحاكم بأمر الله العبيدي.

٢- يصفون نبينا محمد ﷺ بأبشع الصفات لأنه أوجب الجهاد، بينما إلههم الحاكم أبطله.

٣- لا يعتقدون أن آدم هو أبو البشر، بل هناك بشر سبقوه، ولا يعتقدون أنه خلق من تراب، فالتراب لا يخلق منه إلا العقارب والحيات في زعمهم.

٤- ينكرون أن يكون موسىٰ عليه السلام كليم الله، لأن هذا لا يليق بالله - بزعمهم.

ثالثًا: معتقدات الدروز في القرآن الكريم:

١- يكفرون بالقرآن الكريم، ويعتقدون أنه مفترىٰ، وقول البشر.

٢- يعتقدون أن كتابهم «المصحف المنفرد بذاته» هو كلام الله، وهو الكتاب المقدس.

رابعًا: معتقدات الدروز في اليوم الآخر:

١- لا يؤمنون باليوم الآخر، ويؤمنون بالتناسخ ويسمونه تقمصًا، ويجعلونه نوعًا واحدًا، مقصورًا علىٰ البشر، فهو انتقال الروح من جسم بشري لآخر.

٢- العذاب: انتقال الإنسان من درجة عالية إلىٰ درجة دونها.

الثواب: ارتفاعه إلىٰ درجة أعلىٰ من الدرجة السابقة.

٣- يرون أن روح الدرزي تنتقل إلىٰ جسم درزي آخر سواء للثواب أو العقاب، ولا تحل في جسم غير الدرزي، وغير الدرزي لا تنتقل روحه إلىٰ جسم درزي.

٤- يعتقدون بالنطق: وهو نطق الإنسان بما يذكره خلال تقمص روحه السابقة في جسد آخر.

٥- يعتقدون بقيامة كبرىٰ حين يقوم الحاكم بأمر الله العبيدي بالظهور مرة أخرىٰ في صورة ناسوتية، فيكون معه يأجوج ومأجوج، وتحل العقوبة بغير الدروز من المسلمين والنصارىٰ واليهود.

معتقدات الدروز في التكاليف الشرعية:

١- يعتقدون أنها باطلة منسوخة بشريعتهم.

٢- يعتقدون أن شرائعهم هي الشرائع التوحيدية لتوجههم بها إلىٰ الحاكم بأمر الله العبيدي[١].

(١) انظر: دراسة منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية (١٥٩ - ١٨٥).

التكليف الشرعي	المعنى الباطني
الشهادتان	توحيد الحاكم بالعبادة.
الصلاة	صلة القلوب بالحاكم.
الصوم	صيانة القلب بتوحيد الحاكم.
الزكاة	تزكية القلوب بعبادة الحاكم.
الحج	توحيد الاتجاه للحاكم.
الجهاد	السعي والاجتهاد في توحيد الحاكم.

مقارنة بين النصيرية والدروز:

الفرقة / المبحث	النصيرية	الدروز
النسبة أو سبب التسمية والموقف من الاسم	نسبة إلىٰ: أبي شعيب محمد بن نصير النميري، من أتباع الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الاثنا عشرية. ويفضلون اسم: العلويين، ويقصدون بها العلي إلهية، أي القائلون بألوهية علي.	النسبة إلىٰ: نوشتكين محمد بن إسماعيل الدرزني، وهو أول من جهر بالقول بتأليه الحاكم بأمر الله العبيدي. وهم لا يفضلون هذه التسمية، ويحبون أن يطلق عليهم «الموحدون»..
المؤسس وأبرز الأعلام	محمد بن نصير، ادعىٰ أنه الباب للإمام الثاني عشر المختفي، ثم ادعىٰ النبوة، وأخيرًا ادعىٰ الربوبية، وقال بإباحة جميع المحرمات.	حمزة بن علي الزوزني، ولكن لم تسم هذه الفرقة به، لأن الدرزي استعجل وأظهرها دونه.

المبحث / الفرقة	النصيرية	الدروز
علاقتها بالشيعة	منشقة عن الشيعة الاثنا عشرية بعد وفاة الإمام الحادي عشر.	منشقة عن الإسماعيلية عام ٤٠٨هـ، عندما أعلن الدرزي تأليه الحاكم في جامع الأزهر بالقاهرة.
عقيدتهم في الله	يزعمون بأن الله - تعالىٰ عن ذلك - حل في علي، والأئمة من بعده.	القول بحلول الإله - تعالىٰ عن ذلك - في جسد الحاكم بأمر الله العبيدي.
عقيدتهم في اليوم الآخر	يقولون بالتناسخ، أي إذا مات الإنسان حلت روحه في أي مخلوق آخر علىٰ حسب أعماله، حتىٰ لو في حيوان أو حجر، ولذلك فهم ينكرون اليوم الآخر.	التناسخ، ولكن يقولون تنتقل روح الميت إلىٰ إنسان آخر فحسب بحسب عمله.
عقيدتهم في الشريعة	يؤولون أركان الإسلام بتأويلات باطنية، والصلاة عندهم ذكر خمسة أسماء..	التأويل الباطني، فالصلاة صلة القلوب بالحاكم، والصيام صيانة القلب..
أماكن وجودهم	سوريا، لبنان، جنوب تركيا وهم الحزب الحاكم في سوريا.	لبنان، سوريا، فلسطين، المغرب، وقوتهم في لبنان أكثر.

المطلب السابع: فرقة البابية

تمهيد: التعريف، وسبب التسمية[1]:

إحدىٰ فرق الباطنية منشقة عن الشيعة الاثنا عشرية منبثقة عنها عن طريق الرشتية (كاظم الرشتي) والشيخية (الشيخ أحمد الأحسائي)، معتقدة أن روح المهدي المنتظر قد حلت في أئمة البابية، وأن شريعتها نسخت الشريعة المحمدية.

فرقة الشيخية:

- مؤسسها أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي، الملقب بالشيخ المولود في الأحساء عام ١١٦٦هـ، والمتوفي عام ١٢٤١هـ، وسميت أتباعه بالشيخية نسبة إليه.

- من عقائد الشيخية بالإضافة إلىٰ عقائد الرافضة:

- حلول الله تعالىٰ الله عن ذلك في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي الأئمة الأحد عشر فهم مظاهره، والعلة المؤثرة في وجود المخلوقات.
- اللوح المحفوظ هو قلب الإمام.
- يزعمون أن المهدي يحل في أي رجل كان، فيكون له صفة الباب.
- ويزعمون أن روح المهدي حلَّت في إمامهم الأحسائي، فصار هو

(١) انظر: دراسة منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية (١٩١ - ٢١٦)، البابية، د. محمد عبده يماني.

الباب إلىٰ المهدي.

- إنكاره للمعاد والبعث الجسماني مطلقًا.
- إيمانهم بالرجعة، - ولكن ليس كإيمان الاثني عشرية بها -؛ لأن إمامهم حكم بموت الإمام الثاني عشر، وبأن روحه طارت إلىٰ الملأ الأعلىٰ، ولكنها ستعود لتحل مرة أخرىٰ بجميع خصائصها في إنسان جديد يولد ولادة حقيقية من أب وأم جديدين، غير والدي الإمام الثاني عشر الغائب.

فرقة الرشتية:

- فرقة خلفت الشيخية، نسبة إلىٰ كاظم الرشتي ورشت في إيران.
- وقد ولد عام ١٢٠٥هـ، وشكلت أقواله وأقوال الشيخية نواة فرقة البابية.
- من معتقدات الرشتية إضافة إلىٰ الشيخية:
- روح الباب حلت في كاظم الرشتي.
- التبشير بظهور المهدي.

سميت هذه الفرقة بالبابية نسبة لقولهم بأن مؤسسها حلت فيه روح المهدي المنتظر، فصار وكيله، والباب الموصل إليه.

المؤسس، وأبرز الشخصيات:

أ- المؤسس: علي بن محمد الشيرازي، ادعىٰ أنه الباب الموصل للإمام الثاني عشر الغائب، تتلمذ من السادسة من عمره علىٰ الشيخ عابد أحد تلامذة كاظم الرشتي، أقبل علىٰ كتب الصوفية والرياضات الروحية، وفي العشرين من عمره انتقل إلىٰ كربلاء وتتلمذ علىٰ كاظم الرشتي.

ب- أبرز الشخصيات:

١- حسين البشروئي: باب الباب من زعماء الشيخية.

٢- قرة العين: (١٢٣١هـ - ١٢٦٨هـ).

٣- صبح الأزل.

٤- حسين علي المازندراني.

عقائد البابية:

أولًا: معتقدات البابية في الألوهية:

يقولون بالحلول والاتحاد: يزعمون أن الله حل في الباب تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

يعتقد البابيون في الباب أنه أتم وأكمل هيكل بشري ظهرت فيه الحقيقة الإلهية، وأنه حقيقة كل نبي ورسول وقديس.

ثانيًا: معتقدات البابية في النبوات:

يعتقد البابية أن رسولنا ﷺ ليس آخر الأنبياء والمرسلين، وأن الباب «الشيرازي» أفضل منه وأجل.

وكان الباب - حين ادعىٰ أنه يوحىٰ إليه، وأن الله قد أرسله بشريعة جديدة -، قد ذكر أن الذي أوتيه مثل الذي أوتيه رسولنا ﷺ من قبل.

وفي تقرير ذلك يقول: «إني أفضل من محمد، كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد».

ثالثًا: معتقدات البابية في القرآن الكريم:

ادعىٰ الباب أنه قد نزل عليه كتاب أسماه البيان، زعم أنه أفضل من القرآن، وناسخ له، وأن الإيمان به، والخضوع لما فيه واجب علىٰ كل إنسان، وإلا فالكفر مصيره.

والملاحظ علىٰ الشيرازي أنه قد ألزم أتباعه بقراءة كتابه البيان، والأخذ منه، ونهاهم عن التلقي من غيره.

رابعًا: معتقدات البابية في اليوم الآخر:

لا تؤمن البابية بالمعاد، وحشر الأجساد، والنشر، وعذاب القبر، ونعيمه، والجنة، والنار، وغيرها من العقائد الغيبية كما آمن بها المسلمون، بل جاءوا بمفاهيم تغاير تمامًا تلك المفاهيم التي جاء بها الإسلام.

فقالوا عن القيامة: إنها قيامة الروح الإلهية في مظهر بشري جديد.

أما البعث: فهو الإيمان بألوهية هذا المظهر.

ولقاء الله يوم القيامة هو لقاء الباب؛ لأنه هو مظهر الله - كما زعموا -.

والجنة: هي الفرح الروحي الذي يشعر به من يؤمن بهذا المظهر الإلهي.

والنار هي: الحرمان الذي يجده من لم يعرف الله في مظهره البشري.

أما الحساب، والميزان: فيزعم البابية أنه في هذا الدار، لا في الدار الآخرة، كما هو معتقد المسلمين.

معتقدات البابية في التكاليف الشرعية:

التكليف الشرعي	المعنى الباطني
الطهارة	ليس في دين البابية شيء يسمىٰ نجاسة، فكل شيء لمن يعتنق البابية يعتبر طاهرًا، حتىٰ النجاسة؛ كما قال بابهم: «فالبول، والبراز، والكلاب، والخنازير، وما يخرج من حيوان لا تحذرون».
الصلاة	فالبابية يصلون، لكن بخلاف صلاة المسلمين؛ فلا يوجد عندهم صلاة إلا مرة واحدة في اليوم والليلة، دون تحديد وقت لأدائها، وهي لا تؤدىٰ في جماعة؛ إذ الباب قد أسقط عن أتباعه الجماعة، إلا في صلاة الجنازة. والمصلي ليس مجبرًا علىٰ الوضوء، فله أن يتوضأ، وبإمكانه أن يصلي بغير وضوء. أما معنىٰ الصلاة في الباطن عندهم، فهو: التكبير والتحميد لحضرة الباب. وأما القبلة فهي متحركة عند البابية؛ ففي أثناء حياة الباب، أمر البابيون أن يتجهوا في صلاتهم إلىٰ الجهة التي تواجد فيها زعيمهم؛ إما إلىٰ البيت الذي ولد فيه بشيراز، أو إلىٰ مكان سجنه، أو إلىٰ البيوت التي عاش فيها، وانتقل إليها. أما بعد مماته، فإنهم يتجهون إلىٰ قبره.

المعنى الباطني	التكليف الشرعي
تطالب الشريعة البابية أصحاب العقارات من البابيين أداء خمس العقار في آخر العام إلىٰ المجلس البابي؛ يؤخذ من رؤوس أموالهم. أما معناه الباطني عندهم، فهو: الإقرار «بملكية حضرة الباب، يوم قيام أمره؛ حيث يقول: لمن الملك؟ وجميع العباد الصالحين يقرون: لله الواحد القهار؛ أي للمظهر الإلهي القائم الموجود».	الزكاة
الصيام عن البابية ١٩ يومًا، في شهر العلاء - أحد أشهر البابية ١٩ - يبدأ الصيام من شروق الشمس، وينتهي بغروبها، ويرفع عمن بلغ ٤٢ سنة من البابيين. وبإمكان من شق عليه صيام النهار أن يعدل عنه إلىٰ صيام الليل؛ فإن من أراد الصيام من شروق الشمس إلىٰ غروبها، جاز له ذلك؛ وإن أراده من غروبها إلىٰ شروقها، جاز له ذلك أيضًا. فالصوم عند البابية - ظاهرًا - يعني الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح. أما معناه الباطني، فهو: كف النفس عن كل ما لا يرضاه الباب الشيرازي.	الصوم
فالحج عند البابيين هو: زيارة البيت الذي ولد فيه الشيرازي، أو البيت الذي عاش فيه، أو بيوت أصحابه ١٨ «حروف الحي». وليس لأداء الحج وقت معين، بل يمكن أن يؤدىٰ في أي وقت من أوقات السنة.	الحج

المطلب الثامن: فرقة البهائية

تمهيد: التعريف، وسبب التسمية[1]:

فرقة من فرق الباطنية، امتدادًا لفرقة البابية، نسبة إلىٰ مؤسسها حسين بن علي المازندراني الملقب بالبهاء، لادعائه بأن الله تعالىٰ عن ذلك حلَّ فيه بنوره، فهو الممثل الوحيد لبهاء الله، كما يزعم.

سميت هذه الفرقة بالبهائية بسبب ادعاء مؤسسها الحسين أنه بهاء الله الذي بشر الباب بمجيئه بعده علىٰ حد قوله، وتدرج في دعاويه، حتىٰ انتهت إلىٰ ادعائه أن الإله قد حل فيه، ووافقه علىٰ هذا الإفك جماعته.

المؤسس، وأبرز الشخصيات:

أ- المؤسس: حسين علي بن عباس بزرك النوري المازندراني، أعلن بعد وفاة الباب بأنه الخليفة الحقيقي له، وأيدته في ذلك قرة العين رزين تاج، وقد وجد دعمًا من كل من الروس واليهود، وقد تدرج في دعاويه كالباب فادعىٰ المهدية ثم أنه المسيح ثم ادعىٰ النبوة، ثم البهائية أي حلول الله فيه.

ب- أبرز الشخصيات:

١- عباس (عبد البهاء): الغصن الأعظم ولد عام ١٢٦٠هـ، وقد أخذ وسام «فارس الإمبراطورية البرطانية» وأقيم له احتفال بذلك مكافأة علىٰ جهوده ونشاطاته.

---

(١) انظر: البهائية والقاديانية، د. أسعد السحمراني، ودراسة منهجية (٢١٧ - ٢٥٧)، والبهائية لإحسان إلهي ظهير.

٢- شوقي أفندي (ابن ابنة عبد البهاء): «ولي أمر الله»، عاش برعاية الصهونية في حيفا، وبعد وفاته اجتمعوا من يحملون لقب «أيادي الله» وانتخبوا مجلسًا لإدارة الشؤون.

عقائد البهائية:

أولًا: معتقدات البهائية في الألوهية:

يقولون بالحلول في البهاء: معرفة الأجساد البشرية التي تجلت فيها الحقيقة الإلهية.

البهائية عندهم الله عدم محض، لا يوصف بصفة، ولا يسمىٰ باسم.

وتوحيده عندهم يكون بمعرفة الأجساد البشرية التي تحل فيها الحقيقة الإلهية، وآخرهم هو البهاء.

فادعوا أن صفات الله لا ترىٰ إلا في شخص، فهو وجه الله، وجمال الله - تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا -.

ثانيًا: معتقدات البهائية في النبوات:

يزعم البهائيون أن الرسالات السابقة جاءت مبشرة بالبهاء، وأن عيسىٰ إله، صلب ليكفر خطايا البشر، وينكرون معجزات الأنبياء السابقة، وينكرون ختم النبوة بنبينا ﷺ.

ثالثًا: معتقدات البهائية في القرآن الكريم:

يعتقدون بنسخ القرآن بكتاب البهائية: الإيقان والأقدس.

رابعًا: معتقدات البهائية في اليوم الآخر:

١- يوم القيامة: يوم لقاء البهاء.

٢- الجنة: راحة النفوس وفرحتها بالبهاء.

٣- النار: عذاب النفوس بسبب كفرها بالبهاء.

٤- الحشر: ما هم فيه بعد قيامة الظهور البهائي.

معتقدات البهائية في التكاليف الشرعية:

التكليف الشرعي	المعنى الباطني
الطهارة	لا يوجد نجاسة عندهم، ولا غسل من الجنابة، ولا غسل من الحيض، ويكفي بدلًا عنه التسبيح خمسًا وتسعين مرة «سبحان الله ذي الطلعة والجمال»
الصلاة	ثلاث أنواع، ويختار منها، وهي ليست واجبة، ولا تجوز صلاتها جماعة: ١- صلاة كبرىٰ: زوال إلىٰ زوال، مرة واحدة كل يوم فيها أكثر من ركعة وسجدة، وفيها أدعيتهم. ٢- صلاة وسطىٰ: (الصبح - الظهر - المغرب) ٣- صلاة صغرىٰ: مرة واحدة في أي وقت من النهار عبارة عن آية واحدة من كتاب الأقدس.
الزكاة	ركن قائم، أوجبها البهاء علىٰ أتباعه، ومقدارها ١٩٪، تؤخذ من صافي الربح بعد عام كامل، وتدفع إلىٰ ما يسمىٰ ببيت العدل، الذي ينفقها علىٰ نشر وخدمة دعوتهم، ومن واجب البهائي أن يدعو ويستضيف في بيته ١٩ شخصًا كل يوم، ولو علىٰ شربة ماء. وفي هذا حضّ لأتباعهم علىٰ التحرك الدائم وسط الناس، ودعوتهم إلىٰ عقيدتهم الفاسدة.

التكليف الشرعي	المعنى الباطني
الصوم	١٩ يومًا، هي أيام شهر العلاء؛ الشهر التاسع عشر؛ آخر شهور سنتهم. وهو واجب عندهم، أمرهم البهاء بصيامه، وفي هذا الشهر يمتنع البهائيون - من شروق الشمس، وحتىٰ غروبها - عن الأكل، والشرب، ويباح لهم الجماع، ويعفىٰ من الصيام عندهم: الحامل، والمريض، والمسافر، والهرم، والكسول أيضًا؛ إذ عند التكاسل لا يجوز الصيام، ولا الصلاة؛ وفق ما حكم به بهاؤهم.
الحج	عندهم: فمعناه قصد الأماكن التي ترتبط بأصحاب دعوتهم؛ كالبيت الذي أقام فيه حسين علي في بغداد، ومدفنه في عكا، والبيت الذي سكنه علي محمد في شيراز، وكذا قبره، والحج عندهم علىٰ الرجال فقط دون النساء.

المطلب التاسع: فرقة القاديانية

تمهيد: التعريف، وسبب التسمية[1]:

فرقة باطنية تنتسب إلىٰ مؤسسها غلام أحمد القادياني، الذي ادعىٰ النبوة، ونسخ الجهاد، وهي تنتسب إلىٰ الإسلام، وتسمىٰ أحيانًا بالأحمدية.

المؤسس، وأبرز الشخصيات:

أ- المؤسس: غلام أحمد بن غلام مرتضىٰ القادياني، نسبة إلىٰ قرية قاديان في إقليم البنجاب، ولد عام ١٢٥٦هـ، عرف ببذاءة اللسان، وسوء الخلق، والولاء للإنجليز، قرأ في المنطق والحكمة والعلوم الدينية والأدبية منذ الصغر، بدأ موظفًا صغيرًا، حتىٰ تبوأ الزعامة الدينية، بدأ بادعاء أنه من الدعاة للإسلام، ثم ادعىٰ الولاية، ثم ادعىٰ أنه مجدد عصره، ثم ادعىٰ أنه المسيح، ثم ادعىٰ النبوة.

ب- أبرز الشخصيات:

١- الحكيم نور الدين البهروني.

٢- ظفر الله خان.

٣- محمود بن غلام أحمد.

٤- الفرع اللاوهوري محمد علي اللاهوري.

---

(١) انظر: القادياني، والقاديانية، أبو الحسن علي الندوي، ودراسة منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية.

عقائد القاديانية:

أولًا: معتقدات القاديانية في الألوهية:

يعتقد القاديانية في الله أنه مثل البشر؛ يأكل، ويشرب، وينام، ويصحو، ويخطئ، ويصيب، ويصوم، ويفطر، ويكتب، ويوقع علىٰ الأوراق، ويباشر، ويجامع، ويولد له أولاد... إلىٰ آخر أقوالهم الكفرية.

ثانيًا: معتقدات القاديانية في النبوات:

موقف القاديانية من الأنبياء ذو شقين:

- أحدهما مبني علىٰ اعتقادهم بتناسخ الأرواح - الذي تقول به فرق الباطنية -.

- والثاني قائم علىٰ إنكارهم لمعتقد ختم النبوة بالنبوة المحمدية.

أمَّا عن معتقد ختم النبوة: فالقاديانية يزعمون أن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ، بل هي جارية، والله يرسل رسلًا حسب الضرورة.

والقادياني قد زعم أنه نبي يوحىٰ إليه. ولم يكتف بذلك، بل فضل نفسه علىٰ سائر الأنبياء، بل وعلىٰ نبينا محمد ﷺ أيضا.

ثالثًا: معتقدات القاديانية في القرآن الكريم:

ادعىٰ القادياني أنه يوحىٰ إليه، وأن الله قد أنزل عليه «الكتاب المبين»، كما أنزل كتبًا - قبله - علىٰ أولي العزم من المرسلين.

معتقدات القاديانية في التكاليف الشرعية:

التكليف الشرعي	المعنى الباطني
الحج	تعتقد القاديانية في قاديان أنها كمكة المكرمة والمدينة المنورة، بل أفضل منهما، وأرضها أرض الحرم، وفيها شعائر الله، وتتنزل فيها أنوار الله وبركاته، وهي قطعة من الجنة، ومسجدها يضاهي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصىٰ. ومن أجل قدسية المكان في نفوس القاديانية، فإنهم يعتقدون أن الحج إلىٰ مكة لا يسمىٰ حجًا، ولا يقبل الحج ممن قصد مكة، ما لم يشفع ذلك بحج إلىٰ قاديان. ولما كانت قاديان أفضل من مكة والمدينة، كان هدف القاديانية جعل قاديان بدلًا عن الكعبة، كي يكون الحج إليها وحدها، وليس إلىٰ بيت الله الحرام. وبهذا يعلم غرض القاديانية الأساسي، وهو: صرف المسلمين عن الحج إلىٰ مكة المكرمة - حيث يجتمعون في مكان واحد، ويلتقون حول هدف واحد. مما يغيظ الكفار، ويملأ قلوبهم كمدًا وحقدًا -، واستبداله بالحج إلىٰ قاديان؛ حيث ولد الغلام الممخرق.
الجهاد	الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو ماض إلىٰ يوم القيامة. ونتيجة لما ذاقه الاستعمار الإنجليزي في الهند من المجاهدين المسلمين، فقد أوحىٰ إلىٰ صنيعته «القادياني» بالإفتاء بإسقاط شريعة الجهاد، والدعوة إلىٰ محبة الإنجليز ومساعدتهم.

موقف القاديانية من المسلمين:

(١) يزعم القاديانيون أن المسلمين كفار لأنهم يفرقون بين الله ورسله؛ فهم لم يؤمنوا بالقاديانية، ولا بنبيها، ومن لم يؤمن بذلك فهو كافر.

(٢) لو مات المسلم، فلا يجوز للقادياني أن يصلي عليه، ولا يسمح بدفنه في مقابرهم، ولو كان طفلًا صغيرًا.

(٣) لا يجوز نكاح المسلم من القاديانية، ويجوز للقادياني نكاح المسلمة قياسا علىٰ أهل الكتاب.

(٤) لا تصح الصلاة خلف مسلم، مهما بلغت منزلته، ولو فعل قادياني ذلك تقية، أو لمصلحة، فعليه أن يعيد الصلاة حتما - حتىٰ لو كان قد صلاها في أحد الحرمين -.

(٥) لا يجوز حضور اجتماعات المسلمين؛ سواء أكانت أفراحًا أم أتراحًا.

(٦) لا يجوز الترحم علىٰ المسلمين، ولا الاستغفار لهم.

(٧) لا يجوز الصلاة خلف من يصلي وراء المسلمين من القاديانين، أو من يتعامل معهم، أو يودهم.

مقارنة بين البابية والبهائية والقاديانية:

الفرقة المبحث	البابية	البهائية	القاديانية
تاريخ الظهور والمكان	نشأت في إيران في عام ١٢٦٠هـ، أي في القرن الثالث عشر الهجري.	نشأت في إيران في القرن الثالث عشر الهجري (١٢٦٦هـ - ١٢٧٩هـ)، ولها وجود حاليًا في فلسطين.	انطلقت في قاديان وانتشرت في إقليم البنجاب بالهند، ثم انتشرت بعد ذلك خارج الهند، والباكستان إلىٰ أجزاء من أوربا وأمريكا ومناطق في إفريقيا.
المؤسس وسبب التسمية	المؤسس: علي بن محمد الشيرازي، ادعىٰ أنه الباب الموصل للإمام الثاني عشر الغائب، فسميت هذه الفرقة بالبابية لهذا السبب.	المؤسس: حسين بن علي المازندراني، ادعىٰ أنَّ بهاء الله تجلىٰ فيه، فسميت هذه الفرقة بالبهائية لهذا السبب.	فرقة باطنية تنتسب إلىٰ مؤسسها غلام أحمد القادياني.

	الفرقة المبحث	القاديانية	البهائية	البابية
نبذة موجزة عن المؤسس (الباب)	تاريخ الميلاد	١٢٥٦هـ	١٢٣٣هـ	١٢٣٥هـ
	مكان الميلاد	قاديان بإقليم البنجاب بالهند	قرية نور من قرىٰ المازندران بإيران	شيراز، جنوب إيران
	الأسرة	ثرية، وذات علاقة وطيدة مع الاستعمار البريطاني.	كان والده مأمورًا في الوزارة المالية في إيران، ولأسرته علقات وطيدة مع السفارة الروسية.	١- تدعي الانتساب إلىٰ آل البيت ٢- توفي والده وهو صغير فكفله خاله المشتغل بالتجارة
	النشأة والثقافة	قرأ في المنطق والحكمة والعلوم الدينية والأدبية منذ الصغر، بدأ موظفًا صغيرًا، حتىٰ تبوأ الزعامة الدينية.	تلقىٰ العلوم الشيعية منذ الصغر، ثم اطلع علىٰ كتب الباطنية، والفلاسفة، وثقافته خليط من الديانات المختلفة.	١- تتلمذ من السادسة من عمره علىٰ الشيخ عابد أحد تلامذة كاظم الرشتي، وتعلم شيئًا من العربية والنحو الفارسي، وبرع في الخط. ٢- اشتغل بالتجارة في السابعة عشر من عمره. ٣- ترك التجارة وأقبل علىٰ كتب الصوفية والرياضات الروحية. ٤- في العشرين من عمره انتقل إلىٰ كربلاء وتتلمذ علىٰ كاظم الرشتي. ٥- استغله الجاسوس الروسي (كيناز) المتظاهر بالشيخ (عيسىٰ).
	الوفاة	أصيب وهو في لاهور بمرض وبائي يشبه الطاعون	في المنفىٰ بعكا في فلسطين بعد جنون عام ١٣٠٩هـ.	الإعدام عام ١٢٦٦هـ علىٰ يد حكم شيراز.
	أبرز الانحرافات العقدية	- ادعىٰ أنه مجدد وملهم، ثم ادعىٰ أنه المهدي المنتظر، ثم ادعىٰ أنه مثيل المسيح، ثم المسيح، ثم النبوة. - يقول بنسخ فريضة الجهاد، ووجوب الطاعة للإنجليز. لا يؤمن بختم النبوة، ويقول بالتناسخ.	١- ادعىٰ النبوة، وأنه المسيح ابن مريم، وله كتاب الأقدس، والإيقان ينسبه لنفسه ويدعي أنه وحي من الله، ثم ادعىٰ الربوبية. ٢- يدعو إلىٰ وحدة الأديان، والأوطان واللغة، والسلام العالمي وترك الحروب. ٣- يدعوا إلىٰ المساواة المطلقة بين النساء والرجال. ٤- ينكر اليوم الآخر، ويقول بالتناسخ. ٥- يؤول شعائر الإسلام وأركانه إلىٰ تأويلات باطنية. ٦- يدعو إلىٰ الإباحة الجنسية، ونكاح المحارم ما عدا زوجة الأب.	١- ادعىٰ أنه الباب لمن أراد الوصول للإمام الغائب، ثم ادعىٰ أنه هو. ٢- ثم ادعىٰ النبوة وله كتاب «البيان» يدعي أنه أعظم من القرآن، ويدعي أنه وحي من الله. ٣- ثم ادعىٰ أنَّ الإله حلَّ فيه فادعىٰ الربوبية. ٤- ينكر اليوم الآخر، ويقول بالتناسخ. ٥- يؤول شعائر الإسلام وأركانه إلىٰ تأويلات باطنية. ٦- يدعو إلىٰ الإباحة الجنسية.

القاديانية	البهائية	البابية	الفرقة المبحث
مستقلة، وإن كانت شبيهة بالحركات الباطنية.	هي البابية في مرحلة جديدة، فهي كذلك منبثقة من الشيعة الاثنا عشرية.	منبثقة عنها عن طريق الرشتية (كاظم الرشتي) والشيخية (الشيخ أحمد الأحسائي) من فرق الشيعة الاثنا عشرية.	علاقتها بالشيعة
١- الحكيم نور الدين البهروني ٢- ظفر الله خان ٣- محمود بن غلام أحمد ٤- الفرع اللاوهوري محمد علي اللاهوري	١- عباس (عبد البهاء): الغصن الأعظم ولد عام ١٢٦٠هـ، وقد أخذ وسام «فارس الإمبراطورية البرطانية» وأقيم له احتفال بذلك مكافأة على جهوده ونشاطاته ٢- شوقي أفندي (ابن ابنة عبد البهاء): «ولي أمر الله»، عاش برعاية الصهونية في حيفا، وبعد وفاته اجتمعوا من يحملون لقب «أيادي الله» وانتخبوا مجلسًا لإدارة الشؤون.	١- حسين البشروئي: باب الباب من زعماء الشيخية. ٢- قرة العين: (١٢٣١هـ - ١٢٦٨هـ). ٣- صبح الأزل. ٤- حسين علي المازندراني.	أبرز الشخصيات
نسخ فريضة الجهاد، والمطالبة بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لكونهم ولاة الأمر.	١- وحدة الأديان ٢- وحدة الأوطان ٣- وحدة اللغة ٤- السلام العالمي وترك الحروب ٥- المساواة بين النساء والرجال ٦- نسخ الجهاد.	١- تقديس الرقم ١٩: عدد الشهور، وأيام الشهر، وإبقاء الميت في البيت ١٩ يوم. ٢- العيد الرئيسي: النيروز مدته ١٩يوم ٣- يستقبلون الشمس صباح كل جمعة وجوبًا بالسلام. ٤- نسخ الجهاد.	أهم التعاليم

المطلب العاشر: الفكر الباطني الحديث

تمهيد: المراد به، وسبب التسمية[1]:

أ- المراد به: هو الفكر الذي يعتقد بأن للظواهر حقائق باطنة لا يطلع عليها إلَّا خواص الناس، سواء ظواهر الحقائق الكونية، أو ظواهر النصوص الشرعية.

ب- سبب التسمية: نسبة لعلم الباطن الذي يدعونه، وهو العلم الذي يقول بأن لكل ظاهر باطنًا، وأن الباطن هو الحكمة المخفية والمقصودة.

أبرز معتقدات الفكر الباطني الحديث:

تقوم معتقدات الفكر الباطني الحديث علىٰ الأصول التالية:

١- عقيدة وحدة الوجود: فالكون ظاهره التعدد، وباطنه الوحدة، فظاهره مخلوق، وباطنه الخالق.

٢- عقيدة الشرارة الإلهية بداخل الإنسان: فالإنسان ظاهره البشرية، وباطنه الألوهية والقدسية.

٣- عقيدة الاتحاد: فالإنسان والخالق، الظاهر هو الانفصال، والحقيقة هي الاتحاد، ومتىٰ حصل ذلك حصلت الاستنارة والإشراق المعرفي، وحصلت الخوارق، لاتصاف الإنسان عندئذ بالصفات الإلهية، كما يدعون.

---

(١) انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية، وتطبيقاتها المعاصرة، د. فوز كردي.

٤- عقيدة وحدة الأديان: فالأديان ظاهرها التعدد، وباطنها أنها شيء واحد.

٥- عقيدة نسبية الحقائق والقيم: فالحقائق والقيم ظاهرها التعدد والتميز، وباطنها النسبية، فالحقائق نسبية ليست ثابتة ولا متميزة.

أبرز الحركات والجمعيات الباطنية المعاصرة في الغرب:

الجمعية / الحركة	المؤسس والظهور	أبرز المعتقدات
(١) جمعية الثيوصوفي	امرأة روسية واسمها هلينا بلافتسكي في نيويورك ١٨٧٥م	- وحدة الوجود - وحدة الأديان. لا دين أعلىٰ من الحق والحق: الفكر الباطني ومعتقداته - الإخوة الإنسانية - عقيدة الكارما - تناسخ الأرواح
(٢) حركة الفكر الجديد	امتداد للثيوصوفية ظهرت في أمريكا آخر القرن ١٩ م	يضاف لمعتقدات الثيوصوفية: - تعظيم القدرات البشرية - قدرة الفكر علىٰ خلق الواقع من خلال قانون الجذب
(٣) حركة القدرات البشرية الكامنة	في ستينيات القرن ٢٠ معهد إيسالن	وجود الشرارة الإلهية الكامنة التي تولد قدرات بشرية غير محدودة تخلط بين العلوم النفسية والعلوم الفلسفية الباطنية
(٤) حركة العصر الجديد	آخر مظاهر الفكر الباطني الحديث	إضافة صيغة علمية علىٰ التطبيقات التدريبية والاستشفائية

أبرز رموز الفكر الباطني في العالم الغربي:

١- أوشو:

- متصوف هندي، باطني.
- يقول بوحدة الوجود.
- الاستنارة: أن تدرك بأنك أنت الإله.
- يشجب الأديان المنظمة.
- جمع بين فساد المعتقد وفساد الأخلاق.

٢- إكهارت تولي:

- ألماني، باطني، مقيم في كندا.
- صاحب كتاب «قوة الآن» وكتاب «الأرض الجديدة».
- مشهور ومؤثر.

٣- ديباك شوبرا:

- أمريكي، هندي الأصل، طبيب.
- يمزج بين الفلسفات الشرقية الإلحادية مع العلوم العصرية.
- من مؤلفاته: القوانين الروحانية السبعة للنجاح.

٤- واين داير:

- أمريكي، مهتم بتطوير الذات بالفكر الباطني.
- تأليه الذات.
- إنكار التدين المنظم.

٥- ديفيد هاوكنز:

- طبيب نفسي، أمريكي، متصوف، باطني.
- مستشار في عدد من المعابد البوذية.
- يقول بوحدة الوجود، وبتأليه النفس البشرية.
- مشهور بمقياس هاوكنز للوعي عبر الداوزينج أو استجابة العضلات.

٦- إليزابيث براون:

- كاتبة بريطانية ومعلمة.
- متخصصة فيما يسمىٰ بالداوزينج.
- مؤلفة كتاب الداوزينج، وترىٰ أنه باستخدام البندول أو حركة العصي، والأثقال المعلقة بخيط يمكن تشخيص الأمراض، ومعرفة الغيبيات.

أبرز تطبيقات الفكر الباطني الحديث:

أولًا: التطبيقات المتعلقة بالصحة والشفاء وهي تطبيقات كثيرة منها:

١- الريكي: ويقصدون بها طاقة الحياة المستمدة من الروح الكونية.

٢- الأيور فيدا: ويقصدون بها علم إطالة العمر، أو فن الحياة، أو علم الحياة.

٣- الماكرو بيوتيك: ويقصدون بها الحياة الكبيرة.

فهذه التطبيقات وما شابهها تقوم علىٰ معتقد وحدة الوجود، فهم يعتقدون بوجود طاقة مبثوثة في كل ذرة من ذرات الكون، متىٰ استطاع الإنسان تسليكها في داخل جسده، فمارس الرياضات الروحية المهيئة

لذلك حصل علىٰ الشفاء، وارتقىٰ حتىٰ تتقوىٰ قدراته الشفائية فيشفي غيره أيضا عن قرب وعن بعد بهذه الطاقة، لكونه قد اقترب من أصله الإلهي.

ثانيًا: التطبيقات المتعلقة بالقدرات البشرية الخارقة وهي تطبيقات كثيرة منها:

١- التخاطر (البارا سيكولوجي): يراد به التواصل مع الآخرين دون الوسائل المعتادة، فتنتقل المعلومات بين الكائنات الحية دون الاستعانة بأي حاسة من الحواس الخمس، كالتمكن من قراءة خواطر الآخرين، وما يجول في نفوسهم.

٢- الاستبصار: معرفة الأمور الغيبية، الغيب النسبي، فيراها أمامه، والمقصود نمو قدراته في السمع والبصر والعلم، فيصل للمعرفة بغير الطرق المعتادة، فيرىٰ ما لا يراه غيره، ويسمع ما لا يسمعه غيره.

٣- الإسقاط النجمي: يقصد به الخروج الإرادي من الجسد، والذهاب إلىٰ أماكن أخرىٰ، والالتقاء بأرواح أخرىٰ سواء كانت ميتة أو حية، والجولان في عوالم أخرىٰ.

وهذه التطبيقات ونحوها مبنية علىٰ أن الإنسان متىٰ استطاع أن يتحد مع الطاقة المبثوثة في الكون، بممارسة الرياضات الروحية، فإنه سيصل إلىٰ قدرات إلهية، وتتحول صفاته من البشرية إلىٰ الإلهية في معارفه وفي قدراته.

ثالثًا: التطبيقات المتعلقة بجلب المنافع ودفع المضار وهي تطبيقات كثيرة منها:

١- الفونغ شوي: أي علم طاقة المكان، أو هندسة المكان، لتحسين مسارات الطاقة الكونية فيه، لتحصيل السعادة والثراء.

٢- أسورة أو قلائد الطاقة: وهي تمائم يعتقدون أن فيها ذبذبات من شأنها تحسن الصحة وتمد الجسم بالحيوية والنشاط.

٣- قانون الجذب، والتركيز، والامتنان: ويقصد به أن الإنسان يستطيع أن يتحكم في قدره بنفسه من خير أو شر ومن عافية أو بلاء عن طريق الفكر والنية والشعور، فعندهم أن ما تركز فيه سواء خيرًا أو شرًا، سيجعل طاقتك ترسل ذبذبات بذلك مباشرة أو عن طريق العقل اللاواعي، تعبر عن ذلك، وستبحث تلك الذبذبات عن ما يشابهها في الكون من ذبذبات، فتجذبها لك، فيتحقق لك ما أرسلت من سعادة وصحة وثراء وحب، أو عكس ذلك إن كانت ذبذباتك سلبية.

فهذه التطبيقات كلها قائمة علىٰ الفكر الباطني المتعلق بفلسفة الطاقة الكونية التي يستمد منها السعادة والرزق والعافية سواء عن طريق الفكر أو الأسورة أو هندسة المكان، فكل ما نطلبه نحن من الله، ونلح علىٰ الله في طلبه، هم يفعلونه مع إلههم الطاقة المبثوثة في الكون، نسأل الله العافية.

القسم الخامس
درجات التصوف والطرق الصوفية

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: تعريف التصوف، والفرق بينه وبين الإحسان.

المبحث الأول: درجة الزهد الصوفي:

- **المطلب الأول**: المراد بالزهد الشرعي.
- **المطلب الثاني**: المراد بالزهد عند الصوفية.
- **المطلب الثالث**: الحكم علىٰ أهل الزهد الصوفي.

المبحث الثاني: درجة الكشف الصوفي:

- **المطلب الأول**: المراد بالكشف، وأنواعه.
- **المطلب الثاني**: بدع الكشف الصوفي المتعلقة بمصادر الدين، ومنهج التلقي.

المبحث الثالث: درجة وحدة الوجود.

- **المطلب الأول**: المراد بدرجة وحدة الوجود.
- **المطلب الثاني**: أبرز البدع المتعلقة بدرجة وحدة الوجود.

المبحث الرابع: الطرق الصوفية:

- **المطلب الأول**: الطريقة القادرية.
- **المطلب الثالث**: الطريقة الشاذلية.
- **المطلب الرابع**: الطريقة البكتاشية.
- **المطلب الخامس**: الطريقة النقشبندية.
- **المطلب الثاني**: الطريقة الرفاعية.
- **المطلب السادس**: الطريقة التجانية.
- **المطلب السابع**: الطريقة الختمية.

تمهيد: تعريف التصوف، والفرق بينه وبين الإحسان

المسألة الأولى: تعريف التصوف:

يوجد خلاف كبير في تعريف التصوف، وسببه الرئيس هو في كون التصوف درجات ثلاثة، وليس درجة واحدة، فكل قوم يعرفون التصوف بتعريفهم الدرجة التي يرونها تمثل التصوف، وأفضل تعريف للتصوف هو التعريف الذي يجمع التصوف بجميع درجاته.

لقد قام القشيري (ت: ٤٦٥هـ) بتعداد درجات التصوف، وعرف بكل درجة علىٰ حدة، وبين أن مجموع هذه الدرجات يمثل حقيقة التصوف، وأن من لم يكن من أهل هذه الدرجات فهو منتسب للتصوف، وليس بصوفي علىٰ الحقيقة، وهذه الدرجات هي:

الدرجة الأولىٰ: إفناء الصفات الذميمة، لتظهر عليه الصفات المحمودة.

يقول: (فمن ترك مذمومَ أفعاله بلسان الشريعة يقال: إنه فني عن شهواته. فإذا فني عن شهواته بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته. ومن زَهد في دنياه بقلبه، يقال. فني عن رغبته: فإذا فني عن رغبته فيها بقي بصدق إنابته. ومن عالج أخلاقه فنفىٰ عن قلبه الحسد والحقد، والبخل، والشح والغضب، والكبر، وأمثال هذا من رعونات النفس، يقال: فني عن سوء الخلق. فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق)[1].

---

(١) القشيري. «الرسالة القشيرية في علم التصوف». تحقيق: معروف زريق، علي أبو الخير. (ط٣، بيروت: دار الخير، ١٤١٨هـ). (٦٧).

وقد يعبرون عن هذه الدرجة: بإفناء الإرادة البشرية، لتحل محلها الإرادة الإلهية، فيسمونها بوحدة الإرادة، أي: يفنىٰ عن إرادة نفسه، ويبقىٰ بإرادة الحق كما يزعمون(١).

الدرجة الثانية: فناؤه عن نفسه وعن الخلق، بشهوده الحق.

يقول: «ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الأحكام، يقال: فني عن حسبان الحدثان من الخلق. فذا فني عن توهم الآثار من الأغيار بقي بصفات الحقِّ»(٢).

وهذا الفناء يسمونه بوحدة الشهود، أو وحدة الصفات، فهنا تفنىٰ الصفات البشرية لتحل محلها الصفات الإلهية، كما يدعون، فيشعر بأنه الله حل فيه، أو اتحد معه، وتتغير صفاته من بشرية إلىٰ إلهية كما يدعي، وتظهر عليه خوارق العلم والسمع والبصر والقدرات(٣).

الدرجة الثالثة: الفناء عن شهود الحق، بالاستهلاك في وجود الحق.

يقول: «ومن استولىٰ عليه سلطان الحقيقة حتىٰ لم يشهد من الأغيار لا عينًا ولا أثرًا؛ ولا رسمًا، ولا طللًا؛ يقال: إنه فني عن الخلق وبقي بالحقِّ»(٤).

وهذا الفناء يسمىٰ بفناء الذات البشرية، لتحل محلها الذات الإلهية، فالأول: فناء الإرادة، والثاني فناء الصفات مع بقاء الذات البشرية، والثالث

---

(١) انظر: المصدر السابق، (٦٩).

(٢) المصدر السابق، (٦٨).

(٣) انظر: الكلاباذي. «التعرُّف لمذهب أهل التصوف». (ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ). (٩٠، ٩١).

(٤) القشيري، «الرسالة القشيرية في علم التصوف»، (٦٨).

فناء الذات البشرية، لتحل محلها الذات الإلهية، ويرىٰ حلولها في جميع المخلوقات، وهذا ما يسمىٰ بوحدة الوجود.

وختم ذكر الدرجات الثلاث بقوله: «فالأول فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق. ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق. ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق»[1].

وقد نقل الكلاباذي (ت:٣٨٠هـ) في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف عدة تعريفات للصوفية والتصوف، فقال: «قَالَ أَبُو عَليّ الروذباري (ت: ٣٢٢هـ) وَسُئِلَ عَن الصوفي؟ فَقَالَ: من لبس الصُّوف علىٰ الصفاء، وَأطْعم الْهوىٰ ذوق الْجفَاء، وَكَانَت الدُّنْيَا مِنْهُ علىٰ الْقَفَا، وسلك منهاج الْمُصْطَفىٰ.

وَسُئِلَ سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ) من الصُّوفِي؟ فَقَالَ: من صفا من الكدر، وامتلأ من الْفِكر، وَانْقطع إِلَىٰ الله من الْبشر، واستوىٰ عِنْده الذَّهَب والمدر[2].

وَسُئِلَ أَبُو الْحسين النوري (ت: ٢٩٥هـ) مَا التصوف؟ فَقَالَ: ترك كل حَظّ للنَّفس.

وَسُئِلَ الْجُنَيْد (ت: ٢٩٧هـ) عَن التصوف فَقَالَ: تصفية الْقلب عَن مُوَافقَة الْبَرِيَّة، ومفارقة الْأَخْلَاق الطبيعية، وإخماد الصِّفَات البشرية، ومجانبة الدَّوَاعِي النفسانية، ومنازلة الصِّفَات الروحانية، والتعلق بالعلوم الْحَقِيقِيَّة، وَاسْتِعْمَال مَا هُوَ أولىٰ علىٰ الأبدية، والنصح لجَمِيع الْأمة،

---

(١) المصدر السابق، (٦٩).

(٢) المدر: قطع الطين اليابس، انظر: ابن منظور. «لسان العرب». (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ). (١٣/ ٥٣).

وَالْوَفَاء لله علىٰ الْحَقِيقَة، وَاتِّبَاع الرَّسُول ﷺ فِي الشَّرِيعَة.

قَالَ رجل لسهل بن عبد الله التستري من أصحب من طوائف النَّاس؟ فَقَالَ: عَلَيْك بالصوفية فَإِنَّهُم لَا يستكثرون وَلَا يستنكرون شَيْئا، وَلكُل فعل عِنْدهم تَأْوِيل فهم يعذرونك علىٰ كل حَال»[1].

الملاحظ في هذه التعريفات وتعريفات القشيري، وغيره مما لم يذكر هنا، أنها تدور حول ثلاثة أمور:

الأمر الأول: القيام بإفناء الإرادة البشرية، بحيث يصبح لا يريد شيئا من أمور الدنيا من أكل وشرب ومال ونكاح وسكن، ولا يبالي بشيء مما يحصل له من خير أو شر، لتحل محلها الإرادة الإلهية - كما يزعمون -، فهناك من يعرف التصوف بهذه الأمور.

الأمر الثاني: القيام بترك سبل العلم المعروفة، والاعتماد علىٰ الخواطر والإلهامات والهواتف والمنامات، اعتقادا بأنها من الله، جزاء علىٰ ما قام به من إفناء الإرادة، فأشرقت روحه، وصفت نفسه، فأعطي أنواعا من المعارف بلا تعلم، وهنا صار عنده علم الحقيقة، وعلم الباطن، فيزعمون هنا أنه أفنىٰ الصفات البشرية لتحل محلها الصفات الإلهية، ثم يعود مرة أخرىٰ متصفا بالصفات البشرية. فهناك من يعرف التصوف بهذه الأمور بالكشف، أو بالخوارق، أو بوحدة الشهود، أو بالحلول، أو بالاتحاد.

الأمر الثالث: القيام بإفناء الذات البشرية، والاتصاف بالذات الإلهية، ثم قد يعود إلىٰ ذاته البشرية، وقد يبقىٰ فتفنىٰ ذاته تماما، وذوات جميع المخلوقات فيرىٰ نفسه، وكل المخلوقات إلها دائما، فيقول بوحدة الوجود،

(١) انظر: الكلاباذي. «التعرُّف لمذهب أهل التصوف». (٩، ١٠).

فهناك من يعرف التصوف بهذه الأمور. ويرىٰ بأن كل ما تقدم من إفناء الإرادة ثم إفناء الصفات إنما هو درجات لبلوغ هذه الغاية، وهي إفناء الذات.

وهناك تعريفات للتصوف من بعض الباحثين في التصوف من خارج الصوفية؛ يعرف التصوف مستحضرا هذه الدرجات الثلاثة مثل:

١- تعريف د فلاح مندكار (ت: ١٤٤٢هـ)، يقول: «هو جملة من الرياضات النفسية والعملية، والتي يقصد بها قتل النفس وما فطرت عليه بالمخالفة، وحملها علىٰ المكروهات الدينية والدنيوية، للوصول بهذه النفس إلىٰ جملة من العقائد والطقوس التي تفتح له بابا من الخيالات الفاسدة، والاتصال بالشياطين التي توحي إليه أنه يشاهد ما يزعمونه بالحضرة الإلهية، والدخول في بحر المناجاة، ثم الترقي في المقامات، حتىٰ يصل في النهاية إلىٰ درجة الاتحاد مع الله تعالىٰ بزعمهم، تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا»[١].

فنلاحظ في التعريف ذكر الدرجات الثلاثة: درجة الزهد الصوفي، ثم درجة الكشف الصوفي والحلول والاتحاد ثم درجة وحدة الوجود.

٢- تعريف د نومسوك، يقول: «إن الصوفية فرقة دينية أخلاقية فلسفية، تقوم علىٰ الزهد والتقشف والانصراف إلىٰ الروح، وتعتمد علىٰ أنواع من المجاهدات والرياضات، وذلك للوصول إلىٰ الغاية، وهي الاتصال بالذات الإلهية، والفناء فيها»[٢].

---

(١) فلاح بن إسماعيل مندكار. «العلاقة بين التشيع والتصوف». (ط١، القاهرة: دار الاستقامة، ١٤٣٣هـ). (١٦٢).

(٢) عبد الله مصطفىٰ نومسوك. «البوذية (تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها)». (ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٠هـ). (٥٢٧).

ومن هنا فإن النظر الصحيح للتصوف يكون من ناحية الدرجات التي يظهر بها، لا من ناحية المراحل، فالقول بالمرحلية غير دقيق، من وجهة نظري؛ لأن من المراحل التي تذكر ما لا يدخل في التصوف، وهي مرحلة الغلو في العبادة، وإنما التصوف وجدها البيئة المناسبة له، لكي ينطلق منها، وكذلك يذكرون مرحلة الزهد الصوفي، إفناء الإرادة، أو: (وحدة الإرادة)، ثم يتبين ظهور أعلام للصوفية في هذه المرحلة ممن يصنفون في المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة وحدة الوجود، فمن هنا كان القول بالمرحلية غير منضبط، وأيضا هل اختفىٰ في المرحلة الأخيرة أهل الغلو في التعبد، أو أهل إفناء الإرادة، أو أهل الكشف ووحدة الشهود، بل ما زال لهم وجود، وكل يدعي أنه علىٰ التصوف الحق، فالذي يختاره الباحث هو القول بدرجات التصوف لا المراحل، للأسباب التالية:

١- أن التصوف أمر قديم معروف، وحقيقته معروفة قبل الإسلام، بل قبل اليهودية والنصرانية. فالقول بالمرحلية معناه أنه حادث في الأمة الإسلامية ثم تطور، وهذا غير صحيح، لكن الصحيح أنه تدرج في الظهور في الأمة الإسلامية، فالتصوف يمكن تمثيله - عند أهله - بمراتب الدين الإسلامي: إسلام وإيمان وإحسان، فالتصوف عندهم: ناقص وهو وحدة الإرادة، وواجب وهو وحدة الصفات، وكامل وهو وحدة الذات، ومجموع هذه الدرجات يسمىٰ: تصوف، وكل درجة من هذه الدرجات يصح إطلاق التصوف عليها، وإن لم يصعد للدرجة التي هي أعلىٰ منها، ومن لم يصعد الدرجة الأولىٰ، فهو ليس بصوفي، بل منتسب إلىٰ التصوف.

٢- من الصوفية من لا يعرف إلا الزهد البدعي لا الصوفي، غلو في العبادة لا مفني للإرادة البشرية، فهذا منتسب أو منسوب لهم وليس بصوفي،

ومن الصوفية من صعد درجة الزهد الصوفي ولم يصل للقول بالكشف الصوفي، فهذا صوفي لكن تصوفه ناقص عندهم، ومن الصوفية من وصل للكشف الصوفي لكنه ينكر البقاء الدائم بالصفات الإلهية، فهذا يسمونه صوفي سني، أي ليس بفلسفي، لأنه يقول بالإثنينية: خالق ومخلوق، يقول بوحدة الشهود، ولا يقول بوحدة الوجود، فعنده كمال التصوف الواجب، ومن الصوفية من يرىٰ البقاء بالصفات الإلهية ويفني الذات البشرية؛ فهذا يقول بوحدة الوجود، فهذا عندهم وصل للتصوف الكامل.

المسألة الثانية: الفرق بين التصوف والإحسان:

تقدم في بيان معنىٰ التصوف؛ أنه علىٰ درجات ثلاث: درجة إفناء الإرادة البشرية، ودرجة إفناء الصفات البشرية، ودرجة إفناء الذات البشرية، وهنا سنذكِّر بمعنىٰ الإحسان الشرعي؛ لنرىٰ الفرق بينه وبين التصوف.

الإحسان في الشرع: معناه التعبد لله تعالىٰ كأنك ترىٰ الله أمامك، أو مستشعرًا ومستحضرا رؤيته لك.

أخرج الإمام مسلم بسنده حديث جبريل عليه السلام المشهور؛ وفيه قول النبي ﷺ: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١)؛ فالإحسان الشرعي درجة عليا من درجات التمسك بالدين الإسلامي؛ فيصعد علىٰ درجة الإسلام، ثم يصعد إلىٰ درجة الإيمان، ثم يصعد للدرجة العليا وهي درجة الإحسان.

ويمكن للمؤمن أن يصل لدرجة الإحسان؛ بتعلمه لصفات الله تعالىٰ المتعلقة بسعة علمه، وشمول إحاطته، وتربية نفسه علىٰ ذلك، مثل:

---

(١) مسلم، «صحيح مسلم»، (١/ ٣٦)، ح (١).

١- اليقين بعلم الله الواسع لكل شيء؛ حتىٰ تساقط الأوراق من الأشجار، وتربية النفس علىٰ أن المكلف من باب أولىٰ؛ فالله يعلم جميع أحواله من الحركات والسكنات، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢- العلم بأن الله يعلم تنقلات الدواب السارحة في بحثها عن رزقها؛ من أين تأتي به، وأين تضعه، فكيف بالمكلف؛ فعلم الله به من باب أولىٰ، ويربي نفسه علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

٣- تربية النفس علىٰ دوام استشعار رؤية الله له؛ في أدائك لأعماله، وسمعه له في أقواله ودعائه، وسعة علمه بنيته ومقصده؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

إنَّ الوصول إلىٰ درجة الإحسان الشرعي مطلب عظيم من المطالب الشرعية، وهو أعظم معين علىٰ فعل الطاعات، وترك المعاصي والمنكرات؛ والإخلاص لله تعالىٰ في ذلك كله، مع الحرص علىٰ اتباع النبي ﷺ (١).

(١) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، شرح الحديث الثاني، (١٢٦ - ١٣٥).

وأما الإحسان في كتب الصوفية فيفسر على ثلاث تفسيرات:

أولها: التفسير الشرعي: فيفسرون الإحسان بأنه: استشعار رقابة الله على العبد؛ مما يولد مراقبة العبد لنفسه في جميع أعماله.

يقول السراج الطوسي (ت: ٣٧٧هـ): «المراقبة حال شريف؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق: ١٨]، وقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾ [التغابن: ٤]؛ ومثله في القرآن كثير، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»،..»[1].

ثانيها: تفسير الإحسان بالرؤية القلبية لله تعالى، بل بعضهم بالرؤية البصرية[2].

ثالثها: تفسير مدرسة وحدة الوجود: رؤية الرب في العبد، ورؤية العبد في الرب.

الإحسان: هو: «شهود الله تعالى، والحضور معه في كل شيء، ومشاهدة تجليه في كل شيء»[3].

قال الطوسي: «باب حال المشاهدة: وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(١) عبد الله بن علي السراج الطوسي. «اللُّمع في التصوف». (ليدن: مطبعة بريل، ١٩١٤هـ). (٥٤، ٥٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٤٢٨، ٤٢٩).

(٣) انظر: أحمد بن عبد العزيز القصيِّر. «عقيدة الصوفية - وحدة الوجود الخفية». (ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ). (٢٩، ٣٩).

﴿لِذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧]؛ يعني حاضر القلب، وقال أيضًا: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ [البروج: ٣]، وقال أبو بكر الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٢هـ): فالشاهد: الرب، والمشهود: الكون؛ أعدمهم ثم أوجدهم..»[1].

وسيأتي تفصيل الكلام علىٰ معتقد وحدة الوجود لاحقًا، والمراد هنا أن التصوف له معان عِدة، يخلط فيها الحق مع الباطل؛ وهم وإن عرفوا الإحسان أحيانا بما هو معروف في الشرع، إلا إنهم لا يقصدون به ما يقصده أهل السنة والجماعة، بل يفسرونه برؤية قلبية لله، أو برؤية بصرية، أو برؤية الرب في العبد، ورؤية العبد في الله.

ومن هنا؛ فينبغي الحذر كل الحذر من تسمية الإحسان الشرعي بالتصوف، وكذلك يحذر من يريد بتصوفه الإحسان الشرعي من قبول هذا اللقب.

(١) الطوسي، «اللُّمع في التصوف»، (٦٨، ٦٩).

المبحث الأول
درجة الزهد الصوفي

المطلب الأول: المراد بالزهد الشرعي

أولا: المراد بالزهد في اللغة:

الزهد في اللغة معناه: قلة الرغبة في الشيء، والرضا منه بالقليل، كما قال تعالىٰ - عن إخوة يوسف -: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: ٢٠]؛ أي غير راغبين في مقابل لبيعه، لأن مقصدهم هو التخلص منه، لا أخذ الثمن علىٰ بيعه، وسواء كان المراد بالبائع هم إخوة يوسف أو السيارة؛ فمعنىٰ الزهد في يوسف هو قلة الرغبة في ثمنه، ولذلك قبلوا فيه أبخس الأثمان، وهذا هو معنىٰ الزهد لغة.

ثانيًا: المراد بالزهد شرعًا:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ): «الزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها علىٰ طاعة الله»[(١)].

يقوم الزهد الشرعي علىٰ الأسس التالية:

١- **اعتقاد سرعة انقضاء الدنيا:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥]؛ فهذه مدة بقاء الحياة الدنيا كمدة بقاء النبات.

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. «مجموع الفتاوىٰ». تحقيق عبد الرحمن بن محمد. (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ). (١٠/ ٢١).

واعتقاد قصر عمر الإنسان في الدنيا: إنَّ الدنيا في ذاتها قصيرة زائلة، ومع هذا فمدة بقاء الإنسان فيها إنما هو ساعة، أو عشية، أو ضحوة.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

فهذا الأساس الأول من أسس الزهد الشرعي؛ وهو اعتقاد سرعة فناء الدنيا، وأنها ممر ومعبر، وأنها مزرعة يجني ثمرها في الآخرة. وأيضا قصر مدة بقاء الإنسان في الدنيا، وقد كُلِّف فيها بالقيام بأعمال شرعية، سيسأل عنه بين يدي الله تعالىٰ؛ فالواجب عليه الانشغال بالواجب، ويترك المحرم، ويتورع عن المكروه، ويزهد عن الأمور المشغلة عن الواجب والمستحب من الأمور المباحة. فهذا هو الأساس الأول من أسس الزهد الشرعي.

٢/ اعتقاد أن نعيم الدنيا مهما عظم فهو لا شيء بالنسبة لنعيم الآخرة:

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٦ - ١٧].

أخرج البخاري بسنده عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[(١)].

وأخرج مسلم بسنده عن قَيْس قَالَ سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا أَخَا بَنِي فِهْرٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَّابَةِ- فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»[(٢)].

---

(١) ابن حجر، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، (فتح ٦ / ٨٥)، ح (٢٨٩٢).
(٢) مسلم، «صحيح مسلم»، (٤/ ٢١٩٣)، ح (٢٨٥٨).

ففي هذه النصوص - وغيرها كثير - بيان أن نعيم الدنيا لا شيء بالنسبة لنعيم الآخرة. وهذا هو الأساس الثاني من أسس الزهد الشرعي.

٣/ اغتنام العمر وفترة الشباب بالأعمال الصالحة:

أخرج الحاكم في مستدركه بسنده عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[(١)].

فمن هذا الحديث ونحوه يتبين لنا: أن الواجب علينا أن نملأ ساعات عمرنا، وفترة شبابنا، ووقت عافيتنا وصحتنا؛ بالأمور التي سيسألنا الله عنها؛ من الواجبات والمستحبات، مستفيدين من نعم الله تعالىٰ علينا مثل: العلم والمال والصحة والوقت؛ وهذا هو الأساس الثالث من أسس الزهد الشرعي؛ وهو الحرص علىٰ النافع، بعزيمة ونشاط، مع الاستعانة بالله تعالىٰ، والثقة بفضله، وحسن الظن بتدبيره.

فمن خلال هذه الأسس يمكننا تعريف الزهد الشرعي بأنه: اغتنام الحياة والعمر والشباب والصحة والفراغ، قبل زوالها؛ بالأعمال الصالحة المنيلة لنعيم الآخرة، وترك كل ما من شأنه أن يعيق عن ذلك.

---

(١) الحاكم. «المستدرك علىٰ الصحيحين». تحقيق مصطفىٰ عطا. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ). (٤/ ٣٠٦)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٧٧).

المطلب الثاني: المراد بالزهد عند الصوفية

يصف الكلاباذي الصوفية بأنهم: «مُلُوك تَحت أطمار»[1].

فالزهد الصوفي هو: التخلي عن الأملاك، وتركُ الدُّنْيَا بالكلية: بالخروج عن الأوطان، وهجر الزوجات، والأولاد، والأحباب.

وقد بين الطوسي مكانة هذا الزهد في التصوف بأنه أول درجة فيه، فمن لم يصعدها فلا يصح له شيء من التصوف[2].

فالزهد الصوفي قائم علىٰ الأمور التالية:

١- الغلو في التعبد؛ بحيث يقوم ولا ينام، ويواصل الصيام؛ فعبادة عظيمة مع عدم التزام بالسنة، ومن هنا ظهرت البدع العبادية عندهم.

٢- الغلو في تخلية القلب من الطمع؛ فأخلوه حتىٰ من الطمع فيما عند الله من خيري الدنيا والآخرة، فحصل لهم الخلل في أركان التعبد لله بالحب والخوف والرجاء، فأهملوا الخوف والرجاء، وحولوا الحب إلىٰ عشق يخرجهم عن حقيقة التعبد لله، كما ظهر ذلك جليًا في الدرجات التالية من درجات التصوف.

٣- الخروج بحسن الخلق مع الآخرين من المفهوم الشرعي إلىٰ اللين المذموم، بعدم إنكار منكرات الناس، وعدم السعي في إصلاحهم، وإهانة النفس لهم.

(١) الكلاباذي، «التعرُّف لمذهب أهل التصوف»، (٤).

(٢) انظر: الطوسي، «اللُّمع في التصوف»، (٤٦).

٤- تعذيب البدن بالجوع والسهر، وعدم العناية بالنظافة واللباس، وإهمال التداوي.

قال القشيري: «الجوع من صفات القوم، وهو أحد أركان المجاهدة، فإنَّ أرباب السلوك تدرجوا إلىٰ اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك»[1].

٥- ترك اكتساب المال، وعدم ادخاره حين حصوله.

يقول القشيري: «سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق يقول: الزهد: أن تترك الدنيا كما هي، لا تقول أبني بها رباطًا أو أعمر مسجدًا. وقال أيضًا: الزهد: سلو القلب عن الأسباب، وفض الأيدي من الأملاك. وقال عبد الواحد بن زيد: الزهد: ترك الدينار والدرهم»[2].

٦- إهمال الزوجة والأبناء، وبر الوالدين وصلة الأرحام، وإيثار العزلة والانقطاع.

٧- إهمال إصلاح المجتمع والأمة، وعدم المبالاة بمن له السلطة؛ سواء من أهل الإيمان أو من أهل الكفر، أو من الفسق والعصيان، وعدم الاهتمام بالجهاد في سبيل الله.

ذكر القشيري: «وقال أبو عثمان: الزهد: أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها»[3].

---

(١) القشيري، «الرسالة القشيرية في علم التصوف»، (١٤٠ - ١٤٤).

(٢) المصدر السابق، (١١٥ - ١١٩).

(٣) المصدر السابق، (١١٦).

هذه صورة الزهد عند الصوفية، وهذا الزهد يسمونه تصوفًا، ولذا فمن لم ينقطع عن الدنيا بالكلية، فليس بصوفي، وعلامة الانقطاع عندهم: ألَّا يملك شيئًا، وترىٰ زوجته كأرملة، وأولاده كاليتامىٰ، فهو يعيش مع الناس - كما يزعمون - بالروح بلا بدن.

وقد بيَّن الكلاباذي بأن الصوفي لا يكون صوفيًا إلا بمثل هذا الزهد؛ القائم علىٰ التخلي عن الدُّنْيَا، وعزوف النَّفس عَنْهَا، وَترك الأوطان، وَلُزُوم الْأَسْفَار، وَمنع النُّفُوس حظوظها[1].

(١) الكلاباذي، «التعرُّف لمذهب أهل التصوف»، (٨، ٩).

المطلب الثالث: الحكم على أهل الزهد الصوفي

إن أهل الزهد الصوفي هم أهل بدعة وانحراف؛ فمما لا شك فيه أن ترك العمل بأسباب الدنيا كلية، والانقطاع للعبادة بدعة في دين الإسلام، ولكنهم ليسوا سواء في بدعهم العبادية أو بدعهم العقدية، وليسوا سواء في المصدر الذي انطلقوا منه في هذا الزهد الاصطلاحي وبالتالي؛ فإنَّ إعطاء حكم واحد علىٰ جميع أهل الزهد الاصطلاحي مجانب للصواب.

فمنهم من وقع في هذه البدع بسبب جهله بحقيقة دين الإسلام، وفهمه الخاطئ للزهد في الدنيا، واستدل علىٰ بدعه بفعل النبي ﷺ قبل النبوة؛ من التحنث في غار حراء، وبالأحاديث الحاثة علىٰ العزلة حين الفتن، ولذلك فقد انطلق في بدعه من نصوص اشتبهت عليه؛ فظن أنها أدلة علىٰ زهده الاصطلاحي، وهو في باب الأسماء والصفات وغيره علىٰ معتقد السلف الصالح لكنه علىٰ بدع في باب العبادة، فهؤلاء هم الذي يوصفون بأنهم علىٰ معتقد أهل الحديث، وعلىٰ معتقد الإمام أحمد، وهؤلاء هم الذين يمدحهم بعض أهل العلم في مقاومتهم الحلولية والجهمية، فهم زهاد الزهد الاصطلاحي الفاسد البدعي، ولكنهم في باب الصفات يوافقون أهل الحديث، والخطأ أن يقال عنهم بأنهم أهل الحديث المتصوفة، أو السلفية الصوفية، بل هم صوفية، أو زهاد الزهد الفاسد، ووافقوا أهل الحديث في بعض أبواب العقيدة، وقد ذكرهم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض الرد علىٰ الحلولية والاتحادية، وأثنىٰ عليهم بأنهم يميزون بين القديم والمحدث،

وذكر أمثلة عليهم: كالفضيل بن عياض، والجنيد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي، وذكر بأنهم ليسوا علىٰ اعتقاد صوفية أهل الكلام، ولا علىٰ اعتقاد صوفية الفلاسفة[1].

فهنا نؤكد بأنه لا يوجد تصوف لأهل السنة والجماعة، فوصفهم بالتصوف هو وصفهم بضد تلك الصفات، وإنما الذي يصح هو وصف بعض المتصوفة بموافقتهم لهم في باب الصفات، فيقال صوفية أهل الحديث، ضد الجهمية، وضد الحلولية، ويصح وصفهم بالسنة، ضد الشيعة، وضد التصوف الفلسفي، فهم صوفية لكنهم ليسوا جهمية ولا شيعة ولا فلاسفة، بل يوافقون أهل الحديث في إثبات الصفات، وبالتالي يميزون بين الخالق والمخلوق.

(١) انظر: ابن تيمية. «الصفدية». تحقيق محمد رشاد. (ط٢، مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ). (٢٦٦، ٢٦٧)؛ وانظر: عبد الله بن دجين السهلي. «الاتجاهات العقدية عند الصوفية». (ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا). (١٩، ٤٧).

المبحث الثاني
درجة الكشف الصوفي

المطلب الأول: المراد بالكشف، وأنواعه

أولًا: المراد بالكشف:

أ- الكشف لغة: رفع الشيء عمَّا يغطيه.

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢]، أي: يعني: رفعنا الحجاب عن بصرك، فصار نافذا تبصر به ما كان يخفىٰ عليك في الدنيا[1].

يقول ابن منظور (ت: ٧١١هـ): «الكشْفُ رفعُك الشيء عما يُواريه ويغطّيه،... وكشَف الأمر يكْشِفه كَشْفًا أظهره»[2].

ويقول ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): «الكاف والشين والفاء أصلٌ صحيح؛ يدلُّ علىٰ سَرْوِ الشّيء عن الشَّيء، كالثَّوب يُسْرَىٰ عن البدن، ويقال كَشَفْتُ الثوب وغيرَه أكْشِفه»[3].

ب- الكشف اصطلاحًا: هو ادعاء انكشاف المغيبات النسبية؛ فيرىٰ ما لا يراه غيره، ويسمع ما لا يسمعه غيره، ويعلم ما لا يعلمه غيره.

يقول الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) عن الكشف، هو: «الاطلاع علىٰ ما وراء

---

(١) انظر: محمد بن علي الشوكاني. «فتح القدير». (ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ). (٤/ ١٤٤).

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، (١٢/ ١٠٢).

(٣) أحمد بن فارس الرازي. «مقاييس اللغة». تحقيق عبد السلام هارون. (دار الفكر، ١٣٩٩هـ). (٥/ ١٨١).

الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا»[1].

وقال السراج: «الكشف: بيان ما يستتر على الفهم، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي العين»[2].

ثانيًا: المراد بدرجة الكشف عند الصوفية:

درجة الكشف: هي الدرجة العلمية عندهم؛ التالية للدرجة العملية؛ لأن تلك الأعمال المذكورة في الدرجة الأولى العملية من: الجوع، والسهر، والفقر، وغير ذلك؛ تورث أحوالًا، هذه الأحوال هي خوارق تجعل صاحبها - كما يزعمون - يرى ما لا يراه غيره؛ فتسمى مشاهدات، ويسمع ما لا يسمع غيره؛ فتسمى مخاطبات، ويعلم ما لا يعلمه غيره؛ فتسمى مكاشفات.

يقول الكلاباذي: «اعْلَم أَن عُلُوم الصُّوفِيَّة عُلُوم الْأَحْوَال، وَالْأَحْوَال مَوَارِيث الْأَعْمَال، وَلَا يَرث الْأَحْوَال إِلَّا من صحّح الْأَعْمَال»[3].

يقول ابن الجوزي (ت: ٦٥٦هـ): «والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي»[4].

ويقول ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ): «وصار علم التصوف في الملة علمًا مدونًا، بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال، كما وقع في سائر العلوم»[5].

---

(١) علي بن محمد الجرجاني. «التعريفات». تحقيق جماعة من العلماء. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ). (١٩٣).

(٢) الطوسي، «اللُّمع في التصوف»، (٢٤٩).

(٣) الكلاباذي، «التعرُّف لمذهب أهل التصوف»، (٥٨).

(٤) عبد الرحمن بن علي الجوزي. «تلبيس إبليس». (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ). (١٤٣).

(٥) ابن خلدون، «مقدمة ابن خلدون». (بيروت: دار إحياء التراث)، (٤٦٩).

فهذه الدرجة صاحبها يصبح عندهم عالمًا من علماء الصوفية، ولا يحتاج بعد ذلك للكتب ولا لمدارسة العلم؛ لأنه وصل للعلم فلا يحتاج لأسبابه، فهو يزعم بأن العلم يصل لقلبه مباشرة من مصادره؛ من غير حاجة للوسائط، فهو قد رُفعت عنه الحجب البشرية؛ فيتلقىٰ تارة عن الله، وتارة عن رسول الله ﷺ، وتارة عن الخضر، وتارة عن شيوخه، ويكون التلقي يقظة أو منامًا، مباشرة، أو إلهامًا، أو خاطرًا، أو هاتفًا، أو إسراءً، أو معراجًا، أو فراسةً، ونحو ذلك.

وهذه الدرجة يسميها الغزالي (ت: ٥٠٥هـ): بـ «علم المكاشفة»، ويعرفه بقوله: «أن يرتفع الغطاء حتىٰ تتضح له جلية الحق في هذه الأمور؛ اتضاحًا يجري مجرىٰ العيان الذي لا يشك فيه»[(١)].

ثالثا: أنواع الكشف عند الصوفية:

الكشف عند الصوفية له أنواع كثيرة منها:

١- الزعم بالتلقي من الله مباشرة، سواء مهاتفة أو قلبيا.

٢- الرؤية في اليقظة للأنبياء والأولياء بعد موتهم، والتلقي منهم مباشرة.

٣- الرؤىٰ المنامية.

٤- رؤية الخضر عليه السلام.

٥- الإلهام، والخواطر.

٦- الفراسة.

٧- الهواتف.

فهذه جملة من أهم أنواع الكشف عند الصوفية، وهم يجعلونها مصادر لتلقي الدين، ويعتمدونها أعظم من اعتمادهم علىٰ الوحي الإلهي،

(١) محمد بن محمد الغزالي. «إحياء علوم الدين». (بيروت: دار المعرفة). (١/ ٢٠).

ويقدمون ما دلت عليه علىٰ كلام الله وكلام رسوله ﷺ، بل يجعلون الوحي الإلهي ميزانًا لما وصلوا إليه من معارف عن طريق الكشف بأنواعه المتعددة، وهم بهذا يخالفون قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١]، والله المستعان[1].

رابعا: الموقف من درجة الكشف عند الصوفية:

١- القول بأن الزهد، ورياضة النفس، وتصفية القلب؛ توجب حصول العلم الشرعي النافع بمجردها؛ كلام باطل، ولكن الزهد وتصفية القلب - وفق الشرع - له أثر في فهم الأدلة الشرعية والعقلية.

٢- أن العبادات والرياضات التي يقومون بها بدعية، وليست هي من الزهد الشرعي، أو التطهير الصحيح للقلب من الخبائث، فهم جمعوا بين فسادين: فساد العمل، وفساد من ناحية نقص العلم، بترك العلم الشرعي، فشابهوا النصارىٰ في ضلالهم.

٣- استدرجهم الشيطان من التعبد بالبدع، إلىٰ الرياضة من غير تعبد؛ وإنما جوع وسهر وعزلة وفقر ومذلة لجمع النفس حتىٰ يحصل لها الكشف، فوقعوا في أعظم الضلال والانحراف عن دين الإسلام، وتلبستهم الشياطين.

٤- استدرجهم الشيطان من جمع النفس ليحصل لها الكشف، حتىٰ لو بترديد كلمة ليس فيها أي ذكر، إلىٰ القول - زعما - بأنهم يحصل لهم من جنس ما يحصل للأنبياء من الوحي؛ فهذا تدرج في الانحراف والضلال؛ ليصل للكفر، والتعدي علىٰ مقام النبوة، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: صادق سليم صادق. «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية - عرضا ونقدا». (ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ). (٢١٨).

٥- الرياضات التي تمارس للوصول للكشف فيها خطورة على الجسم والعقل والدين، فقد تذهب العقل والدين، وتضر بالبدن؛ فهؤلاء جمعوا بين فساد الدين وفساد الدنيا، بين فساد الروح وفساد البدن؛ والله المستعان.

٦- استدرجهم الشيطان في الرياضات؛ بسبب ما حصل لبعضهم من الكشف، إلى القول بعدم الفائدة من العبادات.

فهم يرون الفائدة من العبادات إنما هو صقل النفوس وتجردها؛ لتصبح مستعدة لنزول العلوم عليها من الملأ الأعلى، فإذا حصل لأحدهم ما يعتقد أنه علم أو معرفة؛ بقي مخيرًا في حفظ العبادة، أو ردها، أو الاشتغال بالأوراد عنها[1].

٧- استدرجهم الشيطان في هذا الباب حتى ربطوا بين الولاية وبين الكشف، فمن لم يحصل له الكشف؛ لم يصل - في زعمهم - لدرجة الولاية.

٨- استدرجهم الشيطان في درجة الكشف إلى القول بالاستغناء عن متابعة الرسول ﷺ استغناء بما حصل لهم من العلم الكشفي، وإلى القول بسقوط التكاليف عنهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله (ت: ٧٥١هـ): «فالكشف الصحيح: أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، معاينة لقلبه، ويجرد إرادة القلب له؛ فيدور معه وجودًا وعدمًا، هذا هو التحقيق الصحيح؛ وما خالفه فغرور قبيح»[2].

---

(١) انظر: ابن تيمية، «الصفدية»، ٢/ ٢٣٥؛ وابن القيم. «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين». تحقيق محمد البغدادي. (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ). (١/ ٩٦، ٩٧).

(٢) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، (٣/ ٢٢٦).

المطلب الثاني: بدع الكشف الصوفي المتعلقة بمصادر الدين، ومنهج التلقي

أولًا: البدع المتعلقة بمصادر التلقي:

١- البعد عن المصادر الشرعية - الوحي الإلهي: الكتاب والسنة - في تلقي الدين الإسلامي، واعتماد مصادر مبتدعة؛ غير صحيحة؛ في التلقي. كادعاء محادثة الله لهم، وادعاء محادثة النبي ﷺ لهم، ورؤية الخضر، والرؤىٰ والمنامات، والهواتف، والإلهامات، والخواطر، والفراسات[١].

إن من مصادر تلقي الصوفية، مقابلة الشيخ بعد موته؛ إذ إنهم يعتقدون أن مشايخهم يعودون للحياة في الدنيا بعد موتهم، ويناجون أتباعهم ويوجهونهم إلىٰ فعل الخير ونحو ذلك، وأصل هذه العقيدة تلقوها من الرافضة، وتعتبر عقيدة الرجعة عندهم من شرائط الإيمان الكامل[٢].

وقد كان الصوفية يقصرون ذلك علىٰ النبي ﷺ، فهو يقابل مشايخهم يقظه، ويعلمهم الشرع، ويخصهم بالأوراد، ثم توسعوا في ذلك ليعتقدوا الرجعة في كل الأولياء[٣].

---

(١) انظر: صادق، «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية - عرضا ونقدا»، (١٨٧ - ١٩٢).

(٢) انظر: الحسن بن موسىٰ النوبختي. «فرق الشيعة». (ط٢، بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٤هـ). ٤٤؛ أحمد بن زين الدين الأحسائي. «الرجعة». (ط٨، كربلاء: منشورات مكتبة العلامة الحائري). (١١ - ٢٢).

(٣) انظر: محمد بن أحمد لوح. «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي». (ط١، القاهرة، الدمام: مكتبة دار ابن عفان، دار ابن القيم، ١٤٢٢هـ). (١٤/ ٢).

وقد اعتمد الصوفية كثيرًا علىٰ هذه الخرافات، فأخذوا منها عباداتهم وأورادهم، واستغنوا بهذا الطريق عن طلب العلم الشرعي من القرآن والسنة علىٰ أيدي أهل العلم؛ لأن ما يحتاجون إلىٰ معرفته يأتيهم به أشياخهم ويعلمونهم إيّاه، نعوذ بالله من هذا الضلال.

٢- الإعراض عن تعلم العلوم الشرعية؛ وانتقاص قدرها، وانتقاص قدر طلاب العلم الشرعي؛ والتحذير منهم، ومن مجالستهم، والاستماع لهم.

٣- الاعتقاد بأن الوحي الإلهي مستمر النزول علىٰ الأولياء، وإنّما الذي توقف هو إرسال الرسل والأنبياء، وبناء علىٰ ذلك؛ فللولي أن يفسر النصوص الشرعية بخلاف ما بينه الرسول ﷺ للصحابة رضي الله عنهم، وقد انتهجوا بسبب ذلك التأويل الباطني للنصوص؛ من جنس ما تقوم به طائفة الإسماعيلية ونحوهم.

ثانيًا: البدع المتعلقة بمنهج التلقي:

- جعل الوحي الإلهي موزونًا للكشف، فهم يعتقدون أن العلم المُتلقي من الكشف؛ يقيني، حق، واجب الطاعة، فما قبله الكشف من الوحي قبلوه، وما خالفه: أولوه، أو ردوه.

- الاعتماد علىٰ النصوص الضعيفة والموضوعة لموافقتها لأهوائهم، وبدعهم، واعتماد القصص الخيالية، والخرافات مصادر لتقوية انحرافاتهم.

اعتماد الصوفية علىٰ الكشف هو الذي أوقعهم في التأويل الباطني لنصوص الكتاب والسنة، وجعلهم يرفضون النصوص أو يؤولونها إذا تعارضت مع معارفهم المتحصلة عن طريق الكشف، وقد دعاهم ذلك إلىٰ الكذب علىٰ الرسول ﷺ، وصحابته الكرام حين نسبوا ما وصلوا إليه من

القول بالتأويل الباطني للنصوص إليهم.

أما أهل السنة والجماعة، فمصادرهم في معرفة الدين الإسلامي هو الوحي الإلهي، كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فيؤمنون بخبره: بالفهم الصحيح، بلا شك، ولا تقدم، ولا إلحاد، ويمتثلون لطلبه: بالفهم الصحيح، بلا شرك، ولا اعتراض ولا ابتداع، ويزكون أنفسهم ومجتمعهم، بناء على توجيهاته، عملا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات: ١]. وهذا من فضل الله عليهم[(١)].

(١) انظر: صادق، «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية - عرضا ونقدا»، (٧٠٧ - ٧٠٩).

المبحث الثالث
درجة وحدة الوجود

المطلب الأول: المراد بدرجة وحدة الوجود

أولا: تعريف وحدة الوجود، والفرق بينها وبين الحلول والاتحاد:

أ- تعريف وحدة الوجود:

يراد بوحدة الوجود عند الصوفية: وحدة الموجود؛ أي أن وجود الخالق هو وجود المخلوق - ما ثَمَّ غيرٌ ولا سوىٰ - فالموجود هو الله وحده، وما عداه مجرد أوهام وخيالات، فالله تعالىٰ هو الظاهر في جميع المظاهر.

وبعبارة أخرىٰ: وحدة الوجود: هي أن ترىٰ أن الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، ولا تثبت موجودين خلق أحدهما الآخر[١].

إنّ عقيدة وحدة الوجود - عند القائلين بها من الصوفية - تتضمن الأمور التالية:

١- اعتقادهم أن الله تعالىٰ هو الذي له الوجود وحده، ولا وجود حقيقي للمخلوقات.

٢- المخلوقات المشاهدة عندهم؛ كالبحار والجبال والأشجار، موجودة لكنها ليست مخلوقة، وإنما هي والله شيء واحد، فهم لا يرونها خلقًا، ولكنهم يرونها حقًا، أي: الله تعالىٰ.

٣- تعدد المظاهر عندهم لا يتنافىٰ مع وحدة الوجود؛ لأن الظاهر في

---

(١) انظر: إدريس محمود إدريس. «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية». (ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ). (٢٣٩ - ٢٤١).

جميع المظاهر هو شيء واحد، وهو الله تعالىٰ، فالله - عندهم - يظهر ويتجلىٰ في صور المخلوقات المختلفة.

٤- يزعمون بأن سبب ظهور الله عندهم في صور الكائنات هو أن الله كان وجودًا مطلقًا؛ ليس له اسم أو صفة، ثم أراد أن يرىٰ نفسه في مرآة هذا الوجود، فظهر في صور الكائنات المعدومة العين، الثابتة في علمه تعالىٰ، فكل ما يرىٰ وما لا يرىٰ هو الله تعالىٰ - تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا -.

٥- الوجود - عندهم - واحد بالعَين لا بالنوع، فليس في الوجود إلا شيء واحد، وهو واجب الوجود، فالوجود هو الموجود، والموجود هو الله، ولكن القول بوحدة الموجود ظاهر البطلان؛ فيحرص الصوفية علىٰ ترك القول به، ويقولون بوحدة الوجود إمعانًا في التلبيس، وإلا فهم لا يثبتون للمخلوق والممكن وجودًا أصلا[1].

٦- فالتوحيد: - عندهم -: إفراد الحق بالوجود، في الأزل والأبد. أو هو: شهود الموحَّد القديم مجردًا عن الوجود الحادث.

والفردانية عندهم: انفراد الحق بالوجود، بانطباق بحر الأحدية علىٰ الكل، بحيث لم يبق وجود لغيره قط.

والشهود: هو: رؤية الحق بالخلق.

والحقيقة: هي: شهود الحق في تجليات المظاهر.

والتحقيق: هو: شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان.

والجمع: هو: إشارة إلىٰ حق بلا خلق.

---

(١) انظر: د. أحمد القصيِّر، «عقيدة الصوفية - وحدة الوجود الخفية»، (٢٨ - ٣٦).

أو: إزالة التفرقة بين القِدم والحَدَث، وارتفاع التمييز بينهما.

والإحسان: وهو: شهود الله تعالىٰ، والحضور معه في كل شيء، ومشاهدة تجليه في كل شيء[1].

ب- الفرق بين وحدة الوجود وبين الحلول والاتحاد:

هناك فرق كبير - عند الصوفية من أهل هذه الدرجة - بين وحدة الوجود، وبين الحلول والاتحاد؛ فوحدة الوجود معناها عندهم: وحدة الموجود؛ أي أن وجود الخالق هو وجود المخلوق، ما ثم غير ولا سوىٰ، فالموجود هو الله وحده وما عداه مجرد أوهام وخيالات، فالله - تعالىٰ - هو الظاهر في جميع المظاهر؛ أي أن الله يتجلىٰ علىٰ نفسه؛ كما تقدم.

وأمّا الحلول - عندهم -: فهو نزول الذات الإلهية في الذات البشرية، ودخولها فيها؛ فيكون المخلوق ظرفًا للخالق، تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وأمّا الاتحاد - عندهم -: فهو اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق؛ فيكونا بعد الاتحاد ذاتًا واحدة[2].

وقد بيَّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الفروقات وذكر أمثلة علىٰ أصحابها؛ وتلخيص كلامه في الأمور التالية:

١) أن أصحاب وحدة الوجود هم الذين يقولون: «إن وجود المخلوق هو وجود الخالق، لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر؛ بل يقولون الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق». ومن أمثلة أولئك: ابن سبعين (ت: ٦٦٨هـ)، وابن الفارض (ت: ٦٣٢هـ)، والقونوي (ت: ٧٢٩هـ)،

---

(١) انظر: المصدر السابق، (٣٨، ٣٩).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٤٥).

والششتري (ت: ٦٦٨هـ)، والتلمساني (ت: ٦٩٩هـ).

٢) أمَّا أصحاب الحلول والاتحاد؛ فهؤلاء قالوا ذلك في معين، فقالوا بألوهية بعض البشر، وبالحلول والاتحاد فيه، ولا يجعلون ذلك مطلقًا في كل شيء[١].

٣) الصوفية ينكرون الاتحاد والحلول؛ لما فيهما من إثبات ذاتين، ففيهما القول بالإثنينية، وهم يعتبرون ذلك شركًا، ولا يؤمنون إلا بالوحدانية، أي: وحدة الوجود، فإذا ما ثبت أنهم عبروا عن وحدة الوجود بالحلول والاتحاد فهو من باب التجوز في العبارة، أو لأنها تؤدي للنتيجة المطلوبة؛ وهو أن العبد والرب شيء واحد، كلاهما رب، وكلاهما عبد، في الوقت ذاته.

٤) حقيقة قول هؤلاء - أي الاتحادية -: أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالىٰ؛ ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة، ولهذا من سمَّاهم حلولية، أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبًا عن معرفة قولهم، خارجًا عن الدخول إلىٰ باطن أمرهم؛ لأن من قال: إن الله يحل في المخلوقات؛ فقد قال بأن المحل غير الحال، وهذه تثنية عندهم وإثبات لوجودين:

أحدهما: وجود الحق الحال. والثاني: وجود المخلوق المحل، وهم لا يقرون بإثبات وجودين البتة[٢].

٥) وأمَّا وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان: أحدهما: لا يرضونه؛ لأن الاتحاد علىٰ وزن الاقتران، والاقتران يقتضي شيئين اتحد أحدهما

---

(١) انظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوىٰ»، (٢/ ٣٦٤ - ٣٦٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٢/ ١٤٠).

بالآخر، وهم لا يقرون بوجودين أبدًا.

والطريق الثاني: صحة ذلك؛ بناء علىٰ أن الكثرة صارت وحدة.[1].

ثانيًا: تعداد أنواع الفناء، وبيان الفناء المرادف لمعنى وحدة الوجود:

الفناء عند الصوفية يشرحه السهروردي بقوله: «إنّ أقاويل الصوفية في الفناء كثيرة، فبعضها إشارة إلىٰ فناء المخلوقات وبقاء الموافقات، وبعضها يشير إلىٰ زوال الرغبة والحرص والأمل، وبعضها إشارة إلىٰ فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة، وبعضها إشارة إلىٰ حقيقة الفناء المطلق، وكل هذه الإشارات فيها معنىٰ الفناء من وجه.

ولكنّ الفناء المطلق هو: ما يستولي من أمر الحق ﷻ علىٰ العبد، فيغلب كون الحق ﷻ علىٰ كون العبد»[2].

ويمكن تلخيص أنواع الفناء من خلال كلام الكلاباذي:

١- الفناء هُوَ أَن يفنىٰ عَنهُ الحظوظ: فَلَا يكون لَهُ فِي شَيْء من ذَلِك حَظّ، وَيسْقط عَنهُ التَّمْيِيز: فنَاء عَن الأشياء كلهَا؛ شغلًا بما فني بِهِ.

وَالْحق يتَوَلَّىٰ تصريفه؛ فيصرفه فِي وظائفه وموافقاته، فَيكون مَحْفُوظًا فِيمَا لله عليه، مأخوذًا عَمَّا لَهُ، وَعَن جَمِيع المخالفات، فَلَا يكون لَهُ إِلَيْهَا سَبِيل وَهُوَ الْعِصْمَة.

والبقاء الَّذِي يعقبه؛ هُوَ أَن يفنىٰ عَمَّا لَهُ وَيبقىٰ بِمَا لله.

---

(١) انظر: المصدر السابق، (٢/ ١٤١).

(٢) عبد القادر السهروردي. «عوارف المعارف». (ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ). (٢٤٧).

وَهَذَا معنىٰ قَوْلهم يكون فانيًا عَن أَوْصَافه، بَاقِيًا بأوصاف الْحق؛ لِأَن الله تَعَالَىٰ إِنَّمَا يفعل الاشياء لغيره، لَا لَهُ؛ لأنه لَا يجر بِهِ نفعًا، وَلَا يدْفع بِهِ ضرًا؛ تَعَالَىٰ الله عَن ذَلِك، وَإِنَّمَا يفعل الأشياء؛ لينفع الأغيار أَو يضرهم.

فجملة الفناء والبقاء؛ أَن يفنىٰ عَن حظوظه، وَيبقىٰ بحظوظ غَيره.

٢- من الفناء: فنَاء عَن شُهُود المخالفات والحركات بهَا؛ قصدًا وعزمًا، وَبَقَاء فِي شُهُود الموافقات، والحركات بهَا؛ قصدًا وفعلًا، وفناء عَن تَعْظِيم مَا سوىٰ الله؛ وَبَقَاء فِي تَعْظِيم الله تَعَالَىٰ.

٣- فناء هُوَ الْغَيْبَة عَن الاشياء رَأْسًا؛ وَعبارَة أُخْرَىٰ عَن الفناء: أَن الفناء هُوَ الْغَيْبَة عَن صِفَات البشرية بِالْحملِ المؤله من نعوت الإلهية؛ وَهُوَ أَن يفنىٰ عَنهُ أَوْصَاف البشرية الَّتِي هِيَ الْجَهْل وَالظُّلم؛ لقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ وَمن أَوْصَافه الكنود والكفور، وكل صفة ذميمة تفنىٰ عَنهُ؛ بِمَعْنىٰ أَن يغلب علمه جَهله، وعدله ظلمه، وشكره كفرانه وأمثالها.

وَمِنْهُم من جعل هَذِه الْأَحْوَال كلهَا حَالًا وَاحِدَة، وَإِن اخْتلفت عباراتها؛ فَجعل الفناء بَقَاء، وَالْجمع تَفْرِقَة، وَكَذَلِكَ الْغَيْبَة وَالشُّهُود، وَالسكر والصحو[1].

وقد ذكر السّراج الطوسي قولًا لقوم من الصوفية في الفناء بأنه «فناء عن الصفات البشرية؛ لتتصف بالصفات الإلهية»[2].

---

(١) انظر: الكلاباذي، «التعرُّف لمذهب أهل التصوف»، (٩٢ - ١٠٠).

(٢) الطوسي، «اللُّمع في التصوف»، (٥٤٣).

فمن هنا يمكن القول بأن أنواع الفناء ثلاثة:

النوع الأول: الفناء عن إرادة ما سوىٰ الله.

ومعناه: ألا يحب إلا الله، ولا يعبد إلا الله، ولا يتوكل إلا علىٰ الله، ولا يطلب غير الله[(١)].

فهذا النوع الذي يتكلم فيه السلف وأهل الحديث؛ فيتحدثون عن وجوب تطهير القلب من أي شائبة شرك أو رياء أو إرادة دنيا بالأعمال الصالحة، ومن الكبر والحسد والحقد والبغضاء، وملء القلب بالنيات الطيبة من الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وحب الله والخوف منه والرجاء فيما عنده، والرضا والصبر واليقين والتوكل، وغير ذلك من أعمال القلوب؛ فهذه الطهارة القلبية ممّا أمر بها الشرع، لا يجوز أن يطلق عليها تصوف سلفي؛ لأن أهل التصوف العالمين به، لا يعنون بالتصوف هذا النوع، وحتىٰ لا يحدث الخلط في بيان الحكم الصحيح علىٰ التصوف. فهذا الفناء خلاصته: أن يوافق الله في محبوباته ومبغوضاته، وليس فيه أي إفناء للغرائز البشرية المتعلقة بمحبة الطعام والشراب والمال والنكاح والزوجة والولد والوطن، وإنما هي تقديم محاب الله علىٰ جميع تلك المحاب، وإما فناء الإرادة عند المتصوفة لا يقصدون به الموافقة لله في محبوباته، وإنما إفناء الإرادة البشرية تماما، لتحل محلها كما يزعمون الإرادة الإلهية.

النوع الثاني: الفناء عن شهود السوىٰ.

والمراد به: أن تضمحل جميع المخلوقات من ذهن العبد؛ فلا يرىٰ

---

(١) انظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوىٰ»، (١٠/ ٢١٨).

إلا الله، ولا يرىٰ حتىٰ نفسه؛ حتىٰ يصل به الأمر إلىٰ أن يظن أنه هو الله، فلا يرىٰ إلا الله، ولكن ذلك كله في حال غيبة العقل والتمييز؛ فإذا أفاق وصحا عرف أنه غالط[1]، فهذا فناء يعقبه بقاء.

وهذا هو التصوف المنسوب لأهل الكلام، والذي يسميه البعض بالتصوف السني، أي ليس بالشيعي، وإنما هو التصوف الكلامي، أي: التصوف الأشعري والماتريدي، فينبغي الحذر من نسبة التصوف للسنة بالمعنىٰ المقابل للبدعة، وإنما هو التصوف الكلامي المقابل للفلسفي والشيعي، وتعتبر هذه الدرجة عندهم أكمل من الدرجة السابقة، فالدرجة السابقة ناقصة، وهذه الدرجة بها بلوغ كمال الواجب في التصوف.

النوع الثالث: الفناء عن وجود السوىٰ.

والمراد به: أن يشهد: ألّا موجود إلا الله، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، ووجود المخلوق هو وجود الخالق؛ فلا فرق بين الرب والعبد[2].

وهذا هو الغاية عند العارفين بحقيقة التصوف، وهو أن يصلوا إلىٰ مرحلة الفناء والسعادة، والاتحاد بالخالق؛ فتذوب نفسه وتنتهي، وتتحول إلىٰ الإلهية، فلا يرىٰ إلا الله، ويرىٰ نفسه أنها هي الله، والكون كله هو الله، وهذا هو القول بوحدة الوجود، وهو غاية التصوف الحقيقي، بهذه الدرجة يصل الصوفي إلىٰ التصوف الكامل.

يقول د. عبدالله نومسوك: «أمَّا «نرفانا» فإن فناءها فناء تام، مطلق، نهائي في النفس الكلية، حيث لا يبقىٰ وجود ذاتي للفاني، ولا يبقىٰ في نفسه

(١) انظر: المصدر السابق، (١٠/ ٢١٩ - ٢٢١).

(٢) انظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوىٰ»، (١٠/ ٢٢٢).

ولا في تفكيره شيء: لا إله ولا غيره.

وعلىٰ هذا يمكن القول بأن الفرق بينهما هو في نقطة النهاية فقط، فنهاية الفناء؛ الوصول إلىٰ حضرة الربوبية، أو مشاهدة الذات والاتحاد به، أمّا نهاية «نرفانا» فهي الفراغ من كل شيء، هذا مع الاتفاق بين الصوفية والبوذية في أن الوصول إلىٰ هذه النهاية؛ مرتبة الكمال وسعادة النفس»[1].

وهذا النوع يسمىٰ التصوف الفلسفي، وهذا النوع من الفناء هو المرادف لمعنىٰ وحدة الوجود.

ثالثًا: مكانة وحدة الوجود عند أصحاب هذه الدرجة:

التدرج من الزهد الصوفي، إلىٰ الكشف الصوفي، ومنه إلىٰ بلوغ الحقيقة؛ وهي اعتقاد وحدة الوجود، فهذه أعظم غاية عند صوفية هذه الدرجة، وأعظم لذة، وأعظم سعادة، وهي عندهم التصوف الكامل.

ومن الأمور المهمة في هذه الدرجة أمران يتعلقان بالكتمان لها، أو التصريح بها:

١- وجوب كتمان هذه الدرجة عن الآخرين.

٢- يجوز التصريح بها في حال الشطح، أو في حال التعليم والدعوة للأتباع.

والشطحات: عبارات، والعبارات عند القوم هي الأقوال الصريحة في وحدة الوجود.

أ- تصدر الشطحات بسبب ضعف قلب الصوفي؛ عن حمل ما يرد

(١) نومسوك، «البوذية (تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها)»، (٤٢٠).

علىٰ قلبه من اعتقاد وحدة الوجود، وتوهمه أنه هو الله.

ب- الشطحات مستبشعة عند غير الصوفية، لكنها مقبولة عند الصوفية.

جـ- يحذر الصوفية من إنكار الشطحات، أو الطعن في الأشخاص الذين صدرت عنهم.

د- يرىٰ الصوفية أن أصحاب الشطحات معذورون في تصريحهم بالعقيدة الصوفية.

وقد مثل الصوفية الشطحات بأمثلة كثيرة منها:

١- قول أبي يزيد البسطامي (ت: ٢٦١هـ): سبحاني ما أعظم شأني.

٢- قول أبي الحسين النوري (ت: ٢٩٥هـ) لما سمع نباح الكلاب: لبيك وسعديك.

٣- قول أبي بكر الشبلي (ت: ٣٣٤هـ): نظرت في كل عز فزاد عزي عليهم[1].

(١) انظر: القصيِّر، «عقيدة الصوفية - وحدة الوجود الخفية»، (٢٨٨ - ٢٩٠).

المطلب الثاني: أبرز البدع المتعلقة بدرجة وحدة الوجود

أولا: البدع المتعلقة بتوحيد الربوبية:

أصحاب هذه الدرجة من الصوفية؛ ملاحدة، ينكرون أن يكون لهذا الكون خالقًا مالكًا مُدَبِرًا؛ لأنهم ينكرون وجود مخلوقات كانت مسبوقة بعدم، فيرون العالم قديم واجب الوجود، ويقولون: بأن الله مبثوث في كل ذرة من ذراته، فهم ملاحدة متألهة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «حقيقة قولهم: إن الله لم يخلق شيئًا، ولا أبدعه، ولا بَرَاه، ولا صوره؛ لأنه لم يكن وجود إلا وجوده، فمن الممتنع أن يكون خالقًا لوجود نفسه، أو بارئًا لذاته»[1].

فحقيقة قول أصحاب هذه الدرجة من الصوفية؛ هو جحد الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكنهم لا يظهرون ذلك نفاقًا وخوفًا وتقية، وضلالًا عند جهالهم.

ثانيًا: البدع المتعلقة بتوحيد الألوهية:

ليس هناك توحيد عبادة عند صوفية وحدة الوجود؛ لعدم وجود ثنائية عابد ومعبود، فلا معنىً للعبادة؛ لعدم وجود عابد، بل الكل معبود، ولذا يقولون: بأن من وصل هذه الدرجة تسقط عنه التكاليف الشرعية، ويصح له عبادة كل شيء، ويصح له التدين بأي شيء.

---

(١) ابن تيمية. «مجموعة الرسائل والمسائل». تحقيق محمد رشيد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ). (٤/ ٨٦).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا امتنع التكليف عنده، فإن التكليف يكون من مكلف لمكلف؛ أحدهما آمرًا والآخر مأمورًا، فامتنع التكليف»[1].

ثالثًا: البدع المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات:

لقد جمع صوفية وحدة الوجود في باب أسماء الله وصفاته؛ أرذل المذاهب المنحرفة؛ فجمعوا بين أقصىٰ أنواع التعطيل، وأعلىٰ أنواع التمثيل، وأقبح أنواع الوصف.

فعطلوا الله عن جميع الأسماء والصفات؛ من حيث أنه حق، فوصفوه بالوجود المطلق بشرط الإطلاق، وهذا لا وجود له إلا في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان.

ووصفوه من حيث هو خلق بجميع صفات المخلوقين، ولم يكتفوا بوصفه بصفات الموجودات؛ بل تجاوزوا ذلك فوصفوه بصفات المعدومات والممتنعات[2].

رابعًا: البدع المتعلقة بالقدر:

الصوفية من أهل وحدة الوجود وافقوا الصوفية عمومًا في القول بالجبر، لكنهم في حقيقة الأمر ليسوا علىٰ مذهبهم؛ لأنهم لا يقولون بالثنائية: مُجْبِر ومُجْبَر، بل هم يرون أنه لا فاعل إلا الله؛ لأنه لا موجود إلا الله[3].

خامسًا: البدع المتعلقة بالنواحي الأخلاقية:

رغم زعم المتصوفة بأن التصوف هو حسن الخلق؛ إلا إن أصحاب

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوىٰ»، (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوىٰ»، (٢/ ٤٦٩).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٢/ ٣٧٥ - ٣٧٦).

هذه الدرجة من التصوف غرقوا في وحل الشهوات المحرمة، والأخلاق الدنيئة، والسلوكيات الرذيلة؛ فلا دين يردعهم، ولا خلق يلجمهم، ويزعمون أن ما يقومون به من ممارسة الفواحش هو من الدين[1].

يقول عنهم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفسدوا العقول والأديان... وهم يسعون في الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل الله؛ فضررهم في الدين أعظم من ضرر من يفسد علىٰ المسلمين دنياهم، ويترك دينهم؛ كقطاع الطريق وكالتتار الذين يأخذون منهم الأموال، ويبقون لهم دينهم، ولا يستهين بهم إلا من لم يعرفهم؛ فضلالهم وإضلالهم: أعظم من أن يوصف»[2].

الخلاصة:

١- لا علاقة بين التصوف وبين درجة الإحسان الشرعي؛ فالإحسان الشرعي: مراقبة الله في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ وفق هدي النبي ﷺ في جميع مناحي الحياة، وأمَّا التصوف فشأن آخر؛ سواء في أعمال القلوب، أو أعمال الجوارح، وبُعد كبير من هدي رسول الله ﷺ، فيجب الحذر من تسمية الإحسان الشرعي بالتصوف، أو قبول ذلك.

٢- شتان بين الزهد عند الصوفية، وبين الزهد الشرعي؛ فالزهد الصوفي: غلو في التعبد، وغلو في تخلية القلب عن الطمع فيما عند الله، وخروج بحسن الخلق مع الآخرين إلىٰ عدم إنكار المنكرات، وترك الجهاد، وترك السعي في الإصلاح، وغلو في تعذيب البدن. بخلاف الزهد الشرعي القائم علىٰ: اعتقاد سرعة انقضاء الدنيا، وقصر العمر، وأن نعيم

(١) انظر: المصدر السابق، (٢/ ٣٧٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٢/ ١٣٢).

الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة كلا شيء، ولذا يجب اغتنام العمر؛ وترك ما لا ينفع في الآخرة.

٣- درجة الكشف الصوفي: انحراف عن مصار التلقي في الإسلام، إلىٰ مصادر باطلة بدعية: كالتلقي عن الجن، وعن المشايخ الأموات، وعن الخضر - كما يدعون -، ويذكرون أنهم يرون الله، ويلتقون برسول الله ﷺ، ويعتمدون علىٰ الرؤىٰ المنامية، والهواتف، والخواطر. بينما الكشف الشرعي: هو انفتاح الذهن لفهم الوحي الإلهي؛ بسبب التقوىٰ، والتعظيم للوحي الإلهي.

٤- وفي الكشف الصوفي: ما في الوحي الإلهي من خبر أو طلب يكون موزونًا لأذواقهم ومواجيدهم وخواطرهم، وفي المنهج الإسلامي: الوحي الإلهي هو الميزان للآراء والعلوم.

٥- درجة وحدة الوجود؛ هي التصوف الكامل عند العالمين بالتصوف علىٰ وجه الحقيقة، والمقصود بها: وحدة الموجود؛ فوجود الخالق هو وجود المخلوق، ووجود المخلوق هو وجود الخالق.

المبحث الرابع
الطرق الصوفية

تمهيد: التعريف بالطرق الصوفية

أ- الطريقة الصوفية: يراد بها مجموع الأعمال والأذكار والعقائد التي يضعها الشيخ لأتباعه، زاعمًا أنها توصلهم إلىٰ الله تعالىٰ.

ب- يذكر أنَّ المهيني، الصوفي الإيراني (ت: ٤٤٠هـ) هو أول من وضع نظام الطرق الصوفية، وانتقلت بعد ذلك من إيران إلىٰ العراق ومصر ثم إلىٰ بقية الدول الإسلامية.

ج- أبرز عقائد الطرق الصوفية:

١- القول بوحدة الوجود، تصريحًا أو تلميحًا.

٢- الشرك في التوحيد: سواء الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات.

٣- الدعوة إلىٰ وحدة الأديان.

٤- القول بالجبر في القدر، وبسقوط التكاليف الشرعية.

٥- ادعاؤهم مجالسة النبي ﷺ يقظة، والأخذ عنه.

٦- ادعاؤهم للمعرفة الدينية من غير الكتاب والسنة.

٧- اختراعهم الأوراد والأذكار وتفضيلها علىٰ القرآن.

المطلب الأول: الطريقة القادرية

سبب التسمية	نسبة لمؤسسها عبد القادر الجيلاني، وتسمىٰ كذلك بالجيلانية.
المؤسس	هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الجيلاني، ولد بجيلان العراق عام ٤٧١ ه، وكانت وفاته عام ٥٦١ ه ببغداد، وقد نسب إليه أتباعه من الكرامات والأقوال المناقضة للتوحيد الشيء العظيم، كتدبير الكون، وإغاثة المستغيثين، والمشي في الهواء، ونحو ذلك، ويرجح جمع من الباحثين أن الجيلاني لا يقول بعقيدة وحدة الوجود، بخلاف أتباعه.
أبرز الشخصيات	١- أبناؤه: عيسىٰ وعبد الوهاب وعبد الرزاق وعبد العزيز. ٢- أبو مدين شعيب بن الحسن التلمساني (ت:٥٩٤ه).
أماكن الوجود	أفريقيا وفي الهند وباكستان وأندونوسيا وماليزيا ومنتشرة في البلدان العربية وفي تركيا.
أبرز الآراء والعقائد	١- الرابطة: ويقصد بها استحضار المريد لصورة شيخه أثناء الذكر والقراءة، وكلما ازداد من الاستحضار زادت الفيوضات الإلهية في نفسه، وإذا فني في شيخه وصل للفناء في الله بعد ذلك. ٢- لها جانبان نظري وعملي: النظري في الحث علىٰ التمسك بالسنة، والعملي فيه بدع الطرق الصوفية المعروفة. ٣- لديهم ورد «المح» علىٰ طريقة الطلاسم «بسم الله الرحمن. اللهم (محًا، محًا، محًا)، و(حا، بحا، حم) لا ينصرون..». ٤- تعتقد بوحدة الوجود. ٥- تدعي القدرة علىٰ التدبير الكوني، والقول للشيء كن فيكون. ٦- تدعي أن أولياءهم مطلعون علىٰ الغيب والنيات.

المطلب الثاني: الطريقة الرفاعية

سبب التسمية	نسبة للرفاعي، لقب مؤسس الطريقة، وتسمىٰ أحيانًا «الأحمدية» نسبة لاسم المؤسس الأول أحمد، وتسمىٰ أحيانًا «البطائحية» نسبة لبلد الرفاعي «البطائح» في العراق. وتعد من أوائل الطرق الكبرىٰ بعد القادرية.
المؤسس	أحمد بن علي الرفاعي المغربي البطائحي، (٥١٢هـ - ٥٧٨هـ) ويوصل أتباعه نسبه إلىٰ موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق.
أبرز الشخصيات	١- أبو المهدي الصيادي، وقد ألف عدة كتب في الطريقة الرفاعية. ٢- أحمد البدوي، مؤسس الطريقة البدوية. ٣- أبو الحسن الشاذلي، مؤسس الطريقة الشاذلية.
أماكن الوجود	العراق، بلاد الشام، مصر، وتركيا. ومن فروعها: البدوية، والصيادية.
أبرز الآراء والعقائد	١- استخدام الجن في إظهار الخوارق للدلالة علىٰ صحة طريقتهم: كالدخول في النار، وإدخال السيف داخل الجسد، وأكل الحيات وهي حية، وملاعبتها. ٢- الاستفاضة: ربط قلب المريد بقلب الشيخ طلبًا لإفاضة العلم الباطني إليه. ٣- التشيع: تؤمن بإمامة الأئمة الاثنا عشر، وبالمهدي المنتظر عند الشيعة. ٤- ينتشر فيها كغيرها من الطرق الصوفية: الاستغاثة بأوليائهم، وطلب العون والمدد منهم، وصرف أنواع من العبادة لهم كالطواف والذبح. ٥- يعتقدون أن رسول الله ﷺ أخرج يده اليمنىٰ من القبر، بناء علىٰ طلب الرفاعي منه ذلك فقبلها علىٰ مرأىٰ من الناس. ٦- يعتقدون ختم الولاية بالرفاعي. ٧- من عقائدهم الزهد في الجنة، وعدم الخوف من النار.

المطلب الثالث: الطريقة الشاذلية

سبب التسمية	نسبة للشاذلي، أبي الحسن المغربي.
المؤسس	هو أبو الحسن، علي بن عبد الله الشاذلي المغربي (٥٩١هـ - ٦٥٦هـ).
أبرز الشخصيات	١- أحمد البدوي، صاحب الطريقة البدوية. ٢- أبو العباس المرسي، تلميذ الشاذلي، وخليفته بعده. ٣- البوصيري، وابن عطاء الله السكندري، وعبد الوهاب الشعراني، وغيرهم كثير من مشاهير الطرق الصوفية.
أماكن الوجود	من أكثر الطرق انتشارًا في العالم الإسلامي، وهي موجودة في مصر والمغرب والشام وغيرها.
أبرز الآراء والعقائد	١- كثرة الشركيات في جميع أقسام التوحيد، فينسبون لمشايخهم علم الغيب، وتدبير أمور الناس، واستحقاق التوجه لهم بالدعاء والاستغاثة. ٢- التصريح بوجود علوم باطنية تسمىٰ بالحقائق، وهي عندهم أكمل من علوم الشريعة.

المطلب الرابع: الطريقة البكتاشية

سبب التسمية	نسبة إلىٰ «بكتاش»، وهو لقب أطلق علىٰ محمد بن إبراهيم النيسابوري الخراساني، فهو ينادىٰ بالحاج بكتاش ولي، ومعنىٰ بكتاش في التركية رئيس الجماعة، أو العزيز.
المؤسس	هو: محمد خنكار، المعروف بالحاج بكتاش، ولد في النيسابور عام ٦٤٥هـ وتوفي عام ٧٣٨هـ، ويدعي الانتساب إلىٰ آل البيت، وأنه من نسل موسىٰ الكاظم.
أبرز الشخصيات	١- مؤسس البكتاشية في مصر، عبد الله المغاوري، وهو ألباني اسمه قيفوس سلطان، لقب بالمغاوري، لوفاته في مصر ودفنه في المغارة التي بجبل المقطن، ثم خلفه ٣٥ خليفة بعد ذلك.
أماكن الوجود	تركيا، وألبانيا، ومصر، وقد انقسمت إلىٰ قسمين: أ- صوفية نصيرية (علوية)، موجودة في تركيا علىٰ وجه الخصوص. ب- صوفية اثنا عشرية، منتشرة في دول البلقان ومصر.
أبرز الآراء والعقائد	١- فرقة شيعية اثنا عشرية متصوفة. ٢- الدعوة إلىٰ المساواة بين جميع الأديان. ٣- يبيحون الخمر، ويحتفلون بما يشبه العشاء الرباني عند النصارىٰ، ويوزعون فيه الخبز والجبن. ٤- يمزجون بين عقائد الرافضة وبين عقائد النصيرية. ٥- التصريح بعقيدة وحدة الوجود. ٦- السجود بين يدي مرشد الطريقة عند أخذ العهود والمواثيق وعند الذكر.

المطلب الخامس: الطريقة النقشبندية

سبب التسمية	نسبة لنقشبند، وهو وصف أطلقه الأتباع علىٰ طريقتهم، ومعناه: ربط النقش وثباته، فهم يزعمون تميز طريقتهم بقوة نقش الصفات الإلهية في قلوب أتباعها، وديمومته، بخلاف الطرق الأخرىٰ، ثم صار هذا الوصف لقبًا لمؤسسها: محمد النقشبندي.
المؤسس	هو: محمد بن محمد بن محمد بن بهاء الدين البخاري، ولد عام ٧١٧ هـ، وكانت وفاته عام ٧٩١ هـ.
أبرز الشخصيات	١- محمد ناظم الحقاني، وهو يتنقل حالًا بين إسطنبول ولندن، ويقوم وينشر الخرافة بين المسلمين الإنجليز الجدد، وبين المهاجرين من الباكستانيين والهنود في لندن. ٢- محمد عثمان سراج الدين الكردي.
أماكن الوجود	تركيا، العراق، الشام، مصر، الهند، والصين.
أبرز الآراء والعقائد	١- حَبْس النَّفَس: وذلك بذكر الله كما يزعمون بلسان القلب بدون استعمال اللسان مع تغميض العين، وحبس النفس، مثل رياضة اليوغا. ٢- الرابطة: أي باستحضار صورة الشيخ أمامه، وربط قلبه به ليصله بالله كما يدعون. ٣- التشيع. ٤- التصريح بعقيدة وحدة الوجود. ٥- عقيدة الاتصال بالموتىٰ الروحانيين (الأويسية)، نسبة إلىٰ أويس القرني، فهم يزعمون بأنه تلقىٰ علمه من النبي ﷺ رغم عدم اجتماعه به، وهكذا يأخذ الحي من الميت عندهم، ويجتمعون بهم عند قبورهم ويجالسونهم ويأخذون منهم كما يزعمون.

المطلب السادس: الطريقة التجانية

سبب التسمية	نسبة إلىٰ التجاني، لقب المؤسس، نسبة إلىٰ أخواله «بني تجين»، وتسمىٰ بالأحمدية.
المؤسس	أحمد بن محمد المختار التجاني، ولد في قرية عين ماضي بالجزائر عام ١١٥٠هـ، وأسس الطريقة عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمغون بالجزائر، ثم انتقل إلىٰ فاس بالمغرب واتخذها قاعدة لنشر الطريقة، وتوفي عام ١٢٣٠هـ.
أبرز الشخصيات	١- علي حرازم الفاسي المغربي، أكبر خلفاء المؤسس، وتلميذه. ٢- محمد التازي الجزائري.
أماكن الوجود	أفريقيا عمومًا، والجانب الغربي منها خصوصًا، ودخلت مصر والشام.
أبرز الآراء والعقائد	١- إمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلة مادية، واللقاء به لقاء حسيًا في هذه الدنيا. ٢- أن النبي ﷺ خصهم بصلاة الفاتح لما أغلق، وهي عندهم أفضل من تلاوة القرآن، وهي: «اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمد، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلىٰ صراطك المستقيم، وعلىٰ آله حق قدره، ومقداره العظيم». ٣- التصريح بعقيدة وحدة الوجود عند خواصهم. ٤- الغلو في أوليائهم، وفي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المطلب السابع: الطريقة الختمية

سبب التسمية	نسبة للختم، وهو لقب مؤسس الطريقة، بمعنىٰ أنه خاتم الأولياء، وطريقته خاتمة الطرق الصوفية.
المؤسس	هو محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب، ولد في الطائف عام ١٢٠٨هـ، ونشأ في مكة، وانخرط في عدة طرق: النقشبندية، والقادرية، والجنيدية، وطريقة جده: الميرغنية، والإدريسية الشاذلية، ومن خلال هذه الطرق الخمسة اخترع الطريقة الختمية، كانت وفاته بالطائف عام ١٢٦٨هـ.
أبرز الشخصيات	أبناؤه وأحفاده، ومنهم: ابنه الحسن، وحفيده محمد عثمان بن الحسن، وعلي الميرغيني بن محمد عثمان بن الحسن.
أماكن الوجود	ابتدأت في مكة والطائف، وامتدت وقويت في السودان ومصر.
أبرز الآراء والعقائد	١- أنها طريقة صوفية رافضية، فقد أخذت بمعتقدات الشيعة الاثنا عشرية في الإمامة والإمام، وما ترتب علىٰ ذلك من عقائد متعلقة بآل البيت والصحابة والقرآن والحديث في الجملة، وصرحوا بارتباطهم بهم في العصر الحاضر من الناحية السياسية. ٢- ادعاء أخذهم لأسس الطريقة والآراء والتعاليم من الرسول ﷺ يقظة حقيقة. ٣- الطلب من المريد في الخلوة استحضار صورة مؤسس الطريقة محمد عثمان أمامه حتىٰ تظهر له روحانية أمامه، ومن ثم تحصل له الاستنارة، وتحضر له روحانية النبي ﷺ، كما يزعمون. ٤- الاشتهار بالاستعانة بالجن، وعن طريقهم يسعون كما يزعمون للسيطرة علىٰ الناس، والتصرف في الكون.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة.. ٥
القسم الأول المدخل لدراسة الفرق........................ ١١
المطلب الأول: أهمية دراسة الفرق ١٣
المطلب الثاني: مكانة الاجتماع والائتلاف في الإسلام ١٦
المطلب الثالث: قواعد الاجتماع والائتلاف في الإسلام ٢٠
القاعدة الأولىٰ: قاعدة التآخي في الإسلام.......................... ٢٠
القاعدة الثانية: قاعدة وحدة المصدر ٢٢
القاعدة الثالثة: قاعدة وحدة العقيدة ٢٣
القاعدة الرابعة: قاعدة وحدة الشريعة.............................. ٢٩
القاعدة الخامسة: قاعدة وحدة تزكية الفرد.......................... ٣٢
القاعدة السادسة: قاعدة وحدة إصلاح المجتمع والأمة......... ٣٥
المطلب الرابع: تحذير الإسلام من الافتراق........................ ٤١
المطلب الخامس: المراد بالجماعات وكيفية الحكم عليها ٥٠
المطلب السادس: المراد بالأحزاب وكيفية الحكم عليها............ ٥٥
المطلب السابع: المراد بالفرق وكيفية الحكم عليها ٥٩
المطلب الثامن: حديث الافتراق وأسباب نشأة الفرق ٦٠
المطلب التاسع المراد بأهل السنة والجماعة وأهل البدعة والضلالة ٦٣
أولا: تعريف السنة، وأهل السنة والجماعة، وأبرز صفاتهم ٦٣
أهل السنة والجماعة ٦٤

أبرز صفات أهل السنة والجماعة ٦٤
ثانيًا: تعريف البدعة، وأهل البدعة والضلالة، وأبرز صفاتهم ٦٥
أهل البدعة والضلالة ٦٦
أبرز صفات أهل البدعة................................ ٦٦
المطلب العاشر نبذة عامة عن الفرق وأبرز المؤلفات في الفرق...... ٦٨
أولا: نبذة عامة عن الفرق ٦٨
ثانيًا: أبرز المؤلفات في الفرق........................ ٦٩
القسم الثاني الخوارج والمرجئة ٧٥
تمهيد: منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان والكفر ٧٧
المطلب الأول: حقيقة الإيمان في حديث الشعب................ ٨٢
الحالة الأولىٰ: حالة الاقتران والتقييد...................... ٨٧
والحالة الثانية: حالة الإطلاق ٨٩
أولًا: زيادة الإيمان ونقصانه ٩٧
ثانيًا: مسألة الاستثناء في الإيمان ٩٩
المطلب الثاني: شعب الإيمان في حديث الشعب................ ١٠١
أولًا: الإجمال والتفصيل في الإيمان بالشعب ١٠١
أولًا: معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله ١٠٤
ثانيًا: مكانة شعبة الشهادة............................ ١٠٦
ثالثًا: نواقض شعبة الشهادة ١٠٨
أولًا: دلالة شعبة الحياء علىٰ مسألة الإيمان................ ١١٠
ثانيًا: أهمية أعمال القلوب في حقيقة الإيمان ١١١
أولًا: مكانة شعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق ١١٢
ثانيًا: مكانة أعمال الجوارح في حقيقة الإيمان ١١٣

أولًا: الترابط بين الشعب الظاهرة والباطنة ١١٦
ثانيًا: ضوابط التكفير ١١٨
الخلاصة ١٢٤
المبحث الأول مقالات الخوارج ١٢٩
المطلب الأول: تعريف الخوارج ١٣١
المطلب الثاني: حديث الخوارج وأبرز صفاتهم ١٣٤
أبرز صفات الخوارج ١٣٥
المطلب الثالث: متىٰ وكيف خرجوا ولماذا خرجوا؟ ١٣٦
المطلب الرابع: فرق الخوارج ١٣٨
أولا: فرقة الأزارقة ١٣٨
نافع بن الأزرق ١٣٨
دوره في الخروج ١٣٨
بم انتهىٰ أمره ١٣٨
ثانيًا: فرقة النجدات ١٤٠
ذهب النجدات إلىٰ أن الدين أمران ١٤١
في الحكم علىٰ مرتكب الكبيرة ١٤١
ثالثًا: فرقة الصفرية ١٤٣
رابعًا: الأباضية ١٤٤
أبرز من تنتسب إليه ١٤٤
أبرز فرق الأباضية ١٤٥
تدافع الأباضية عن المحكمة الأوائل بعدة أمور منها ١٤٧
أماكنهم قديمًا وحديثًا ١٤٨

من علمائهم المعاصرين ١٤٨
من كتبهم ١٤٩
خلاصة عن فرق الخوارج ١٥٢
المطلب الخامس: الجماعات المعاصرة الغالية في التكفير ١٥٣
أولا: جماعة التكفير والهجرة (جماعة شكري مصطفى) ١٥٣
ثانيًا: جماعة التوقف والتبين ١٥٩
ثالثًا: جماعة الخلافة في الباكستان ١٦٠
رابعًا: تنظيم القاعدة (الفئة الضالة) ١٦٤
خامسًا: تنظيم داعش ١٦٩
المبحث الثاني مقالات المرجئة ١٧٣
تمهيد: حديث الفتنة التي تموج كموج البحر، وظهور مصطلح المرجئة ١٧٥
المطلب الأول: تعريف المرجئة لغة واصطلاحًا ١٧٨
المرجئة لغة ١٧٨
المطلب الثاني: أنواع الإرجاء والتعريف بكل نوع، مع الحكم عليه ١٧٩
المطلب الثالث: مقالات المرجئة ١٨١
أولا: الجهمية ١٨١
ثانيًا: الكرَّامية ١٨٢
ثالثًا: الكلابية ١٨٤
رابعًا: الأشعرية ١٨٥
خامسًا: الماتريدية ١٨٦
المطلب الرابع: حقيقة الإرجاء المنسوب لبعض الصحابة ١٨٧
المطلب الخامس حقيقة الإرجاء المنسوب للحسن بن محمد ١٨٨

المطلب السادس: حقيقة الإرجاء المنسوب لأبي حنيفة............ ١٩١
المطلب السابع: مكانة عمل الجوارح في حقيقة الإيمان ١٩٥
المطلب الثامن: آثار الفكر الإرجائي على الأمة الإسلامية ١٩٨
القسم الثالث الفرق الكلامية ٢٠١
تمهيد: مقدمة تأصيلية في باب الصفات.......................... ٢٠٣
المطلب الأول: القواعد السبعة في بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات.. ٢٠٤
القاعدة الأولىٰ: قاعدة الخبر ٢٠٤
القاعدة الثانية: قاعدة الخبر من الله........................... ٢٠٦
القاعدة الثالثة: قاعدة الظاهر اللائق.......................... ٢٠٨
القاعدة الرابعة: قاعدة الظاهر بلا تمثيل....................... ٢١٠
القاعدة الخامسة: قاعدة المعنىٰ ٢١٢
القاعدة السادسة: قاعدة التنزيه ٢١٤
القاعدة السابعة: قاعدة العقل................................ ٢١٦
المطلب الثاني: الأمثال والأصول في بيان حقيقة التشابه ٢١٨
المطلب الثالث: أسباب انحراف الفرق الممثلة والمعطلة ٢٢٣
المطلب الرابع: بيان المراد بالفرق الكلامية ٢٢٦
المبحث الأول: فرقة الجهمية................................. ٢٣٧
سبب التسمية والنشأة...................................... ٢٣٧
أبرز عقائد الجهمية ٢٣٧
المبحث الثاني: فرقة المعتزلة ٢٤١
سبب التسمية والنشأة...................................... ٢٤١

أبرز أعلام الفرقة ٢٤٢
أبرز الانحرافات العقدية........................ ٢٤٤
معلومات متفرقة عن المعتزلة ٢٤٦
المبحث الثالث: فرقة الكُلَّابية ٢٤٨
سبب التسمية والنشأة........................ ٢٤٨
أبرز الأعلام........................ ٢٤٩
أبرز الانحرافات العقدية........................ ٢٥٠
المبحث الرابع: فرقة الأشعرية........................ ٢٥٢
سبب التسمية والنشأة........................ ٢٥٢
أبرز الأعلام........................ ٢٥٢
أبرز الانحرافات العقدية........................ ٢٥٣
معلومات عامة عن فرقة الأشعرية ٢٥٥
المبحث الخامس: فرقة الماتريدية ٢٥٦
سبب التسمية والنشأة........................ ٢٥٦
أبرز الأعلام........................ ٢٥٦
أبرز الانحرافات العقدية........................ ٢٥٦
المبحث السادس: فرقة الكَرَّامية ٢٥٩
سبب التسمية........................ ٢٥٩
أبرز الأعلام........................ ٢٥٩
أبرز الانحرافات العقدية........................ ٢٥٩
معلومات عامة عن فرقة الكرامية ٢٦٠
القسم الرابع فرق التشيع، والفرق الباطنية ٢٦٣

المبحث الأول فرق التشيع ٢٦٥
تمهيد: تعريف التشيع ونشأته وتعداد فرقه........................ ٢٦٧
المطلب الأول: الشيعة الاثنا عشرية: النشأة والعقائد ٢٧١
تحديد نشأة الشيعة الاثنا عشرية ٢٧١
أبرز عقائد فرقة الشيعة الاثنا عشرية............................. ٢٧٥
الخلاصة.. ٢٨٩
المطلب الثاني: فِرقة الزيدية (أبرز العقائد -براءة زيد- فرق الزيدية) ٢٩٢
تمهيد: التعريف بفرقة الزيدية ٢٩٢
أبرز عقائد فرقة الزيدية ٢٩٣
براءة الإمام زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ من البدع ٢٩٧
فِرق الزيدية والجماعة الحوثية ٣٠٥
الخلاصة.. ٣٢٤
المبحث الثاني الفرق الباطنية.................................... ٣٢٧
الفرق الباطنية.. ٣٢٩
المطلب الأول: فرقة السبأية ٣٣٠
تمهيد ٣٣٠
شخصية عبد الله بن سبأ.. ٣٣١
عقائد السبأية ٣٣٢
المطلب الثاني: فرقة المختارية أو الكيسانية ٣٣٥
تمهيد ٣٣٥
أئمة الكيسانية ٣٣٦
عقائد الكيسانية.. ٣٣٩

المطلب الثالث: فرقة الخطابية ٣٤٤
تمهيد ٣٤٤
أبو الخطاب الأسدي ٣٤٤
أبرز عقائد أبي الخطاب ٣٤٥
الفرق الخطابية ٣٤٦
الصلة بين الخطابية والإسماعيلية ٣٤٨
المطلب الرابع: فرقة الاسماعيلية ٣٥٠
تمهيد ٣٥٠
نشأة الإسماعيلية ومنشؤها ٣٥١
أئمة الإسماعيلية ٣٥٢
الفرق الإسماعيلية ٣٥٦
عقائد الإسماعيلية الباطنية ٣٥٩
المطلب الخامس: فرقة النصيرية ٣٦٧
تمهيد: التعريف، وسبب التسمية ٣٦٧
المؤسس وأبرز الشخصيات ٣٦٧
عقائد النصيرية ٣٦٨
موقف النصيرية من التكاليف الشرعية ٣٦٩
الخلاصة ٣٧٠
المطلب السادس: فرقة الدروز ٣٧٢
تمهيد: التعريف، وسبب التسمية ٣٧٢
أبرز الشخصيات ٣٧٢
عقائد الدروز ٣٧٣

معتقدات الدروز في التكاليف الشرعية ٣٧٤
مقارنة بين النصيرية والدروز ٣٧٥
المطلب السابع: فرقة البابية ٣٧٧
تمهيد: التعريف، وسبب التسمية ٣٧٧
المؤسس، وأبرز الشخصيات ٣٧٨
عقائد البابية ٣٧٩
معتقدات البابية في التكاليف الشرعية ٣٨١
المطلب الثامن: فرقة البهائية ٣٨٣
تمهيد: التعريف، وسبب التسمية ٣٨٣
المؤسس، وأبرز الشخصيات ٣٨٣
عقائد البهائية ٣٨٤
معتقدات البهائية في التكاليف الشرعية ٣٨٥
المطلب التاسع: فرقة القاديانية ٣٨٧
تمهيد: التعريف، وسبب التسمية ٣٨٧
المؤسس، وأبرز الشخصيات ٣٨٧
عقائد القاديانية ٣٨٨
معتقدات القاديانية في التكاليف الشرعية ٣٨٩
موقف القاديانية من المسلمين ٣٩٠
مقارنة بين البابية والبهائية والقاديانية ٣٩١
المطلب العاشر: الفكر الباطني الحديث ٣٩٤
تمهيد: المراد به، وسبب التسمية ٣٩٤
أبرز معتقدات الفكر الباطني الحديث ٣٩٤

أبرز الحركات والجمعيات الباطنية المعاصرة في الغرب ٣٩٥
أبرز رموز الفكر الباطني في العالم الغربي ٣٩٦
أبرز تطبيقات الفكر الباطني الحديث ٣٩٧
القسم الخامس درجات التصوف والطرق الصوفية ٤٠١
تمهيد: تعريف التصوف، والفرق بينه وبين الإحسان ٤٠٣
المبحث الأول درجة الزهد الصوفي ٤١٣
المطلب الأول: المراد بالزهد الشرعي ٤١٥
أولا: المراد بالزهد في اللغة ٤١٥
ثانيًا: المراد بالزهد شرعًا ٤١٥
المطلب الثاني: المراد بالزهد عند الصوفية ٤١٨
المطلب الثالث: الحكم علىٰ أهل الزهد الصوفي ٤٢١
المبحث الثاني درجة الكشف الصوفي.............................. ٤٢٣
المطلب الأول: المراد بالكشف، وأنواعه ٤٢٥
المطلب الثاني: بدع الكشف الصوفي المتعلقة بمصادر الدين، ومنهج التلقي ٤٣٠
المبحث الثالث درجة وحدة الوجود ٤٣٣
المطلب الأول: المراد بدرجة وحدة الوجود ٤٣٥
أولا: تعريف وحدة الوجود، والفرق بينها وبين الحلول والاتحاد ٤٣٥
ثانيًا: تعداد أنواع الفناء، وبيان الفناء المرادف لمعنىٰ وحدة الوجود ٤٣٩
ثالثًا: مكانة وحدة الوجود عند أصحاب هذه الدرجة............. ٤٤٣
المطلب الثاني: أبرز البدع المتعلقة بدرجة وحدة الوجود ٤٤٥
أولا: البدع المتعلقة بتوحيد الربوبية ٤٤٥

ثانيًا: البدع المتعلقة بتوحيد الألوهية ٤٤٥
ثالثًا: البدع المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات ٤٤٦
رابعًا: البدع المتعلقة بالقدر................................... ٤٤٦
خامسًا: البدع المتعلقة بالنواحي الأخلاقية ٤٤٦
الخلاصة.. ٤٤٧
المبحث الرابع الطرق الصوفية.................................. ٤٤٩
تمهيد: التعريف بالطرق الصوفية ٤٥١
المطلب الأول: الطريقة القادرية ٤٥٢
المطلب الثاني: الطريقة الرفاعية............................... ٤٥٣
المطلب الثالث: الطريقة الشاذلية ٤٥٤
المطلب الرابع: الطريقة البكتاشية.............................. ٤٥٥
المطلب الخامس: الطريقة النقشبندية.......................... ٤٥٦
المطلب السادس: الطريقة التجانية............................. ٤٥٧
المطلب السابع: الطريقة الختمية ٤٥٨
المحتويات.. ٤٥٩

هذا الكتاب
كتاب مادة مقالات الفرق
لطلاب المرحلة الجامعية

عبارة عن خمسة أقسام:

القسم الأول: المدخل لدراسة الفرق.

القسم الثاني: الخوارج والمرجئة، مع دراسة تأصيلية لمسائل الإيمان والكفر عند أهل السنة والجماعة.

القسم الثالث: الفرق الكلامية، مع دراسة تأصيلية لمنهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات.

القسم الرابع: فرق التشيع والفرق الباطنية، مع ذكر الفكر الباطني الحديث، وأبرز تطبيقاته.

القسم الخامس: درجات التصوف، والطرق الصوفية، وتم الحديث عن سبعة طرق.

يمكن دراسة هذا الكتاب للمتخصصين في ثلاث مستويات:

مستوى المدخل، ومستوى فرق الخوارج والإرجاء والفرق الكلامية، ومستوى فرق التشيع ودرجات التصوف.

وأما غير المتخصصين فيمكن دراسته في مستوى واحد، ويمكن في مستويين: المستوى الأول: ثلاثة أقسام، والمستوى الثاني: قسمان.

والله الموفق.